ماذا يقول الدم العربى
للشاعر فاروق شوشة

د. محمد فتوح أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا كان عنوان هذا الديوان : (يقول الدم العربى) ، فإن لنا أن نعتبر مبدعه الشاعر فاروق شوشة (شاعر الدم العربى) ، ليس فحسب لأنه أفصح من خلال هذا الديوان عن حس عربى يتميز بالوعى والامتلاء ، بل لأنه كذلك ، وطيلة مسيرته الشعرية ، قد واكب بقصائده كل مواسم الانتصار والانكسار ، فغنى للعروبة أفراحها وأتراحها ، وعزف للوطن الكبير أرق الحان البهجة ، كما هدهد أشجانه بأعذب ترانيم المواساة وكيف لنا أن ننسى قصائده فى (بيروت) وفى (مواكب الشهداء) ، ورسالته من (فدائى إلى صديقته) ، ثم ما كتبه عن (المغرب) و(الخليج) وغيرهما من حبات العقد العربى المنظوم الذى تحتل واسطته (لؤلؤة فى القلب) ، هى مصر بكل رصيدها الشعرى والشعورى فى وجدان فاروق شوشة ؟

وقد بدأ شاعرنا طريق إبداعه الشعرى الخصب فى الخمسينات ، حين كان ما يزال بعد طالبا فى مرحلة دراسته الجامعية ، وحين كان النبض الوطنى فى ذروة تألقه وجيشانه ، وكان المد القومى فى قمة رحابته وامتداده ، فأعانه هذا وذاك على أن يقبس من محبرة الضمير العربى مدادا لشعره ، كما رفدته فى جلاء مرآة هذا الضمير طبيعة دراسته الجامعية للغة العربية وآدابها ، ، علاوة على ولعه الفطرى (بلغته الجميلة) ، وتراث أمته الأصيل ، فكان ما كان من ذفك النبع الثر الذى تمثلت دفقاته فى دواوين : (إلى مسافرة) ، ثم (العيون المحترقة) ، و(لؤلؤة فى القلب) و(فى انتظار ما لايجىء) . ثم توج هذا جميعه بنتاج مرحلة فنية تالية ، نعتبرها معلما من معالم نضجه الفنى ، وهى المرحلة التى شملت دواوينه : (الدائرة المحكمة) ، (لغة من دم العاشقين) ، وأخيرا تلك المجموعة التى اخترنا منها القصيدة موضوع هذه الدراسة ، والتى اتخذت من عنوانهاعنواناً لها نعنى مجموعة : (يقول الدم العربى) .

وما أردنا بتلك الإطلالة السريعة على الطريق الفنى للشاعر الا أن ندل على أنه كان منذ البداية ــ وما يزال ــ وفيًا غاية الوفاء لقيمتين كبريين نهض عليهما عالمه الإبداعى ، قيمة الحب ، وقيمة الحرية ، فى أدق وأشمل معانيهما .

فأما الحب ، فهو ذلك الحب الكبير الذى لايقنع باجتلاء عينى الحبيبة حتى يتخذ منهما معراجا إلى حب الإنسان والأرض والوطن ، حب الرمل والتراب والريح والسماء والنجوم والكواكب والشطآن ، حب العناقيد والتلال وبساتين الفرح وحكايا الصبايا والأحلام النائية والغد المأمول . تلك العناصر التى عبر عنها بصراحة فى قصيدته (الحب والحرية) ، حين قال :

الأنىَ حين أحببتك واجهت جحيمى
وتنفّست نسيمى
مُسْلما عمرى إلى ريح الصَّبا
وشميمٍ من عَرار وخُزامَى
فيك عانيت سمائى ونجومى
فتعرَّى كل ما فى الأرض من قبح كريه ودمامة
باحثا عن جلوة الحسن الذى يقطر من ذوب ابتسامة
وعن الدفء الذى يكسو محيّاك وسامة
عندما ينهلّ هذا الموكب الأسنى
فانشق حجازا وتِهامة
بلزخى أنت ، وفى دربك من عمرى علامة
كيف ألقاك هروبا وانهزاما
وأنا الضارب فى الأرض ،
بهذا الحب أقوى
وبهذا الفيض أبقى
ساريا فى عَبَق الطين دما
صاعدا فى أفق الجو غمامة
ذائبا فى النيل ، شطّاه امتداداتى
داخلى ذرٌّ من الصحراء
ممزوج بطمى النيل
مقذوف بهذا الكون
أجتاز على كره زحامه

وواضح أن هذا المحور العاطفى بكل رحابته وشموله ، لا ينفى المحور القيمىّ الثانى الذى ينهض عليه العالم الشعرى لفاروق شوشة ، وهو محور الحرية بأدق واوسع مفهوماتهما ، إذ لا يكمل الحب إلا بالحرية ولا يقوم بدونها ، وكيف يستطيع القلب أن يعشق إذا كان حبيسا ؟ أم كيف للخلايا أن تهفو إذا كانت تعانى وطأة الانسحاق ؟ وكيف لخطوات الإنسان أن تسعى إلى من تحب إذا كانت مقيدة ؟ بل كيف تستطيع المشاعر أن تتنفس وتحيا اذا لم تكن طليقة تعانق هذا الوجود بكل رحابته وامتداده

ما الذى نصنع بالحب إذا كان اغتيالا للخلايا
وانطفاء للذى يلمع فى عين الصبايا وانغماسا فى
سراديب الحكايا
دون أن يرتجَّ فينا كل بركان الحنايا
فنرى الميلاد فى قلب المنايا
والمدى المنسوج من عزف الشظايا
والغد الطالس من عرس النهار
ساطعا منكسرا فوق المرايا .

وتفضى قيمتا الحب والحرية فى كمال امتزاجهما وائتلافهما إلى ضرب من حداثة الوعى الشعرى يتمثل فى رغبة الشاعر الدائمة فى تجاوز ما هو كائن إلى ما ينبغى أن يكون ، وتخطى كل سلبيات الواقع العربى الراهن إلى غد أكثر لمعانا واشراقا ، والتجاوز لا يعنى مجرد التغيير ، بل يقتضى المواجهة ، ولعل هذا هو الذى حدا بشاعرنا إلى أن يعنون واحدا من أهم كتبه باسم (مواجهة ثقافية) ، وهى مواجهة لا تقنع بمجرد إعادة النظر فى الصيغ والأحكام ، وإنما هى فى جوهرها مواجهة تسعى إلى إيجاد البديل ، والبحث عن منطلقات جديدة ، وتعرية الواقع الثقافى والأدبى من زيفه وادعاءاته ، ومن تركيبته الراهنة ، التى هى انعكاس لطبيعة المجتمع ، ومن هنا كان اختلال القيم واختلاط الأقدار والأحكام ، وانعدام التمييز ، ورواج الزائف والسطحى والمبتذل .

والعمل الأدبى بعامة ، والشعرى منه بخاصة ، هو فى منظور شاعرنا رسالة ، وضرب من المجاهدة التى لا تقنع بلذة سماع أصوات الطلقات وهى تدوى من بعيد ، بل تشارك فى واقعة الحرية باعتبار هذه المشاركة جوهر كينونة الشاعر وسر إبداعه ، وفاروق شوشة يشير إلى ذلك صراحة حين يحدثنا (أن من شأن الأدب أن يقذف بصاحبه إلى المعمعة ، لأنه ما دامت الكتابة صورة من صور إرادة الحرية ، فإن كل من أخذ على عاتقه مهمة الشروع فى الكتابة سرعان ما يجد نفسه — أراد أم لم يرد — منخرطا فى معركة الحرية ، ملتزما بالدفاع عن حريته وحريات الآخرين ، أفليس الفكر الحر إذن هو الفكر الملتزم ؟)

فى ضوء هذا جميعه لا نرى غرابة فى أن يسمعنا فاروق شوشة صوت الدم العربى وهو يقول ما يكاد يكون الصرخة الأخيرة قبل الضياع ، ما يشبه أن يكون ناقوس الإنذار بأن نتنبه وإلا فالطوفان . وتتدرج طبقات هذا الصوت بادئة من مقولة أن هذا الدم قد فقد هويته وفاعليته وتأثيره ، فأصبح هو والماء متشابهين ، لا لون ولا طعم ولا رائحة ، ثم تتوارى هذه الطبقة الصوتية لتقوم على أثرها طبقة من صوت الدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربى تؤكد هذا الإحساس بالغياب والضمور ، ولكنها تؤكده فى نغمة تشبه نغمة رثاء الذات والنواح على النفس :

يقول الدم العربى :
أسيل ، فلا يتداعى ورائى النخيل
ولا ينبت الشجر المستحيل
أسيل ، أروّى الشقوق العطاش ،
وأسكب ذاكرتى للرمال ،
فلا يتخلقُ وجه المليحة ،
أو حلم فارسها المستطار

لكأننا بازاء دم عربى فقد خصوصيته ، ضاعت مقدرته على الإخصاب والإنبات والتخليق ، وقد تجسدت ملامح هذا الفقد فى مجموعة من الايحاءات التى ترمز الى مميزات الذاكرة العلائبية بنخيلها وأشجارها وشقوقها ورمالها ومليحاتها وفرسانها ، على حين تقابل هذه الملامح المفقودة ، ملاح أخرى موجودة ، يبتعثها الدم العربى ، ولكنه ابتعاث أشبه بالموت ، ابتعاث تتوازى فيه القصور والأضرحة ، وتتساوى استطالات المدن مع استطالات شواهد القبور وفى هذه المقابلة المريره ما يثير كل مأساوية المفارقة :

وأنزف حتى النخاع
وينحسر المدّ ،
تنبت فوقى حجارتكم
مُدُنا تتمدّد أو تستطيل
وتأكل ما يتبقى من الأرض
لكنها أضرحة .

ثم تعلو طبقة الصوت لتشى فوق غياب التأثير بجسامه حجم التضحية ، فهذا الدم العربى الذى أصبح ينبت الأضرحة بدلا من النخيل والأشجار ، لم يدخر فى فدائه جهدا ، بل إنه على النقيض من ذلك طاول فى تضحيته كل الدماء التى انضجتها الحرائق أو أراقتها الملاحم او اعتصرتها المآدب ، ولكن محصلة الجهد كانت جدبا مطلقا ، وفناء مطلقا ، وضياعا فى ذاكرة الرمل ، وانطفاء لم تبق منه سوب فقاعة مالبثت أن خمدت كما تخمد الذبالة الأخيرة فى القنديل :

أخيرا ، يقول الدم العربى : أكتفيت
تجاوزت جسر الشرايين
أسرجت خيلى بقلب العراء
وخيّمت فى نقطة البدء
أحكمت أغنيتى
وانتشيت لنفسى
وقلت :
أطاول كل الدماء التى أنضجتها الحرائق
كل الدماء التى أهرقتها الملاحم
كل الدماء التى اعتصرتها المآدب ،
فاخَرْت أنى الوحيد الذى
جعلوا من بقاياه خاتمة للبكاء
وفاتحة للغناء
ومن رئتى مذبحة

صوت الدم العربى من خلال هذا المقطع يصرخ : اكتفيت ، وهى صرخة التعب الممض ، والسأم المجهد من طول المزال وكثرة المجالدة ، كما أن اكتفاءه هو اكتفاء بالسلب ، لأنه وقد تناثر فى أصقاع الأرض وعبر منحنيات الطرق وشعاب الأودية وقمم التلال ، قد انتابه ما ينتاب المسافر مع طول الطريق من مشاعر التعب والكلال ، واحاسيس الفراغ والعبثية ، وقناعة الاستسلام ، ومن ثم يكون المقطع المشار إليه مقدمة طبيعية لذلك المقطع الختامى الذى يغلف القصيدة بغلالة من المرارة والانسحاق :

أخيرا ، يقول الدم العربى المسافر عبر العواصم والمتجمِّع خلف الحواجز ، والمتناثر فى كل أرض :
تعبت ،
وهذى بقية لحمى
وبعض ملامح أرضى التى سكنت فى العيون
تعبت
فمن يحمل الآن عنى بقية يومى
وأشلاء حلمى ؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلفت النظر فى القصيدة ذلك الاقتدار الفنى الذى يوجه الشاعر توجيها تلقائيا إلى امتياح مفردات صوره الشسرية من البيئة العربية التراثية التى تناسب موضوع القصيدة تناسبا تاما . فحين يقول الدم العربى ما يوحى بفقدان الفاعلية وغياب التأثير نرى الصور الشعرية الدالة على هذا المعنى تتراوح بين (عدم تداعى النخيل) ، و(عدم استطالة الشجر) وتغلغل الدم فى الشقوق العطاش ، وجميعها (مداميك) تصويرية مستمدة من البيئة افعربية التراثية ، وحين يكون الحديث عن تضحية الدم العربى بما لم يضح به دم من قبل ، ورجوعه من هذه التضحية دون تحقيق المراد ، نرى الصور الشعرية تتراوح بين إسراج الخيل ، والتخييم فى نقطة الجدب ، والغوص فى ذاكرة الرمل ، وهى ، وأمثالها ، عناصر تصويرية ترتد بأصولها إلى مصدر واحد ، وهو البيئة العربية التراثية ، بكل مذخورها فى وجدان الشاعر ، وبكل تداعياتها فى الضمير الجمعى للأمة .

ولشاعرنا نظرة خاصة إلى اللغة العربية بعامة ، وإلى لغة الأدب والشعر منه بالذات ، فهو يرتبط بهذه اللغة ارتباط هوى واعتناق . وهو يتخذ منها قضية حياة ، مثلما هى لإبداعه حجر الزاوية ومحور البناء . ولكن إشكالية اللغة لديه تتعلق تعلقا عضويا بقضية التراث ككل ، وفى رأيه أن التعامل مع التراث ، ومع لغة التراث ، يشكل نقطة الانطلاق فى طرح هموم حياتنا الثقافية وبناء أى تصور جديد لها ، وبدون هذا التعامل يصبح الحديث عن الحاضر وجذوره البعيدة فاقدا للحكمة والأصالة ، وبعيدا عن استلهام روح الأمة من خلال حسها التاريخى والحضارى ، ومن خلال القيم المستمرة والتى يتجاوز جوهرها الصيغ والصور والأشكال ، لأنها بمثابة نبض الحياة يدفعه الماضى فى الحاضر فيجلوه ، ويعيده الحاضر إلى الماضى فيضيئه ويعيد تفسيره .

من هنا نفهم سر تركيز شاعرنا على استخدام لغة إبداعية لا ينقصها التخير والانتقاء ، لغة تنسجم مع طبيعة توجهه الثقافى ، من ناحية ، ومع طبيعة تجربته الشعرية ، من ناحية أخرى ، لأن وحدات لغوية من أمثال : الخيل ، والخيام ، والرمل ، والغيوم والبروق ، وما إليها ، تمثل بؤرات إشعاعية تصل حاضر الشاعر بماضيه ، وتفجر فى وجدان المتلقى هالات من التداعيات والرؤى الرمزية مرتبطة بالبيئة التى كانت تحتوى هذه الوحدات ، وعن طريق هذا التفجير وذلك التداعى تنعقد فى خواطرنا مقارنة لاشعورية بين الماضى المجيد ، والحاضر البئيس ، بين ما كان وما هو كائن ، وهى مقارنة تُنتج بالإيجاب لصالح الماضى ، وبالسلب على حساب ما يعانيه حاضر الدم العربى من جهامة .

وأخيرا ، فلابد أن يكون قد استرعى اهتمامنا الغلاف الموسيقى للقصيدة ، بذلك التتابع المطرد الذى يوحيه بحر المتقارب ، والذى أتت القصيدة على منواله ، وهو بحر بسيط النغم ، مطرد التفاعيل ، فيه سهولة وانسياب ، ولذلك فتجويد الصناعة فيه أمر مهم ، لأنه يتطلب اندفاعا وراء النغم كما يندفع التيار فى غير ما توقف ، ولعل لهذه الخاصية النغمية فى القصيدة صلة بطبيعة الشاعر نفسه ، من حيث ما فى كليهما من سماحة ومواتاة ، وميل إلى التدفق والانبساط ، وتجاف عن التعقيد ، وبعد عن التكلف ، وجميعها ملامح أثّرت بها طبيعة الشاعر فى طبيعة شعره ، حتى جاءت نغمات القصيدة متتابعة متقاربة تأخذ الواحدة منها بآصرة أختها ، فلا تكاد تجد مجالا للتوقف أو الانفلات .

وصفوة القول فى ختام هذه الإطلالة الموجزة على واحدة من ابداعات شاعرنا ، أن ما يمكن أن يقوله النقد الأدبى الحديث فى شعر فاروق شوشة لم يُقَل كله بعد ، بل لعل أهم ما يقال عنه لم يقل حتى الآن ، والأمل معقود أن يحظى هذا الصوت الشاعر وأقرانه من أصوات جيله بما هم أهل له من الدرس والتقويم ، حتى يمكن أن تكون هذه الأصوات شاهدة على عصرها ، مثلما كانت أجيال سلفهم من الشعراء شاهدة على عصرها ، وعقيدتنا أن أجيال الحاضر ليست أقل إخلاصا وصدقا فى شهادتها تلك مما كانت عليه أجيال الغابرين ، وما جميعهم إلا سدنة فى محراب الشعر ، فن العربية العظيم .

القاهرة : د. محمد فتوح أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تفجر الدراما التاريخية في رواية «نهر السماء»

● محمد ابراهيم أبو سنة

تثير رواية نهر السماء للكاتب الروائى فتحى امبابى العديد من الأسئلة حول علاقة التاريخ بالفن ومعيار الصدق الأخلاقى والصدق الفنى وتطرح بقوة أصالة الكاتب الذى نجح فى أن يقحمنا فى صميم عمله وأن يشحن وجداننا وعقولنا وخيالنا ومشاعرنا بطوفان هادر من الرؤى والمشاهد والمواقف والشخصيات . وأن يصمد طوال روايته التى تبلغ صفحاتها ٣٩٢ صفحة من القطع الكبير فى تكوين بناء قوى متماسك مفعم بالإثارة والتوهج والمباغتة والجراة

والرواية تختار مدينة منوف إحدى مدن الدلتا المصرية كمركز لأحداث الرواية التى وقعت ما بين ١٧٧٧ و ١٧٩٨ أى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر حيث تحتدم المعركة بين عناصر السلطة والشعب وممثلى الطرفين على الفوز بمصر غنيمة أقرب إلى الذبيحة الهائلة التى هوى الجميع عليها بخناجرهم طعنا وتقتيلا فى سعار محموم أدى إلى الخراب والطاعون . يبدأ المؤلف برسم المشهد المكانى لمدينة منوف حيث ينهمك مصطفى أيداكش المملوك صاحب كشوف المنوفية فى استكمال بناء قلعة حصينة يجعل منها مقرا لأحلامه وأطماعه هو وزوجته التركية شريفة التى تتيه زهوا بانتسابها إلى الأسر العريقة فى الأناضول . كان هذا المملوك تابعا لإبراهيم بك ومراد بك اللذين اقتسما حكم مصر بعد أن غدر سيدهما محمد بك أبو الدهب بسيده على بك الكبير غير أنه لم ينعم طويلا بجريرته فمات مصابا بالحمى يوم دخول عكا منتصرا عام ١٧٧٥ .

ويبدأ المؤلف فى براعة نادرة يصوغ ملحمة سوداء على هذه الأرض المصرية الطيبة . وأركان ملحمة الصراع هم العثمانيون الذى آل اليهم حكم البلاد بعد فتح السلطان سليم الأول لمصر والمماليك الذين يتربصون بالعثمانيين ويظهرون الولاء ويضمرون البغضاء وهم يحاولون الانفراد بالسلطة أو على الأقل الفوز بثورة البلاد واعطاء السلطان جزيته أو ضريبته التى تتفاقم عاما بعد عام . ويصف المؤلف كيف يسوس المماليك رعيتهم من المصريين الذين لم يعد هناك من يدافع أو يتحدث باسمهم أو من يلوذون به إلا هؤلاء المشايخ الذين يرفعون الإسلام شعارا لحماية مصالحهم هم أولا ويحتمون به من بطش هؤلاء الجبابرة ، ولكنهم كانوا أى المشايخ يعجزون فى كثير من الأحيان عن الحفاظ على مبادئهم وأحكام دينهم فيخضعون لمطالب الضعف البشرى الذى يدفعهم إلى الملق والنفاق وربما الانحياز أحيانا للظالم . يرسم فتحى امبابى صورة مثيرة وحية لعناصر الصراع الدموى بين الأتراك والمماليك وبين المماليك وعامة الشعب وبين المماليك والمماليك بل يرسم هذا الصراع بين عناصر الأسرة الواحدة .

وقد جسد المؤلف رمزية الصراع على المستوى الأصغر فى هذا التناقض بين المملوك مصطفى ابداكش وزوجته التركية

التى تريد ابنا ذكرا تجعل منه حاكما بعد أبيه وهى تحتقر هذا المملوك ولا تقيم له وزنا . ويلعب الشيخ السنهورى ممثل السلطة الدينية دوراً منافقا مذبذبا وهو لا يقدر على المحافظة على مصالح الرعية من الناس التى تراه ممثلا للحق الالهى على الأرض وتتخذ من بيته ملاذا عند المحن غير أنه يعجز عن القيام بهذا الدور حين يستثمر وضعه المتميز لترسيخ سلطته وزيادة ثروته والانحياز كلية الى مصالحه على حساب مبادئه وتدور اللعبة بين العناصر الأربعة الاتراك فى القلعة ــ المماليك فى القلاع الريفية رجال الدين فى قصورهم والشعب فى الوحل ، تدور اللعبة على النحو التالى . يضغط السلطان العثمانى فى الأستانة طالبا الأموال التى تساعده على حرب السكوب أى الروس وشرق البلقان فيستدعى الوالى التركى فى القلعة المماليك الذين يقومون بأعمال المحافظين والمشايخ والتجار لمطالبتهم بجمع الأموال ويذهب هؤلاء إلى مواقعهم ينهبون ويضربون ويذبحون وهم لا يجمعون نسبة محددة فى أوقات محددة وإنما الأمر كله مرهون بالمطالب السلطانية وحالات الطوارىء التى تعلن دائما لكل ما يجد فى مصر او تركيا ويجمع المماليك الأموال لا لتسليمها بل لابد من اقتتطاع جزء كبير لحياتهم المترفة وقلاعهم الغاصة بجنودهم الذين يحرسون أموالهم وحريمهم .

إن القسوة التى تتم بها اللعبة تبدأ بالتهديد الغليظ وتنتهى بالخوزقة والسجن والقتل وتتدرج اللعبة من القلعة إلى المراكز لتصب فى النهاية فوق رأس الفلاح المصرى . إن النهب بلا توقف حتى يضطر الناس فى النهاية إلى أكل لحوم القطط والكلاب إلى أن تصل الوحشية وصراع الوجود إلى التهام الأجساد البشرية عندما اجتاح الطاعون أرض مصر بسبب المجاعات والجفاف والقتل والدمار . أن المنصور أبو حجاج وهو رجل شجاع يمثل الشعب المصرى فى نماذجه الجسورة لا يجد أمامه سوى أن يتحول إلى لص لكى يحصل على طعامه بعد أن سدت أمامه كل الطرق المشروعة لقد حاول أن يعمل بشرف ولكنه طرد من السبيل الذى ذهب للعمل به فى القاهرة ووجد أن عليه أن يعانى صاغرا العار والذل والجوع وأن يتقبل راكعا كل الظلم الذى يلحق به وبأهله وببلده وتحول إلى قاطع طريق ولكن سلطة المملوك برعاية الشيخ السنهورى تنال هذا الفاتك وتقوم بتقطيع يديه ورجليه من خلاف ثم تقوم بخصيه ليعيش ذليلا عاجزا أمام زوجته التى تحتقره وتعتبره عالة عليها ومصدرا لتعاستها حتى انها تستسلم للشيخ السنهورى وتنجب منه بدرية .

ان الصورة تتغير الى الأسوأ بعد أن يصل من تركيا حسن القبودان الذى أوفده السلطان العثمانى للإسراع بدفع الجزية التى ابطأت بسبب الجفاف والطاعون والمجاعات وتدور الصراعات الدموية بين الجيش العثمانى وجنود مراد بك وإبراهيم بك وتطحن هذه الحروب الشعب المصرى الذى تنهال عليه القوارع . لقد أفرد المؤلف صفحات ليحلل ظاهرة المملوك من أين أتى وكيف جاء إلى مصر وذلك من خلال تتبعه لجذور شخصية عسكرية كان إسمها فى بلادها البوسنة ايليا وكيف بيع إيليا فى أسواق النخاسة حتى وصل إلى مصر وفيها تعرض لألوان من الهوان قبل أن يتم ترويضه وإدخاله الخدمة ويرى أيليا هذا أن اعتناق الإسلام هو أفضل وسيلة للتكيف مع هذا العالم الغريب حيث يصبح فى خدمة أسياده تمهيدا لأن يكون سيدا هو الآخر باسم حسين الأشقر . وتدور اللعبة بوحشية ، يتراجع المماليك بجنودهم وقوادهم إلى صعيد مصر ويتحصن مراد وابراهيم بقرى المنيا إلى أن يتم لهم الانقضاض عن طريق الخيانة والغدر مرة أخرى على القاهرة وبينما يتوارى المنصور أبو حجاج يظهر عبد المحسن الذى يواصل التمرد بقطع الطريق واللصوصية بينما تنحرف النساء .

إن المؤلف يجعل من نهر النيل نهرا مقدسا خالدا شاهداً على كل ما يجرى على هذه الأرض وهو ينقل صفحات من التراث حول هذا النهر الغامض الذى نحدى كل شىء يقول المؤلف عن النيل :

النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق هناك نهران أحدهما يجرى إلى أرض الهند ويسمى مهران وقد استدلوا عليه بما فيه من تماسيح وضفادع ويقال إن فرعون نقروأش الجبار ابن مصر ابيم توجه إلى منبع النيل وعمل هناك تماثيل من نحاس عدتها خمسة وثلاثون تمثالا جامعة للماء حتى يخرج بمقاطع أذرع معلومة ليكون فيها الصلاح لأرض مصر دون إفساد ، وقيل لولا أن ماء النيل يمر فى الماء المالح لشرب من مائه ما هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن لكن لله فى ذلك حكم ، فلولا الليمون لوخم أهل مصر من حلاوة النيل وماتوا لكن حموضة الليمون تمنع الصفراء ويقول كعب الأحبار إن فراعنة مصر القدامى قد أمروا أقواما بالسير إلى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا إلى جبل الماء ينزل من أعلاه له دوى وهدير حتى لا يسمع صوت من بجانبه كما أن واحدا من القوم صعد إلى أعلى الجبل لينظر ما وراءه فلما وصل إلى أعلاه صفق بيده وضحك ثم مضى ولم يعلم أصحابه ما شأنه ثم إن رجلا آخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صعد كى يرى ما وراء الجبل فكان له ما كان لصاحبه ولم يعلم أصحابه ما شأنه فصعد الثالث وقال لأصحابه اربطونى بحبل من وسطى فإذا ما وصلت إلى ما وصل إليه أصحابى وفعلت ما فعلوا فاجذبونى بالحبل فأعود ففعلوا ولما صار فى أعلى الجبل صفق بيده ضاحكا وأراد أن يمضى فجذبه أصحابه فنزل عندهم فلما وصل خرس لسانه ولم يرد جوابا وأقام ساعة ومات فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك من أخبار النيل .

لقد تعرض المؤلف لهذه الأساطير التى لعب الخيال دورا أساسيا فى صياغتها ليجعل من النيل عنصر البقاء الأساسى إذا كان الإنسان يتعرض للقتل والطاعون والذبح أما هول الغزو والبطش وكأن النيل فى هذه الرواية التى جعلت منه عنوانا لها هو رمز الأمل والخلود والقداسة وهى ثلاثية تؤكد انتصار الحياة على أرض النيل مهما كانت بشاعة الواقع الذى جسده المؤلف . لقد أدار الكاتب الصراع الدموى لا من خلال رواية تاريخية بل من خلال مشاهد مروعة لبشر يأكلون بشرا وحرائق تلتهم القصور ونساء يقتلن أزواجهن كما قتلت الأميرة زوجها مصطفى ايداكش لأنه تزوج بأخرى من أجل أن ينجب ولدا . ونرى المكيدة تصل إلى قتل الطفل الصغير بثعبان الغجر المأجورين حتى لا يرث السلطة .

إن هذه الملحمة التى ينتصر فيها الماء رمز الخير والنيل رمز البقاء على الشر والجريمة والطاعون تؤكد أصالة هذا الكاتب بل إن هذه الرواية ترتفع فى قدرتها التجسيدية إلى مستوى الروايات الكبرى التى عالجت الاحتلال العثمانى مثل رؤية الحرية والموت لكازانتزاكى وجسر على نهر درينا لا يفواندريتش ، إنها رواية هائلة فقد نجح المؤلف فى جعل التاريخ واقعا حيا من خلال موهبته فى رسم الشخصيات بأبعادها الخارجية والنفسية وعلاقتها بالمكان والزمان والمجتمع المحيط . إن القدرة البصيرة لدى الكاتب تنافس قوة البصرية فى روحه التى هضمت ما يقرب من ثلاثين عاما من العنف والوحشية والضراوة قبل أن يجلس حسن الأشقر فى نهاية الرواية بأعلى البرج لينظر أمامه بذهول حيث غمر النيل الدلتا بفيضانه وفى حين بقيت منوف جزيرة عائمة يلهو الأطفال على سطحها ودروبها ، فقد انمحت آثار أرضه المسحورة . لقد سحقت القوة الشريرة قوة الشعب المصرى غير أن الطبيعة قد انتصرت فى النهاية لتقول لهذا الغازى إنك مجرد لحظة من التاريخ أما الأبدية الخضراء فهى لهذا الشعب . لقد نجح المؤلف فى خلق موقف درامى متفجر لأحداث التاريخ فلم يهتم بالسرد بل ركز جهده على خلق الشخصيات وغاص خلال وجدانها وساح طويلا فى تاريخها .

وقد نجحت اللغة التى استخدمها من الحذلقة التاريخية فلم يستسلم كلية للغة ذلك العصر الذى يصوره ، كما لم يهجر أساليبه حتى لقد اقترب من نبض عصرنا وعصرهم بمهارة نادرة تمثل الصدق الفنى فى الرواية فى الارتكاز على ثروة هائلة من المعارف الشعبية والتقاليد والعادات وكان يستجيب بشجاعة لدوافع الموقف التى تفرض عليه أن يستخدم ألفاظا قد يراها البعض سوقية أو بذيئة ولكنها هى وحدها الألفاظ الدالة على ما يريد وهى وحدها التى تليق بالحدث وبطبيعة الشخصيات خاصة عندما واجهت بدرية أمها صديقة عندما علمت أن أباها ليس المنصور أبو حجاج الأكتع كما عاشت تعتقد بل الشيخ السنهورى من علاقة آثمة .

إن الرواية تفيض بهذا الخيال الحر الجرىء الذى يرتوى من قراءة ذكية لوقائع التاريخ ومعايشة حميمة لأحداثه وحذر بارع فى طريقة توجيه هذه الأحداث . لقد مزج الكاتب الخرافة بالواقع وشحنها بمعارف ذلك الزمان بحيث بدا أن المسافة بين الكاتب وأحداث روايته ضيقة للغاية ورغم أن القارىء يكتم أنفاسه وهو يلهث ليتتبع مصير الشخصيات وهو يتعاطف معهم أو يلعنهم إلا أن المؤلف قد ظلل اللوحة التاريخية كلها بلون أسود بحيث بدت الأحداث فى تلاحقها وكأنها أكبر بكثير من طاقة الزمن الذى وقعت فيه وبدت القسوة والوحشية وكأنها فوق قدرة إنسان يملك أى قدر من الشعور والإخلاص والضمير . إن انطفاء المقاومة الشعبية وتحولها كلية إلى لون من اللصوصية أو الخداع عند أبناء الشعب المصرى فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر لا يمثل الواقع التاريخى ، وكذلك توقف دور رجال الدين عند حدود مافعله الشيخ السنهورى ، يمثل كارثة لأن رجال الأزهر فى ذلك الوقت كانت لهم مواقف ثورية وكانت هناك شبه محاولات لخلق وثيقة دستورية توضح الحقوق والواجبات كما ذكر الجبرتى عن وثيقة ابراهيم ومراد فى عام ١٧٩٤ . إن الوحشية التى صور بها المؤلف الولاة العثمانين والمماليك توشك أن تتحدى قدرة الصدق التاريخى رغم أننى مفعم بالاقتناع بالصدق الفنى وهذا يمثل حرجا جديدا للعلاقة بين الفن والتاريخ . إن الحياة فى هذه الرواية تتعرض لعاصفة ساحقة من الدمار ولا تطلعنا على وسيلة للنجاة وكيف قدر للتاريخ المصرى أن يواصل البقاء بل ويثور فى وجه الغزاة الفرنسيين بعد أحداث هذه الرواية بأقل من ثلاث سنوات . إن الرواية تتوقف بالضبط عند مقدم الحملة الفرنسية وقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برع المؤلف فى تصوير المشهد الختامى الرمزى على هذا النحو فى عام ١٧٩٨ م وبعد أربعة أعوام من الطاعون الأخير جلس طفل فى الرابعة من عمره يلهو بكرة صنعت من الخرق البالية وجمعت بشدة بحبائل التيل الرفيعة على رأس غيط أبيه السيد حسن البقلى نادى عبد الله خولى الزراعة على ابن أخته بدريه وابن سيده حسن البقلى عبد القادر : ياعبد القادر لكن الطفل لم يسمعه إذا أنه ألقى بالكرة بعيدا فسقطت فى منتصف الطريق الذاهبة الى طملاى سمع عبد الله صراخ ابن اخته بدرية فخرج يستطلع الأمر . فى الخارج عبر عبد القادر القناه الصغيرة بصعوبة بعد أن خاض فى وحلها ثم صعد الجسر إلى الطريق ليحضر كرته . انحنى الطفل لأسفل ومال ممسكا بها شاهد أمامه وعلى مبعدة خمسين ذراعا ثلة من الفرسان الغرباء تطلّع إلى حللهم الزاهية الألوان وخوذهم النحاسية المصقولة المظللة بالريش الملون تلمع تحت الشمس . كان أول من بلغه فارسان هبطا اليه وهما يضحكان ويتحدثان بلغة غريبة عن أهل البلاد .

ـــ فرانسو هاهو بطلنا .

رد عليه صديقه ساخرا :

ـــ المدافع الوحيد عن المدينة .

ضحك فرانسوا .

ـــ أخبر الجنرال دزريه إذن بوجود مقاومة للحملة الفرنسية .

إن هذا الختام الباسم لرواية جحيمية يؤكد أن المؤلف يشير إلى أننا مقدمون على فصل جديد تماما من الملحمة التاريخية للشعب المصرى . لقد وقع المؤلف فى عدد لا يستهان به من الأخطاء اللغوية وجدير بهذا العمل الهائل أن يخلو من هذه الأخطاء . إن نهر السماء رواية فذة تجسّد فصلا داميا من فصول صمود الشعب المصرى وترتفع إلى روائع الأدب الكبرى فى تناول التاريخ المعاصر وتضمن لكاتبها فتحى امبابى مكانا متميزا بين الروائيين العرب .

القاهرة : محمد ابراهيم ابو سنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنويعات في الواقعية

صلاح عبد السيد في مجموعته الجديدة « العصفور »

● د. حامد أبو أحمد

هذه هى المجموعة الرابعة للكاتب صلاح عبد السيد ، قد صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب هذا العام ١٩٩٠ ، وتضم إحدى وثلاثين قصة قصيرة نشرت كلها مفرّقة فى المجلات والصحف المصرية والعربية خلال الفترة من عام ٧٧ حتى عام ١٩٨٤ . ولكن الجانب الأكبر من هذه القصص يعود إلى عامى ٨١ (عشر قصص) و ٨٣ (سبع قصص) ، بينما يضم كل عام من الأعوام ٧٩ و ٨٠ و ٨٢ و ٨٤ ثلاث قصص ، وقصة واحدة لكل من عامى ٧٧ و ١٩٧٨ وعلى أية حال فإن اهتمام الكاتب بوضع تواريخ نشر القصص واسم الصحيفة أو المجلة يعطى انطباعا بأنه حريص على أن توضع كل قصة فى إطار وضعها الزمانى ، وهذا يمكن أن يسهل المهمة كثيرا على النقاد عند دراسة التطور الإبداعى لأعمال صلاح عبد السيد .

وإذا قارنا هذه المجموعة من حيث تواريخ النشر بالمجموعة التى صدرت قبلها مباشرة وهى « صراع » (١٩٨٨) نتبيّن أن القصص المنشورة فى مجموعة « صراع » تعود إلى الفترة من عام ٧٨ حتى عام ١٩٨٧ وإن كانت أغلب القصص منشورة خلال الأعوام الأربعة من ٨١ إلى ٨٤ (ثلاث قصص فى كل من السنوات الثلاث الأولى وست فى عام ٨٤) بينما نشرت قصة واحدة عام ٨٧ ، وقصة واحدة أيضا فى كل من عام ٨٦ و ٧٨ ، وقصتان فى عام ٧٩ (يبلغ عدد قصص المجموعة ٢١ قصة) . والمقارنة فى هذا الصدد تدلنا على أن القصص المنشورة فى مجموعتى صراع والعصفور مكتوبة كلها فى فترة واحدة هى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات وإن كانت أغلب قصص المجموعة الأخيرة « العصفور » منشورة قبل أغلب قصص المجموعة التى قبلها صراع (١٧ قصة ـ كما ذكرنا ـ تعود إلى عامى ٨١ و ٨٣ فى مجموعة « العصفور » ، وست قصص تعود إلى عام ٨٤ فى مجموعة « صراع » ، فضلا عن أن هناك قصة منشورة فى عام ٨٦ وأخرى فى عام ٨٧ بالاضافة إلى قصتين بدون تاريخ وهما « أيها الناس » والمستنقع ومن اللغة المستخدمة فيهما والتى توظف العناصر الصوتية لتكرار الجملة فى البناء الفنى للقصة نرجح أنهما تعودان إلى فترة متأخرة كان صلاح عبد السيد قد وصل فيها إلى شكل من أشكال الكتابة يعتمد على أمرين فى غاية الأهمية وهما : الاعتماد على الجانب الصوتى فى بناء القصة كما ذكرنا ، والوصول إلى لغة تستلهم لغة الكلام العامية وتحاول أن تشكلها فى بناء نحوى وصرفى يقربها من اللغة الفصحى .

وهناك سبب آخر يجعلنا نرجح أن مجموعة العصفور يمكن أن تكون ، فى معظمها ، سابقة زمنيا على مجموعة صراع المنشورة قبلها هو أن صلاح عبد السيد قد قدم فى مجموعة صراع عددا كبيرا من التقنيات المستحدثة فى معظم القصص تقريبا ، بينما نجد فى مجموعة العصفور أن التقنيات المستحدثة قد استخدمت على استحياء فى عدد من القصص

من أهمها قصة التحقيق التى حشد فيها جملة من التقنيات كما سوف نوضح فيما بعد وإن كان تاريخ نشر هذه القصة (١٩٧٨) - يجعلنا نعيد النظر فى مسألة السبق الزمنى وارتباطها بالتقنية القصصية لأن هذا التاريخ المتقدم نسبيا يمكن أن يدل على أن صلاح عبد السيد قد بدأ فى نهاية السبعينيات مرحلة يحاول فيها إدخال تقنيات حديثة على قصصه ، وأنه ربما يكون قد تخلى عن ذلك قليلا فى الثمانينات وهناك احتمال آخر - وهو ما أرجحه - وهو أن صلاح عبد السيد كاتب موهوب يترك نفسه دائما على سجيتها ولا يعمد إلى استخدام هذه التقنية أو تلك ، وإنما التجربة القصصية فى شروطها الزمانية والمكانية هى التى تفرض عليه هذا الأسلوب أو ذاك وهذه اللغة أو تلك .

وسواء صح هذا الاحتمال أو ذاك فإن الشىء المؤكد هو أن صلاح عبد السيد فى مجموعتيه الأخيرتين صراع ثم العصفور قد حاول أن يتجاوز رؤيته الواقعية وأسلوبه الواقعى الخالص فى مجموعتيه الأولى الجثة (١٩٨١) ، والثانية غربة (١٩٨٦) ، ليزاوج بين مجموعة من الاتجاهات ، ويجرب أنماطا متباينة من القص تثرى أعماله الفنية وتمنحها أبعادا إنسانية قيمة .

ومن ثم أتوقف كثيرا إزاء تصنيف صلاح عبد السيد ضمن تيار الواقعية بمفومها التقليدى فى القصة القصيرة وأرى أنه قد تجاوز هذا التيار إلى واقعية أكثر عمقا وأكثر إيغالا فى جانب الفن فى مجموعتيه الأخيرتين ، أو بتعبير آخر يمكن أن نقول إن صلاح عبد السيد قد تخطى واقعيته الأولى إلى واقعية أكثر حداثة لأنه مثل كل كتابنا يستفيد من الاطلاع على كل الأساليب فى وقت واحد . ومعروف أن الواقعية قد تطورت خلال العقود الأخيرة تطورا كبيرا : فهناك الواقعية التى تثرى الاتجاه الواقعى بمجموعة أخرى من اتجاهات الحداثة فى الرواية وفى القصة القصيرة على السواء . ولنأخذ مثلا من الرواية . يقول أديبنا الكبير نجيب محفوظ وهو يتحدث عن رواياته الواقعية الأولى كانت كل الأساليب أمامنا فى وقت واحد . فعندما نشرع فى الكتابة قد نستفيد من أى من الطرق التى عرفناها ودخلت فى آلية المشى عندنا بدون وعى . فعندما أكتب قد أستفيد من الواقعى التقليدى ، من الواقعى الحديث ، من تيار الوعى ، من .. ، من لأننى قرأت كل هذا فى فترة واحدة ، بمعنى أن التجارب التى عاشتها أوربا مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة أطلعت عليها أنا فى عشر سنوات . وبهذه الطريقة استفدت من أكثر من أسلوب روائى ، ومن كل فى لحظة ، أى فى اللحظة المناسبة حتى لنجد فى الثلاثية لحظات سريالية[١] وهناك الواقعية السحرية التى ازدهرت فى أمريكا اللاتينية على يد ميجيل آنخل استورياس وخاصة فى روايته سيدى الرئيس ، ورجال من الذرة وجابرييل جاريثا ماركيز فى مجمل أعماله من جنازة ماما الكبيرة إلى الكولونيل لا يجد من يكاتبه إلى مائة عام من العزلة إلى كتاباته فى القصة القصيرة ... وهناك الواقعية بمفهومها الكافكوى أى إقامة نوع من التوازى بين عالم الفن وعالم الواقع ... وهكذا تتعدد صور الواقعية وتتباين بشكل يثير الدهشة .. ساعد على اكتشاف هذه الصور المتعددة التقدم المذهل الذى شهدته البشرية خلال العقود الأخيرة فى جميع مجالات البحث والإبداع .

وسوف يتضح لنا من خلال تحليلنا لمجموعة العصفور أن صلاح عيد السيد قد نجح نجاحا كبيرا فى محاولته تجاوز واقعيته الأولى إلى واقعية أكثر حداثة . ولتنوع الأساليب فى هذه المجموعة رأينا أن أفضل طريقة لنقدها هى تقسيمها وفقا للخصائص البارزة فى كل مجموعة من القصص أو الخصائص التى تميز كل قصة على حدة فى عدد منها ، ومحاولة إبراز الفروق وتوضيح النمط السائد ، وإن كنا نحب أن نؤكد أن الواقع هو الأساس الذى ينطلق منه صلاح عبد السيد دائما ليصنع هذه المنظومة أو تلك ، ولكن القرب أو البعد بالنسبة للواقع يختلف من قصة إلى أخرى ومن أسلوب إلى آخر حسب التشكيل اللغوى والعرض الأسلوبى والنزعة الجمالية .

القصة .. الأمثولة

ونتوقف أولا عند قصة نعدّها من أروع قصص المجموعة هى قصة الوباء التى تبدو وكأنها تنطوى على لغز ، كما تبدو كأنها حكاية واقعية بالغة التشويق إلى حدّ يدفع القارىء إلى تعجّل النهاية لكى يكتشف سر هذه الدولارات ، المحترقة التى يعثر عليها الزبّال محمود فى صفائح الزبالة . ولكن ما إن يصل القارىء إلى النهاية حتى يدرك أن القصة ترمز إلى واقعٍ ما يدينه الكاتب ، هو ارتباط الناس جميعا بالدولار وانشغالهم به وقد استطاع صلاح عبد السيد هنا أن يبدع الواقع الرمزى أو الرمز الواقعى - ربما على طريقة كافكا — واستخدم خياله الخلاق ليصنع هذه الأسطورة حول الدولار ، ذلك أن الدولار فى أيامنا الحاضرة يمارس نوعا من السيطرة الواضحة أو الخفية فى كل بلدان العالم وخاصة فى العالم الثالث . ومازلت أذكر حديثا أُجرى مع الكاتب العالمى جاريثا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماركيز ونشر بجريدة البابيس الإسبانية فى شهر أغسطس ١٩٩٠ قال فيه : إن الناس دون أن تدرى تلعب نفس اللعبة الأمريكية ، فهذا ما تفعله أوربا الآن ، وكان يشير بذلك إلى أزمة الخليج .

وقد ربطت بين قصة الوباء وبين الأمثولة لأسباب كثيرة من أهمها أن الأمثولة ـ كما نعرف ـ قصة لها مغزى واضح ، وهذا ما نراه أيضا فى قصة الوباء التى تهدف إلى فضح واقع محدد . كما أن هذه القصة قد أخذت شكل الأمثولة من جهة الشخصية وطريقة تفكيرها ودفعها تجاه غاية معينة ومحددة سلفا . ويخطىء من يظن أن هذه القصة مجرد قصة واقعية لأن مشاهد القصة نفسها لايمكن أن تكون واقعية ، والشخصية الرئيسية فيها وهى شخصية الزبال أبعد ما تكون عن الواقع . فهل يمكن أن نعثر فى الواقع على زبال يعثر على دولارات محترقة من أحد أطرافها فى صفيحة الزبالة فيطرق الباب على أصحاب الشقة وتخرج له امرأة كل ما فعلته أنها تثاءبت وأغلقت الباب . ثم أنه يعثر فى صفيحة زبالة أخرى لجيران آخرين على دولارات من هذا النوع أيضا ، وتتكرر المسألة ، وتشغله حتى تملك عليه كل تفكيره فيذهب إلى صاحب كشك على الناصية ويتفق معه على أن يعطيه الدولارات المحترقة الأطراف فى نظير أن يسلمه نصف عددها سليما ، فيضع هذه الدولارات السليمة فى صفيحة جار آخر هو محمد افندى ، حتى بلغ جملة ما وضع له من دولارات خمسين دولارا كان الرجل يأخذها ولكن صفيحة زبالته ظلت كما هى لا تمتلىء إلا بعيدان الجرجير ، حتى لقد فكر الزبال أن يطرق عليه الباب ويقول له يارجل الا تنوى أن تبطل عادة الجرجير هذه ؟! وهمَّ فعلا أن يفعل ذلك ولكنه عثر فجأة فى قعر صفيحة محمد أفندى على الخمسين دولارا محترقة الأطراف وكان موضع الاحتراق على الأطراف منتظما .

القصة إذن كما نرى بمشاهدها وبشخصيتها الرئيسية أبعد ما تكون عن الواقع . إنها أمثولة اخترعها الكاتب ، مثلما يُخترع القصص على لسان الحيوان ، لهدف معين يُقصد إليه . ومثل هذا القصص يكون ارتكازه على الرمز أكبر بكثير من ارتكازه على الواقع .

تحوير الواقع

وتقديم الواقع على شكل أمثولة يحدث فيه نوعا من التحوير أى نقله من منطقة الواقع إلى منطقة أخرى تعلو عليه مثلما يحدث بالنسبة للغة عندما تنقل من مستوى الكلام العادى إلى المستوى المجازى والاستعارى فى اللغة الشعرية .

ولا يقتصر التحوير عند صلاح عبد السيد فى هذه المجموعة على استخدام شكل الأمثولة وحده ، وإنما يتعدى ذلك إلى وسائل أخرى مثل اللغة الشعرية أو توظيف الأصوات اللغوية فى البناء الفنى للقصة ، أو استخدام أسلوب الجروتيسك (تضخيم الحدث أو الشخصية ، ويقترب كثيرا من فن الكاريكاتير) .

وأبرز مثال لتوظيف اللغة الشعرية نجده فى قصة العصفور التى تحمل المجموعة عنوانها فهذه القصة مرتبطة بالقصة التى قبلها وهى تكاد تكون قصيدة شعرية ، وإن كان هذا لا يؤثر تأثيرا فى بنائها القصصى . وهى أفضل بكثير مما يكتب من الشعر ، ويمكن أن تنسب إلى الشعر المنثور . إنها ذات بناء شعرى متكامل فى اللغة ، والتحليق الشعرى ، والتناول الفنى ، وانسيابها فى الفضاء الكونى والإنسانى ، ووصفها لعالم الأشواق النبيلة والرغبات المكبوتة . فالطفلة الصغيرة التى تعمل خادمة تقيم علاقة حميمة مع عصفور على نحو ما نقرأ فى هذا المقطع الأول :

كان العصفور الصغير يأتى إلى شباك المطبخ كل صباح .. فينقر عليه من الخارج .. وهو يزقزق فى فرح .. فتسرع الطفلة الصغيرة الخادمة بفتح الشباك وهى تنادى عليه : تعال ياعصفورى الصغير .. وكان يأتى .. إننى أحبك ياعصفورى الصغير .. وكان يأتى ..

ولكن سيدتها كانت تضربها وتمنعها من اللعب ، وأرادت أن تضرب العصفور فلم تستطع ، فأغلقت شباك المطبخ ودقت عليه خشبة بالطول وخشبة بالعرض . ولكن العصفور تسلل إلى الطفلة من تحت عقب الباب ودخل إلى المطبخ حيث تنام صغيرته ، فدخل معها تحت الغطاء وأخذ يغنى لها ، وينقر أصابعها الصغيرة ويدخل فى عبها .. فتضحك الصغيرة وتكركر فى سعادة .

ومن أمثلة توظيف الأصوات اللغوية فى البناء الفنى للقصة ، بما يُحدث أيضا من تحوير فى الأسلوب الواقعى ، نذكر أربع قصص تسود فى كل منها هذه الطريقة منذ بداية القصة حتى نهايتها ، وهى الذبابة و (أين الهواء) و (الإجهاض) وإنه يشبهك تماما ولنتوقف عند إحداها ولتكن قصة الذبابة وقد برزت فيها خاصيتان : من الناحية الشكلية خاصية توظيف الأصوات المذكورة ، ومن ناحية المضمون إحداث نوع من التماثل بين الذبابة التى تضايقه والشخص الذى يضايقه أما عن توظيف الأصوات اللغوية فإن الكاتب يلجأ إلى أسلوب التكرار المتوالى للجمل . يقول . على سبيل المثال :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوقائع فى راسى .. ما زالت فى راسى ... : ـــ هو فى فراشها عاريا .. وهى تدارى لحمها تحت الغطاء .. الوقائع فى راسى .. ما زالت فى راسى : ـــ هو يتهته راجيا ـــ تلك هى المرة الأولى ـــ وهى قد اختفت تحت الغطاء .. الوقائع فى راسى .. ما زالت فى راسى : ـــ هو يدور حول راسى محاولا إغرائى ـــ سأرقّيك ـ هو يزنّ حول راسى ـ سأجعل منك ـــ هو يدور حول راسى ... .

فهذا التكرار لجملة معينة أو لعدد من الجمل أو الكلمات يقصد به التأثير على القارىء صوتيا ، والإلحاحا عليه ـ بمنطق جمالى طبعا ـ فى التفاعل مع القصة ومشاركة الشخص الأول فيها همومه ومشاكله وهناك فى العالم حاليا اتجاه يطلق عليه اسم الواقعية اللغوية وهو يدخل ضمن مايسمى باتجاهات الواقعية البنائية ويتعامل أصحاب هذا الاتجاه مع اللغة الحية وكأنهم فى معمل ، ويرون أن اللغة هى المادة الأولى للعمل ، وهى لحمته وسداه ، وفيها يتركز كل الخطاب الأدبى ، ورسالة القص وهدفه . إنهم يعملون من أجل إعادة إبداع الكلمة كهدف فى ذاته ، وليس بصفتها وسيلة أو أداة للعمل الأدبى . وهذا الموقف يتفق تماما مع كثير من أسس علم الأسلوب الجديد ، كما أن هؤلاء يتفقون فى وضع متواز مع مدارس التصوير المعاصرة التى تجعل من اللون فى ذاته هدفا وغاية للعمل الفنى[٢]

أما أسلوب الجروتسك GROTESQUE فنجده فى قصة الرائحة والجروتسك ـ كما ذكرنا ـ يعنى تضخيم المشهد أو تكبيره حتى يكون أكثر دلالة وأبعد تأثيرا فى التعبير عن الواقع . فهنا لكى يعبر الكاتب عن شدة الحاجة والعوز عند بطل هذه القصة (الشاب المتنقل من قرية إلى أخرى ليعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية) يصوره وهو لا يمتلك مكانا يقضى فيه حاجته ، حتى لايجد فى النهاية إلا قرطاسا يصنعه من ورق الكراسة يقضى فيه هذه الحاجة التى تلح عليه بشكل غير عادى وهو حتى مع القرطاس مطالب بأن يعثر له على مكان يرميه فيه وفى سبيل هذا يتعرض لمواقف مضحكة مبكية فى آن واحد . إن ما فعله الكاتب هو أنه التقط لحظة واقعية ثم عمل على تضخميها وتكبيرها . ومن ثم يجد الناقد نفسه إزاء نوع من الواقعية مختلف اختلافا بيّناً عن الواقعية المألوفة إنها الواقعية على طريقة الجروتسك . وهى طريقة برع فيها عدد كبير من الكتاب الأجانب أذكر من بينهم الكاتب الإسبانى دون رامون ماريًا دل فاى انكلان . وقبل أن نترك هذه القصة نود أن نشير إلى أن موضوع الرائحة يكاد يمثل لازمة من اللوازم المعروفة عند صلاح عبد السيد والرائحة عنده تأتى فى العادة نتنة ومنفرة . نقرأ فى هذه القصة : كانت لأجسادهم رائحة عطنة كرائحة السماد المكتوم : كان المرحاض ضيقا ، وكانت رائحته لا تطاق : فى الصباح كانت رائحة الحجرة لا تطاق .. فى الليل هبت الرائحة علىّ وكادت تخنقنى وفى قصة هو ... هم نقرأ : وشممت رائحة البصل المتخثر تفوح من فم المحقق وهذه الرائحة كانت تفوح من فمه .

وفى قصة الطعام الفاسد من مجموعة صراع يحاول صلاح عبد السيد إبراز خاصيتين من خصائص المدينة هما العرج ورائحة الطعام الفاسد . وبالرغم من أن بطل القصة قد تعود على ذلك بعد فترة من وصوله إلى المدينة فإنه عندما عاد إلى القرية لمحت أمه فيه عرجا وشمت رائحة طعام فاسد . فالقاص إذن لا يتحدث عن عالمى المدينة والقرية بصورة مباشرة وإنما يقتنص واقعة أو شيئا ماديا ليوحى بفساد عالم المدينة فى مقابلة عالم القرية المستقيم النظيف .

القصة / الصورة

وفى مجموعة العصفور نعثر على قصتين كل منهما ترسم صورة جيدة عن الريف المصرى وعادات أهله وطباعهم وطريقتهم فى التفكير هما قصة السفروت وقصة الذى لن يعود وفى قصة السفروت يقدم الكاتب وصفا لحياة أسرة ريفية الأب فيها جبار متسلط ، يتحكم فى أولاده وفى كل ما حوله حتى الحمارة . ومن أول سطور القصة ندخل منطقة التصوير :

يقول الولد صالح مضحك قريتنا : لو ضحك الشيخ عطا لأمطرت السماء فى التو .. لم يكن الشيخ عطا يبتسم .. كان جهما .. عظمتا وجنتيه حربتان .. وعيناه تبخّان نارا .

وفى أول القصة أيضا نصادف طريقة تعامله مع الحمارة :

يعض الشيخ بساقيه على بطن الحمارة .. وكلما تباطأت يزغدها بكعب الحذاء فتسرع فى مشيتها .. وهى لا تستطيع إلا أن تسرع لأنها تعرف الذى سيحدث ... سينزل فى التو .. ويطبق بيديه الكلابتين على فكيها .. ويلوى رقبتها .. ضاغطا بكل ثقله على الرقبة .. فترتمى على الأرض وهو فوقها .. وبحجر من الطريق يهوى على فكيها حتى يتدفق الدم منهما .. وهو يلهث وعيناه تزدادان احمراراً وصدره يرتفع وينخفض .. وتخرج رغوة من فمه .. وترتج الكلمات مع كل هبدة حجرة : ياحمارة الكلب .. الكلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا تمضى مشاهد القصة على هذا النمط التصويرى مشهدا بعد مشهد حتى تنتقم منه الحمارة فى النهاية برفسة قوية ، ويتجرأ عليه الولد السفروت ، أشجع إخوته . وكلمة السفروت تعنى النحيل الضئيل ، ومع ذلك فإنه هو الوحيد الذى ينطوى على قوة نفسية كبيرة .

وفى قصة الذى لن يعود .. ينهج الكاتب أيضا هذا النهج السردى ولكنه يقسم القصة إلى ثلاثة مشاهد : المشهد الأول عن صناعة الشعرية أمام باب الدار ، وكانت هى الحلوى التى يستمتع بها الريفيون من وقت لآخر . والمشهد الثانى عن طحن الأرز الشعير وما يسبق ذلك من تجهيز ، والمشهد الثالث عن تزغيط أو تسمين الذكر البط ، وكانت الأم تفعل كل هذا من أجل ابنها الذى يعيش فى البندر ويعود إلى زيارتهم من آن لآخر . ولنأخذ أحد هذه المشاهد لنرى كيف يقدم الكاتب تصويرا يشبه التصوير بالكاميرا يقول : تصعد أمى إلى السطح .. وتمسك بطة بين يديها .. ثم تجلس على الأرض .. وتضع البطة تحت فخذها .. وتشد صفيحة (البعابيل) وتقرب منها كوز الماء .. ثم تفتح بإصبعيها السبابة والإبهام منقار البطة .. وتدفع فيه (البعابيل) وتدلق فيه الماء والبطة تتقلّص .. وتنتفض .. وتفز .. لكن فخذ أمى فوقها .. وفخذ أمى ثقيل .

وحضور الأخ أيضا يتحول إلى مشهد تصويرى : يجلس أخى الذى يحب الشعرية والأرز والبط السمين أمام الشعرية والأرز والبط السمين .. يشد الطبلية إليه .. ويدخل بساقيه تحتها .. فتصبح البطة تحت عينيه تماما ..

ولكن القصة تنتهى نهاية مأساوية . فالأخ قد مات ولن يعود . والأم لا تعرف ذلك ، لأن عقلها قد اختل وبصرها قد ذهب ولذلك ما زالت تطلب من ابنها الأصغر أن يجمع الغرابيل من الحارة وينادى على خالته وعمته وامرأة خاله ليفتلن الشعرية أمام باب الدار ، وتطلب منه أن يذهب لطحن الأرز فى وابور الطحين ، وأن يسمن البط الذى على السطح وأن يرعاه ، وهى لا تدرى الآن أيضا أن البيت لم يعد فيه شعرية ولا أرز ولا بط سمين : إنه أيضا عالم الفقراء والمطحونين الذى يعبر عنه صلاح عبد السيد خير تعبير .

وهاتان القصتان التصويريتان فى مجموعة صلاح عبد السيد تذكرانى بقصة من هذا النوع فى مجموعة الحنان الصيفى للأديب أحمد الشيخ هى قصة الشملولة او العمة فطوم التى لم تنجب ومن ثم ارتبطت ارتباطا كبيرا ببيت أخيها ، فهى تذهب إليهم فى ساعة مبكرة قبل الفجر ، وتبدأ فى ممارسة اهتماماتها المعتادة بهذا البيت ، فتدس يمينها إلى ما فوق الكوع فى حلوق الزلع وتذوق بطرف لسانها طعم المش ، ثم تنتقل من مكان إلى آخر ، فتنظر فى برانى السمن ، وتلقى بنظرة خاطفة على مخزون الأرز ، وتتحسس بنانى الحمام .. وهكذا ينقلنا الكاتب أيضا من مشهد تصويرى إلى مشهد آخر فى خفة وبراعة . وكلاهما يجعل من البيت الريفى مسرحا لهذه الجولة التصويرية التى تشبه جولة الكاميرا ، عندما تلتقط المشاهد لتصنع منها فى النهاية قطعة تصويرية متكاملة الأبعاد .

ويقترب من هذا النوع التصويرى ما يمكن أن نسميه بالقصة / اللوحة ويتمثل هذا النوع فى قصة واحدة هى النمل وهى قصة ترسم لوحة لرجُلٍ رحلت زوجته ، وولده الوحيد يضرب فى الأرض ولم يعد يرسل له كلمة ، وابنتاه قد تزوجتا ، وهو يريد المرور على إحداهما ليرى صغيرتها التى أحبها وارتبط بها لكن الظرف الزمانى (وقت الصباح الباكر) يمنعه فيعود إلى بيته ليجد النمل يجر صرصارا . ولنتوقف فقط عند هذا المشهد الأخير لنأخذ منه سطوره الأولى والأخيرة وحدها :

فى ركن الحجرة كان النمل يلتم على صرصار مازالت فيه بقية من حياة ، محاولا أن يشده داخل جحره .. كان جسد الصرصار أكبر من جحر النمل ، لكن النمل كان يحاول أدخاله . ابتعد بعينه عن النمل .... تمدد على سريره ، وشد الغطاء عليه . سمع التنهيدة تحت الغطاء كشف الغطاء عن وجهه . رأى النمل قد أدخل رأس الصرصار إلى جحره ، فى حين بقيت ساقاه فى الخارج تهتزان . أعاد الغطاء على رأسه .

وقد نجح صلاح عبد السيد نجاحا كبيرا فى أن يقدم قصة قصيرة على مثال لوحة الرسم . وليس هذا بغريب ، فقد تداخلت الفنون تداخلا كبيرا خلال العقود الأخيرة . وهو يستعين على رسم هذه اللوحة بالإطار وبالصورة ، وباللغة ، وتوزيع المشاعر والألوان ، وتصوير المشهد .

الإطار المرجعى

والإطار المرجعى الذى ينطلق منه صلاح عبد السيد فى كل قصص المجموعة ، بل وفى أعماله كلها هو عالم الفقراء والمقهورين ، وهؤلاء إما يعانون من حالات الفقر المدقع والضرورة القاسية ، وإما يتسعرَّضُون للمطاردات ، أو للضغوط المختلفة . نجد ذلك فى كل القصص مثل التحقيق والاحتواء والحذاء الضيق ، وأين الهواء والذبابة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والإجهاض .. ولن نستطيع التوقف عند اكبر عدد من هذه القصص ، ومن ثم نختار ثلاثة نماذج توضح هذه الموضوعات : الضغوط المختلفة ، والفقر المدقع أو الضرورة القاسية ، والمطاردة .

من أمثلة الموضوع الأول قصة الاحتواء وبطلها موظف فى ديوان حكومى يدفعه طبعه لأن يكون شريفا فتحق عليه اللعنة من رئيسه ومن زملائه ، ويصبح مهددا بالنقل ، فيقرر أن يوارب درْجَه كما يفعل الآخرون من أجل أن يسقط المعلوم ، لكنه يفشل فى فتح الدرج أمام العميل ، ثم يصر على فتح الدرج ، والدرج لا يُفتح ، ولايستفيد هو أو الآخرون من هذه العملية إلا الضجة والضوضاء .

ومن أمثلة الموضوع الثانى قصة التواطؤ والتواطؤ هنا هو تواطؤ الفقر والجوع والحاجة ضد الفقراء . وهذه القصة تكثيف لحياة بنت فقيرة تضطر الحاجة أباها لتشغيلها خادمة فى أحد بيوت الطبقة المتوسطة .

أمّا عن المطاردة فيمكن أن نتوقف عند قصة الذبابة أو الدوران حول الرأس المضغوط أو هو .. هم

فإن عالم صلاح عبد السيد وهذه القصص ليست إلا مجرد نماذج .كله عالم ينطلق فيه الفقراء والمطحونون على سجيتهم ، فيعبرون عن أشواقهم وطموحاتهم الصغيرة التى تتمثل فى كسرة من الخبز أو لحظة من راحة البال . ومن أبدع الجمل التى يصف فيها الكاتب وضع خليل فى قصة التواطؤ قوله :

حين فتش فى الدار عن شىء يبيعه لم يجد ..
وحين فتش فى الليل عن لقمة طرية لم يجد ..
لم يجد فى البيت غير القباقيب القديمة .. المنزوعة
السيور .. والسقف الذى يشلب ترابا .. والدكة القديمة
التى كلما اعتلاها خرج منها صوت كالأنين ..

وهذه الطبقة الفقيرة تتعرض دائما للسلب والنهب بشتى الحيل والوسائل . ويرمز الكاتب لذلك بقصة السفينة فهؤلاء الدراويش الذين يصلون فى السفينة عندما يودعون القرية يكونون قد حملوا منها كل ما لدى الفلاحين من متاع ولم يتركوا لهم إلا بعض أشياء يتبركون بها . ونقرأ فى نهاية القصة هذه الفقرة ذات الدلالات العميقة :

وتظل القرية نائمة ، مفتوحة الأبواب ، خزائنها بلا حبوب ، وأسطحها بلا طيور ، مطبقة اليد على الشرائط الحمراء ، وحبات الحمص ، وكسر الخبز ، تحلُم بالعام القادم ، وبالسفينة والشيوخ .

قصة التحقيق

وهى أول قصص المجموعة ، وتحتاج إلى وقفة خاصة ، لأن الكاتب حاول أن يحشد فيها مجموعة من التقنيات فى آن واحد ، وهى عملية مارسها بنجاح فى عدد من قصص مجموعته السابقة صراع وبالإضافة إلى ذلك يضمن صلاح عبد السيد هذه القصة رؤية عميقة لما يمكن أن نسميه بالشخصية المنشطرة ذلك أننا فى هذه القصة نلتقى بشخص يجلس أمام محقق ، لكن الجلوس والتحقيق لا يتمان بطريقة واقعية ، بل يحدث انشطار فى الشخصية منذ بداية القصة ابتداء من الفقرة الثالية التى تقول : غمغمت باسمى ، فخرج صوتى مكتوما ، أجش خشنا ، ورن فى رأسى ، وحين ارتد إلىَّ لم أعرفه كانت حروفه ممضوغة لا تكاد تبين ، فأحسست أن هذا الصوت الذى يخرج منى لا يخرج منى ، وأن هذا الجسد الذى انحط على الكرسى ، مبعثرا ، مهدودا ، ليس جسدى ، بالقطع ليس جسدى .. !

إذن لقد حدث الانشطار ، وبالتالى فعندما يوجه المحقق الأسئلة إليه مثل سؤال : وظيفتك .. ؟ لا يجيب وإنما تنطلق الإجابة فى شكل تيار الوعى على النحو التالى : وظيفتى ؟ تلك مشكلة المشاكل . لم أكن أعلم حين جئت من قريتى البعيدة أن وظيفتى ستغيرنى كل هذا التغيير . وستجعل منى إنسانا آخر .. يختلف تماما عن ذلك الإنسان الأول .. وعندما يسأله : كيف تصرف المعاش والورق لم يستكمل ؟ لا يجيب أيضا ، وإنما تأتى الإجابة فى شكل تيار الوعى على النحو التالى : الورق .. ؟ أنت لا تعرف غير الورق ... ألا تعرف شيئا عن الإنسان ؟

ثم ينتقل الكاتب بعد ذلك إلى استخدام الاسترجاع ، فتعود الشخصية إلى الوراء لتتذكر سعلة الأب وموته ثم انتصابه أمامه (فى الخيال طبعا) بجلبابه الرقيق ، كأنه كفنه ، وعظمة طويلة فى آخرها رقبة ، فى منتصف الرقبة تتحرك تفاحة آدم .. كأنه يكلم نفسه ... الخ

ثم نعود إلى التحقيق عندما نفاجأ بسؤال : لماذا لا تتكلم ؟ ولا تكون هناك إجابة ، وإنما تنطلق الإجابة أيضا فى شكل تيار الوعى ، ومنها نلاحظ أن شخصية المحقق أيضا بدأ يحدث فيها انشطار لأن الشخصية سوف تركّز فى المحقق على تفاحة آدم مثلما حدث من قبل عندما استرجعت شخصية الأب ، وسوف تجد فيه كذلك شخصا فقيرا مطحونا . ومن ثم يحدث بين المحقق وشخصية الأب نوع من التداخل ، أو فلنقل ـ كما ذكرنا ـ إن شخصية المحقق هى الأخرى قد انشطرت . ويحسن أن ننقل هذه الإجابة ـ تيار الوعى ـ على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السؤال المذكور : لماذا لا تتكلم ؟ : لم يتكلم ... فقط تحركت تفاحة آدم فى رقبته فعرفت أن ليس معه نقود ... وأنه جاء من بيته ماشيا ... ثم همدت تفاحة آدم واستكانت ... فعرفت أنه لم يفطر بعد ..

وبعد ذلك يقدم القاص معادلا للشخصية يتمثل فى الذبابة التى سقطت فى الكوب الموضوع أمام المحقق . ومن خلال الأسئلة وتقديم الإجابات عليها فى شكل تيار الوعى نجد وصفا للذبابة وللكوب فى هذه الحالة منذ أن وقعت فيه حتى سقطت ميتة . فالذبابة إذن هى المعادل للشخصية : إذا كانت الذبابة ترفرف وتحاول أن تتخلص من الكوب ، فالشخصية أيضا ترفرف وتستهدف الخلاص ، وإذا كانت الذبابة فى وضع مؤلم فالشخصية أيضا فى وضع مؤلم . وتنتهى العملية بموت الذبابة : نظرت إلى كوب الماء ، فوجدت الذبابة ممدَّدة على سطحه بلا حركة ، مفرودة الجناحين ، ووجهها غاطس فى الماء ، و بالانشطار الكامل فى الشخصية عندما نقول تحسست ساقى وذراعى ، وجرجرت جسدى ورائى وخرجت ... الخ وفى هذه الحالة نقرأ : ظللت سائرا ، حاولت أن أقف ، لكن السائر سار وتركنى واقفا ، نظرت إليه من خلفه ، كان متهدلا ، متخاذلا ، مرتبكا ، كأنه فعلا قد سرق . إذن فهو هو الانشطار بعد أن أصبح حقيقة ، ولهذا فكرت الشخصية فى أنه ربما يكون هذا الشخص الثانى الذى انشطر منها هو الذى سرق دون أن تعرف ، وهو الذى كان يتم التحقيق معه .

وفى النهاية نعود إلى الاسترجاع مرة أخرى فتعود سعلة الأب وتُسترجع صورته حيث ينتصب أمام الشخصية بجلبابه الرقيق كأنه كفنه ، وعظمة طويلة فى آخرها رقبة ، فى منتصف الرقبة تتحرك تفاحة آدم ، كأنه يكلم نفسه (ص ١٢) . أى أنه قد تم الحصار بالفعل وتم سحق الشخصية وانشطارها إلى شخصيتين مختلفتين .

والشخصية المنشطرة ـ كما هو معروف ـ لا تعطى إجابات واضحة وإنما تعيش فى حالة مبهمة تماما . ولهذا نجد أسئلة المحقق ليس لها من إجابات إلا ما يدور فى تيار وعى الشخصية ، وكتابة المحقق أيضا لا تبين عن شىء . وتوضح الفقرة التالية التى جاءت على لسان الشخصية هذه الحالة توضيحا تاما . تقول :

حين رفعت رأسى ، وجدت المحقق يكتب ، فتعجبت فى نفسى وقلت : ماذا يكتب ؟ ، وحين أنصت ، سمعت صدى مكتوما يتردد ، قلت لابد أننى أتكلم ، لأن فمى ينفتح وينغلق ، لكن الصوت لم يكن واضحا ، كان يرتفع حينا ثم يخفت ، ويقترب حينا ثم يتباعد ، وكان المحقق مستمرا فى الكتابة ، فقلت فى نفسى : هل أقول كلاما له معنى .. ؟

اللغة فى مجموعة العصفور

تقوم اللغة بدور كبير فى البناء الفنى للقصة القصيرة عند صلاح عبد السيد .ويتركز إبداع اللغة فى هذه المجموعة فى عدة مستويات من أهمها :

١ ـ التصوير الذى ينقل إلى القارىء حقيقة الشخصية واقعيا ونفسيا . ومن أمثلة ذلك هذه السطور الأولى من قصة التحقيق التى تقول :

من بين عظام كتفيه ، خرج رأسه ، صغيراً ، وأبيض ، ولزجا ، واستطالت رقبته . والرأس فى مقدمتها ـ تهتز وتتماوج مقتربة منى .. لملم جفنه الضفدعى فبانت حدقته ـ الخرزة الزرقاء ـ تترجرج فى عينه .. دحرج الخرزة على وجهى .. وقذفنى بالسؤال ويلاحظ أن الكاتب من خلال تصويره لشخصية المحقق ينقل إلينا أيضا أعماق الشخصية الأخرى .

وقد يحول الكاتب الجمادات إلى كائنات حية تحل محل الشخصية مثلما نقرأ فى قصة السفينة : أمام دار العمدة كانت حية العمدة ـ وقفطانه وحذاؤه ، والعمدة ، فى انتظار الموكب أى أن أشياء العمدة قد سبقته فى عملية الانتظار هذه . وهذا يدل على الاهتمام الفطرى اللاواعى من جانب أهل القرية البسطاء بهؤلاء الدراويش القادمين فى السفينة الذين يسلبونهم كل ما عندهم . وهو يدل على الغوغائية التى عرضها أمير الشعراء أحمد شوقى عرضا رائعا فى مسرحيته الشهيرة أنطونيو وكليوباترة . عندما قال على لسان كليوباتره متحدثة عن الشعب :

انظر الشعب ديون كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافا بحياتى قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يالـه من ببغاء عقله فى أذنيه

وأهل هذه القرية أيضا قد وضعوا عقولهم فى أذانهم ، وانطلت عليهم حيل الدراويش حتى خفوا إلى استقبالهم ـ ويتقدمهم العمدة ـ بالصورة التى عرضها الكاتب .

وفى تصوير القاص لبيوت القرية يقول : بانت بيوت القرية لى .. طينية متناثرة .. قصيرة القامة .. تحمل على رؤوسها عمامة من الجلة وانظر كيف تحولت الجلة المصنوعة من روث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البهائم إلى عمامة مهيبة يحرص عليها أهل القرى ـ أو كانوا يحرصون عليها ـ حرصهم على أبنائهم فأى دلالات عميقة عن طبيعة الحياة فى الريف ، والفقر ، والبؤس ، تعكسها هذه الجملة القصيرة !

وقد يلجأ الكاتب إلى ما يسمى بتراسل الحواس ، عندما يقول على سبيل المثال ـ فحّت العينان فى وجهى . ومعروف أن الفحيح لا يصدر عن العين وإنما يصدر عن الفم ، وهو فى الأصل صوت الأفعى واستخدامه فى هذا الموطن يحدث انحرافا مجازيا فى العبارة على النحو الذى عرضه النقاد البنيويون .

ويتصل بالجانب التصويرى أيضا استخدام القاص للغة الشعرية . وقد سبق أن عرضنا ذلك عند تحليلنا لقصة العصفور .

ولاشك أن هذا الجانب التصويرى ـ الشعرى ينقل التجربة الفنية من إطار الواقعية الاجتماعية إلى إطار الحداثة الذى تتضافر فيه مجموعة من العناصر الهامة والمستويات التى لا غنى عنها لصياغة تجربة عميقة وثرية من الناحيتين الجمالية والفنية .

٢ ـ تكرار الكلمات والجمل . وقد سبق أن عرضنا لهذه المسألة عند حديثنا عن ظاهرة توظيف الأصوات اللغوية فى البناء الفنى للقصة ومثّلنا لذلك بأربع قصص هى الذبابة و أين الهواء ، والإجهاض وإنه يشيب تماما ، والحق أن صلاح عبد السيد قد توسع فى ظاهرة التكرار اللغوى هذه فى مجموعتيه الأخيرتين صراع والعصفور حتى وجدنا فى المجموعة الأخيرة قصصا بكاملها تقوم على هذه الظاهرة فضلا عن انتشارها مفرّقة فى كثير من القصص . ولعله من الأنسب أن نقدم هنا مثالا آخر ، وليكن هذه المرة من قصة الرائحة وهو مكتوب فى المجموعة نفسها على النحو التالى : ـ

اقترب منى ولد وبطة ..
اخذ الولد يتفحصنى والبطة ..
دار الولد حولى والبطة ..
سألنى الولد .. فرفرفت البطة ..
رفرف الولد .. فسألتنى البطة

لقد استطاع صلاح عبد السيد أن يعطى للواقعية وجهاً آخر ، وأن يتعمق الواقع ويثريه بكثير من العناصر اللغوية والدلالية والنفسية .

٣ ـ نأتى كذلك إلى ظاهرة التقريب بين العامية والفصحى ، وهى ظاهرة اجتهد فيها صلاح عبد السيد وكل أبناء جيله حتى لقد انتشر فى هذه الظاهرة انتشارا واسعا فى العقد الأخير ، وصار لدى الكتاب سواء من الأجيال السابقة أم من جيل الثمانينات وعى كامل بها ، وأصبح الكثيرون منهم يستخدمونها فى براعة وإتقان . ولنتوقف عند بعض الأمثلة لنرى كيف يتحول البناء النحوى للجملة والصرفى للكلمة ـ أحيانا ـ إلى بناء قريب جدا من الصياغة العامية . يقول فى قصة التواطؤ : كان خليل قد ضاق بالعيشة والذين يعيشونها .. وكان هو بلا عمل ، وكان سهلا عليه فى الأول أن يبحث عن النقود فى الدار وأن يجدها . ولو أن الكاتب أراد للغته أن تكون ذات بناء نحوى فصيح لقال : كان خليل قد ضاق بالمعيشة وبمن يعيشونها ، وكان من السهل عليه فى البداية .. ولكنه استعاض عن هذا البناء الفصيح ببناء قريب من العامى كما هو واضح .

وفى معظم الأحيان تنقل كلمات وعبارات بإيحائها العامى إلى البناء الفصيح للعبارة ، مثل قوله : وفى الصباح تطلقنى .. لكنها إن عارتنى ندهت على ، أو قوله : كانت أمى تلتم مع خالتى وعمتى وامرأة خالى ، أو قوله : كانت البنت قد سحرت للولد ، أو قوله : ويغرز أخى أصابعه فى البطة وينتش منها .. ينتش ويحشر فى فمه وانظر إلى فمه ، فأجده ممتلئا ، لكنه ينتش ويحشر .

وهكذا نأتى إلى ختام تحليلنا لهذه المجموعة الجديدة للقاص صلاح عبد السيد لنؤكد أن كاتبنا قد استطاع أن يقدم واقعية حديثه تستحقّ أن يلتفت النقاد والدارسون إليها .

القاهرة : د . حامد أبو أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انهيار

أنس داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كونى حلما
وتلاشىْ من أفق حياتى
فلقاؤك يا أبهى زنبقة
يا أحلى كارثة فى عمرى
زلزل تاريخ جراحاتى
..
كونى وهما
يتلاشى مثل سراب
ما مَرَّ بذاكرة الأزمان
الحبَّ .. الحبُّ
هيَّا نخنق هذا الطِّفل الرَّبانى .
أو نتركه ـ بوسامته العَذْبهْ ـ
مُطَّرحا فى طرقات الليل المكتئبهْ
أو فلنُلق به ـ هذا المجدولِ من
السوسنْ والفلّ ـ
فى قاع البئرْ
أو عند مصبِّ النهر
يُسْلمه التيَّار الجارف .. للموج
العاصف .. فى أعماق البحرْ ..
بل ـ ياحبِّى ـ مهلا
فلْنتركْه ـ هذا الألقَ المعبودْ ـ
عند حديقة جارتنا .
جنب الباب الخلفىّ الموصودْ .
ولنتوارَ وراء الأشجارْ .
حتَّى لا تبصرنا عند بزوغ الفجر ـ
عينُ الجارْ .
أو ترصدنا فى ضوء الشمس المنبجسهْ
عينُ العَسَسَهْ .

ولنلق على وجهينا أىَّ دثارْ .
أىَّ قناع منبهم الملمح والصورهْ .
حتى لا يفضحنا دمع العينين .
أو ينفتح رتاجُ السجن .. بذات نهار .
ليضمَّ وراء القضبان المقهورهْ .
وجهين تعيسين
قاتلَيْن قتيلين .
.....
لا أملك ـ ياضوء عيونى أن أختارْ
عاصفةُ البحر أمامى
خلفى وهجُ النَّارْ
لا تختصرى التاريخ الحىَّ .. اذَّكرى
أنتِ ـ تفاصيل .. تفاصيلَ
الأخبار
لا تبتكرى ـ ياسيدتى ـ وهم الأعذار .
لا تخترعى ـ فى زمن المحنة ـ
أى حوارْ
لو أنَّا بجسارة روحينا
جَنْدلنا الوحش الجبَّار
لا نْحلَّ اللغز
وانفتحت بوابات مدينتنا
وتهاوتْ كل الأسوار
لكنَّا خاصمنا نُبل إرادتنا
صادمنا صوت ضمائرها
فسقطنا معصوبى العينينْ

فى عتمة هذا الليلْ
بين تباريح الريح ، وأهوال التيَّارْ
لا نملك ـ ياحبَّة قلبى ـ أن نختارْ
إلا أن ننهارْ

نحن .. الإثنين
صنعناه بيدين ، وضحكةِ عينْ
نحن الإثنين
سقيناه شهدَ الشَّفتين
رحيق القلبين
رعيناه .. وتأمَّلنا
غَدَهُ المرسومَ بسوسنتين
وغرسنا فى باحة هذى الدارْ
تحت وريف الأشجار
جنب عريشة فُلّ
أرجوحةَ طفل
أقسمنا أن يحرسه الألقُ
وأن يرعاه الظلُّ
حين سمعنا فحَّ الأفعى
أبصرنا أنياب التنِّين .
سقطنا فى وهدة صمت
وتجمدنا .. نحن الاثنين
تمثالين ..
فى قاع الموت

القاهرة ـ انس داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوحُ الفاءِ المكسوره

أحمـــد تيمـــور

لو تعلم ما أعلمُ
لتيبس دمك المتدفّق من ينبوع القلبِ
كأنفاس الكروان الهاجعِ
موسيقى خافتةً
فى أعراق الصفصافِ

ولو تعلم ما أعلمُ
لتدفّق دمك المتيبِّسُ
مثل فصوص الرمّانِ
وأرشدَ عنى السابلةَ من اللؤلؤ
فى مدن الأصدافِ

وأخبر عن أيامى المخبوءةِ
فى أحزانى السريّةِ
عن عشقى إحدى فتيات الغجر من الجنُ
وعن عينيها الراكضتين بذاكرتى
ذئبينِ
يمصّان طمأنينةَ قطعان خرافى

لو تعلم ما أعلمُ
لانْقشع غمار الزَبَد عن السرِّ المغمورِ
وخرّ خمارُ الخمرِ عن المخمورِ
وأفصح فعل الأمر عن اسْم المأمورِ

وأقبل تابوت العهد المنسىِّ
يصاحبه ترتيلٌ كهنوتىٌّ من مزمورى
وتَـعَـرّتْ
بين جذور الأحمد وجذوع التيمورِ
سلاميّاتُ ولىِّ الحب المطمورِ
بأمشاج الأشجان المشدودة شدًّا
بين أسى قلبى وحنين شغافى

لو تعلم ما أعلمُ
لانسحب خريرُ الماءِ من الصنبورِ
إلى الأنبوبِ
إلى النهر .. ليسبح ضد التيّارِ
إلى الهضبات الحبلى بالغيمِ
إلى الغيمِ
إلى خزّان البلل الكونىِّ
وحبس الرعد هنالكَ
فى أقبية الورق النشّافِ

سألْتُكَ ألا تسألنى
فالديكة فى فجرى بكماءُ
يشكّ الخيطُ الأبيضُ رايتَهُ
فى صارية الخيطِ الأسودِ
وهى منكّسة الأعرافِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سألتك ألا تسألنى
بعد الحلاج وصيحته
أصبح صمتى المصمتُ دستورَ مواثيقى
وسكوتى المتلفتُ مرجعَ أعرافى
لزهور الجنةِ
دربٌ من شوكٍ نارىٍّ
يصدر من جلد السائر فيهِ
نقيقٌ حادٌ لضفادعَ تتلظّى
ويرفرف من بين أصابع قدميهِ
حمام مشتعلٌ
للجنة دربٌ من نارٍ يقنعنا أن نبقى دهراً
فى قبضة وادى الأعرافِ

سألتُكَ ألا تسألنى
أن أخرج عن إيقاعى
فأنا لم أبكِ بما يسمح لدموعى المسفوحةِ
بين سطور رقاعى
أن تنزح عن قاعى
أصقاعى
وتشمّسها فوق ضفافى

وأنا لم أضحك ضحكاً
يقلبنى كالجورب بين يديكَ
ولن
فأنا مشغولٌ
عن شهوة بوحى الجامحةِ
- جموح ظباء الفلوات المعزولةِ -
بوقار عفافى

وأنا
- رغم الشظف الطارى
وشحوب محيّا أقطارى
ومؤامرة رياح الغرب الشرقيةِ
هذا الفصل على هطّالة أمطارى-
راضٍ مرضىٍّ
مهما زايدتَ على صمتى تبراً
بتراب كفافى

لا تسألنى عما أعلمُ
فالجهل فراشٌ من ديباجٍ داجٍ
ورفارفُ.. كسوتها خزُّ خدودٍ
وبطانتها مخملُ أوداجٍ
وحشايا من ريشِ نعامٍ
غيّبَ فى الرمل هواجسهُ
حتى نُتِفَ
فلم يأبه للنتّاف

هو الجهل موائدُ عائمةٌ
مدعوٌ لمقاعدها ذو الخطوة فوق الماءِ
من اللاءات
هو الجهل مواجدُ هائمةٌ
ترعى حركتها فينا
عن بُعدٍ.. عقبانٌ حائمةٌ
فوق فيافينا
تولينا شرف الإشرافِ

هو الجهل دوابٌّ
أضأل من أن يحضرها من سبأ ضألتها
عفريت المجهرِ
فى حدقتنا نائمةٌ
وهو نجومٌ أدنى من منظار المرصدِ
تحت نوافذنا قائمةٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو مسراتٌ دائمةٌ دائمةٌ
أوقفتُ عليها زهرة عمرى
فذوتْ
وتبقّى العطرُ نصيبَ الوقّافِ بأوقافى

فالجهل قيامٌ بمقامٍ
لا يدرك قمته إلاّ
ذياك الواصل فى معراج العشق إلى
إحدى نقطتى القافِ
هنالك ألقى فى قلبى أنشوطته
فعدا القلب.. جموحا وعنيداً
لكن كيف يروغ بعيداً
والعشق هو الممسك وقع خطاى بيدهِ
وهو القافى

فالجهل لدى العشاق مقامٌ
تتدلّى من قبّته مشكاةٌ
يلجأ قرص القمر إليها
حين يضيق به الشهر العربى
وقرص الشمسِ
إذا ما أهدر دمه الأوقيانوسُ الغربىُّ
مقامٌ يتآلف فيه القرصانِ
تمام الإيلافِ

مقامٌ .. فى باحته
أشخاصٌ لا ظلّ لهم
وبدون سواعدَ أو هامِ
يصطادون ثعالبَ من أوهامِ
بسهامٍ
ليس يراها بالعين الثالثة المفتوحة
بين الجفنين الخامس والسادس
غير الشوّافِ

مقامٌ .. حائطه الدائرُ مكسوٌّ
بفراءٍ
يختلج إذا مررتَ الكفُّ عليهِ
ويعوى فى صوتٍ مهموس جداً
فتجاوبهُ من أوبار الدببة همهمةٌ
تتّهم من امتهن الصيدا
لكنك ما إن تَرْبت بحنانٍ
فوق الخصلات البكّاءة تهدا
ويقرّ نشيج الأصوافِ

مقامٌ
مفروشٌ بالخارطة الحيّة للأرضِ
فخذْ حذْرك.. لا تطأ المتوسطَ
حتى لا تمتلىء شوارع دمياطَ
مياماً مالحةً
ورشيد سمكاً بوريّاً
واقفز - مغفور الذنبِ -
إلى بريّن بأوروبةَ:
لا تينىٌ وسلافى

للجهل لدى العشاق مقامٌ
يلبس من يتعرّى فى ساحته
وعلى سعة مساحته
حالٌ
أطيب من حال الدنيا
أنعم من حال القشّ
أشهى من شهدٍ.. يرشف رشفاً
من بين ثنايا نحلٍ مضيافِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حال
ألطف من روح نباتٍ
يتراوح بعد العصر وقبل المغربِ
فى سِنَةِ سباتٍ
أمرأ من ريق فتىً
شُعشعَ برضاب فتاةٍ
أهنأ من ميعادٍ لفّهما بعد شتاتٍ
أدفأ من نَفَسِ الوصل الدافى

حالٌ أشجى
من ذاك اللحن العصفورىِّ المسكونِ
بإيقاعِ مئات النايات المنصوبةِ
أعمدةً لخيام الوجدِ
إليها يأوى
من كل فجاج الليل الضارب فى الحلْكةِ
مَنْ يشعر بالوحدة والسأمِ
من الأطيافِ

سألتك ألا تسألنى
فعلى منحنيات علامات استفهامكَ
ينزلق زلال البيضِ
وينتفض المخُّ
سنانيرَ تموءُ مواءًا فوسفورياً
فى عصبى السمعىَ مباشرةً
فأفورُ
وأنسكب رغاءً لجباً فوق حوافى

لا تسألنى عما أعلمُ
لن تعلم أبدا ما لم تعلمْ
فالزمْ
برعمك الشتوىَّ بصلب أبيكَ
ولا تبرحْ
برعمك الصيفىَّ بمبيض أمكَ
فالرغبةُ سادرةٌ فى التطوافِ

على أثداء الورد البلدىِّ المفعمِ
بالشبق الصوفىِّ
لأن يُحلبَ مدناً من عطرٍ
يتسمّى الحاكمُ فيها بالعطارِ
ويضحى الجورىُّ وزيراً
والفلُّ القاضى
والشورى تصبح للنرجس والسوسن والنَيْلُوفَرِ
وخزامى القومِ
وكاتمُ أسرار العبق يصيرُ قرنفلةً
وكبيرُ العسس بنفسجةً
والعسسُ رياحينَ تطلّ من الشرفاتِ
على الشعب المنثورِ
شقائقَ نعمانٍ
تتدلق على أعتاب الدورِ
وتسعى فى الطرقات المرصوفة بالحنّا
والمسقوفة بالتوليب الضافى

لو تعلم ما أعلمُ
لتحرّر دمك المشكومُ
بألجمة العربات الحمرا
وانطلق فصيلاً حراً
من خيل برىٍّ متعافٍ
ألقى السَّرْجَ وشقَّ أعنتهُ
وتلقّف أجنحةً
من رغباتٍ حرَّى
– كانت بين حوافره ودروب الأرض الصلبة
تقدح شررا–

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصّاعد فى طبقات الجوّ
صهيلاً
لا يشكو العطش إلى الريّ
ولا الجوع إلى الأعلافِ

صهيلاً
جاوز أشداق النبرةِ
وتجاوز عند المنتهيات الكونيّةِ
أغصانَ السدرةِ
فتناثر مع أثمار النبقِ
وآثر أن يلتئم سحاباً يتخلله لمعان البرقِ
وأن ينفتح كتاباً
دون غلافِ
تقرؤه الأرض المضطجعةُ
فى استرخاءٍ
فوق سرير العشب الجافّ
كتاباً عن
ستّ الحسنِ
وصاحبها الإسكافِ

وصاحبها
يخصف نعل النجم القطبىّ المتدلّى
عند الأفقِ
ويغرز إبرته المعقوفةَ
فى كعب الشفق النزّافِ
ويرفو فى جلد الليل الأملسِ
رُقعاً
تتسعُ مع الفجر على الرافى

أأدلُّكَ يا إسكافُ
عن الاحسن من ستّ الحسنِ
يمدّ النظرة من زاوية العين إلى شرفتها
ويفحّ فحيحاً فى أذنى
هل هى أغنى من ست الحسنِ
فقلت لها قلبانِ
من الذهب اللامعِ
والذهب الشفّافِ

فانشبَ فى شفتىّ مخالبه السمعيةَ
وتوسلَ : خذنى للأولِ
فأنا المصفوف اساطيلاً من ورقٍ فى بحرٍ من حبرٍ
وأنا المسطور اساطيراً
فى جفن الفقراء الغافى
أيقظنى من حلم الفقراءِ الغامسِ لقمتَهُ
فى ملح الدمع المتحجّرِ بمآقىّ
أقلنى عن صهوات طوا ويسهمُ العريانةِ
فلأحذية الخلق الرائشة بعينىّ
قوادمُ وخوافى

لو تدرك ماذا بى
أو كُنْه عذابى
لترجّل عن مركوبى شريانكَ ووريدكَ
دمُكَ الحافى
مهلاً يا إسكافُ أتانى بعض بريدكَ
لكنك لو تعلم ما أعلمُ
لشهقتَ
وأغلقتَ على دولاب النار الدائر فى صدركَ
أضلاعَ الأضلافِ

فلو تعلم ما أعلمُ
لا نْفلق الحجر الصامد فى طلسم حجريّتهِ
من آلاف الآلافِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من السنواتِ الحجريةِ
وهوى من فوق كتوف الأطواد المنتصبةِ
شالا.. شلالا.. حلَّ على الأرضِ
فشال الصحراءَ من الخارطةِ وحطَّ البحرَ
وعينا الرمل الغارقتانِ
تبثّان النظر إلى الحجر السائبِ
فى استعطافِ

لا تسألنى
عن سرٍّ يتخفّى كالسمّ بثعبانٍ
يتلّوى فى شقٍ
يخترق جذور البادية
فيحمل ما تحملهُ من كثبانٍ
ويمرّ بقاع المدن فيرفع عنه أساساتِ مبانٍ
لا تسألنى عن ثعبانٍ خجلٍ وجبانٍ
عن سمٍّ عافٍ غير زعافَ

لا تسألنى
عن سرٍّ يتوارى خلف ملامحىَ اليوميّةِ
كى يحجب سحنتهُ عنى
ويشدّ على فوديه قلنسوتى
لكنّى
حتى لا يختلط علىّ ويهرب منّى
أصبغه وأعيد صباغته ما إن يرد على ظنّى
بالسهر وبالبنِّ
فخذ قهوتك السوداءَ
ولا تلحفْ فى استحلافى

فأنا ما أعلمهُ
لا يعلمهُ
غير الحلزون الميقاتىِّ الخاصِّ بقلبى

والمطروحِ شواءً
محفوفاً بالمقدونس والفلفلِ
ـ هذى الليلةَ ـ
فى صينيّة أضيافى

لا تسألنى
عن ضوءٍ محتقن الطلعاتِ
يذوب فتيلاً من شجنٍ عاتٍ
وقناديلاً من لوعاتٍ
لا تسألنى والحال كما تشهدُ
عن تاريخ حياتى
عن سيرة أسلافى

فى صدرى البدوىِّ
مضارب لقبائلَ متطاحنةٍ أبداً
عبسٍ وقضاعةَ
وقزارة وخزاعةَ
وقريشٍ وثقيف ونميرٍ وتميمٍ
وبنى عبد مناف

أتأبّط حذرى
وأنا أسحب بينهمو أطراف إزارى
اسأل عن مُضر بْن نزارٍ
لا يلتفت لسألتى أحدٌ
فتداهمنى الغربةُ
ويشطّ مزارى
ويحطّ على كتفى كفُّ ذوى القربى
ما لم أقربْ من أوزارٍ
فينوح على الغصن المكسور هزارى
ويلمّ علىَّ لفيف قبورٍ
وطلائع ويل وثبورٍ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجماعات أثافى

آخذُ موضعىَ بعيداً
ألتقط الأنفاسَ
أقشرُها نَفَسا نَفَساً
من أدران الأوبئةِ
وحين تهمُّ بها رئتى
تقبل أنفُ الناقةِ من خلفى وتبعثرها
أتجهمُ.. وأنود مناخرها عنّى
فأعايننى مختزماً بالآنافِ
وفوقى أدخنةٌ حاسرةُ الرأسِ
تعانى من تاريخ حريقٍ
أملاه أبو لهبٍ - تبّت شفتاهُ-
على ألسنةِ النيرانِ
وتحتى من آثار الآنافِ
دماءُ رعافِ

بينا
صرخاتُ أبى سفيانٍ
تستعدى القرشيين على يثربَ حولى
حولى
تاجر أبناءُ أميّةَ فى دمِ عثمانٍ
عقدوا الصفقات فصار الدم ذهباً أسودَ
يُختلفُ عليهِ
إلى أن جاء السفّاحُ بن العبّاسِ
يحلّ خلافاً بخلافِ

أحببتُ علياً
لكن علياً كان مثالياً
وكرهتُ الحجّاج الثقفىَّ
ولكنّ كراهيتى الحجّاجَ ذبابٌ
يقفُ عليه مراراً
ومرارا يصرفُهُ عنه ببعض الميل وبعض المالِ
وما زلتُ وما زالَ
إلى أن لقّبنى بالمصروف اليومىِّ
ولقبتُ أنا يده بيد الصرّافِ

يلاعبنى أحدهمو بأسنّتهِ
ميسوراً كان.. وكنتُ أنا محسوراً
أحرس بوّابة جنّتهِ
وأصيح مع الديكِ
إذا ما الفجرُ تسلّق سوراً
من أسوار دجنّتهِ
لِمَ لمْ أقوَ على نفسى.. لا أعلمُ..
لكنّ الحاجة لدراهمهِ
شحنتْ آليّة إضعافى

بأسنّته يلعب بى حتى يقتلنى سهوا
فتواسينى أحداقٌ فاترةٌ
تسقينى المنّ وتطعمنى السلوى
فأتلمم أشلائى.. شلوا شلوا
وأرانى حين أصير صريعَ غوانيهم
أحيا من قتلى
وأنا لا أذكر من عمرى الفانِ
غير اليمنيّاتِ برحلات الأشتيةِ
وغير الشاميّاتِ برحلات الأصيافِ

عملتُ بناديهم - بعضَ العمرِ- كساقٍ
وعرفتُ دُنا أسرارهمُ الدنيا
تحت غواية خمرٍ أمزجهُ فى حذقٍ
أخبرنى أحد السادةِ
أنّ القافلة القادمةَ محمّلةٌ بحبوب الهلوسةِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأن الهلوسةَ فراديسٌ من صنع الرومِ
وأن الرومَ حميمونَ
ألا فلتسقط بين الضادِيّين جميعُ الأحلافِ

أصختُ السمعَ لهُ
أفرغ ما فى جعبتهِ .. وتجشّا
فاستفرغتُ
وكان الغسق أمامى طفلاً أعشى
يتعثّر فى ناشئةِ الليلِ
خرجت إليه أساعدهُ
فمشى
مستنداً بذراعى بين الأسدافِ

مشيتُ مع الليلِ
يسامرنى وأسامرهُ
تأخذه من إطراقته طُرَفى
وتخفّف عنى السقْم نوادرهُ
حتى طالعنا قصرٌ صحراوىٌ
تسهر فيه الأنجمُ
بعد أفول أشعتها الرسمية للظهرِ
مقابل أجرٍ للساعات الزائدةِ إضافى

خَبَلَتْنى خلجاتُ خصور خرائدهِ
خلف غلالاتٍ شُغلتْ بالغلمةِ والغنجِ
تهيّبتُ
ولكنّى حين شببتُ
سُلِبتُ.. فشبّبتُ بأطراهنّ
فأطرانى غبشُ الفجرِ
بصوتٍ فضاحٍ
إذ ذاكَ وجدتُ على عنقى المفضوحِ
سيوفَ الأعرابِ الأجلافِ

هنا فى صدرى البدوىّ
تراثٌ وثنىٌّ
وبناتٌ موءودات
ينفضْنَ غبار الوأد عن الوائدِ
وذبالات عقائدَ
تقسم باللات وبالعزّى
وإطارات قلائدَ
تحمل أيقونات الزمن البائدِ
من منظورين : وراثىٌّ وثقافى

فى صدرى الوثنىّ
عبيدٌ لم تُعتقْ
وإماءٌ تمتنع عن النسلِ
ولا تأبى الحرثَ
وكهانٌ تقعد فوق حجور الآلهة الخنثى
ليلا ونهارا
وقرابينُ تسيل دما بشريا مدرارا
فى حلقومِ شَرِقٍ بالتجديفِ
وغاصٍّ بالإرجافِ

تراث فى صدرى ألعنه لعنا .. وثناً وثنا
ملٌّ بمتحفىَ التذكارىّ السكنَ
وينتظر الغين الغائبة المترددة على غرف الغفلةِ
والغفوة والغيبوبةِ
كى يتبركنَ
كى يتفجّر فتنا
أودعتُ لفائفه المتعفّنة سراديبى السفليةَ
فانفلتَ عفاريتاً ماردةً
من أحشاء قما قمَ
فُركتْ فى أكنافى

القاهرة : أحمد تيمور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من طقوس الليل الممطر

● السيد الجزايرلى

لا أسمع الآن غير البكاء
وصوت البيوت التى تنحنى
للشتاء

.. ليل ..
ينتفض الليل حين اختفاء القمر
أعمدة النور تخبو
وموت العصافير فوق احتراقات
أسلاكها
واللافتات التى تصطلى بالغبار القديم
تخرج من صدرها
أغنيات الرحيل
والريح كالطفل نامت
على خشخشات النخيل
أجيئك
رغم ارتباطك بالمستحيل
وأغسل منديل حزنى على شاطئيك ..

.. مطر ..
طيور الشتاء التى خلّفت
جرحها للوطن
تبيح المسافات عند اقتراب الحدود
وتعلن أن المسافر للدفء لا يستريح
وتحمل أنّات عشقى
إلى عتمة الأمنياتِ
ارتد للرمل طفلاً
تزلّق ثم احتواه التعب
يدحرج عبر التواريخ احزانه المقبله
ويقسم أن لا يملّ اللعِبْ ..
.....

.. دخول ...
تبوح الفراغات بالصمت بين الأماكنْ
يحنّ إلى الليل صدقُ المآذنْ
ويختلّ ضوء المصابيح
إثر انغلاق المدى
ويبتلُّ بالحزن وجه الصباح القتيلْ
أجيئك
رغم ارتباطك بالمستحيلِ
أغسل منديل حزنى على شاطئيكِ
أقرأ فى عتمة الحلمِ
أوجاع جرح جديد

.. خروج ..
تنحّت عن الدفء بالأمس . كل الطيور
هى الآن تَقْبل أن تستريح
وتقبل أن يحتويها الضريح
« لامًا تحب »
وللبحر موّال عشقِ السواحلْ .. ودغدغة الموج فوق
الرمال
« لامًا تحب »
وللقلب همّ اختفاء القمر .. وحزن السنين الطوال

كفر الشيخ :السيد سعد الجزايرلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

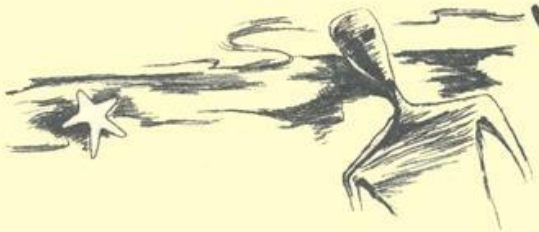

● الرســـــالة

عبد السميع عمر زين الدين

(١)

كانت أمسيةَ ختامِ شتاء ،
كنت أهوِّم بين النوم وبين اليقظة ،
حين اتصل بسمعى ذاك الصوت الهامسْ :
مازلت هنالك وحدك ..
أتراك نسيت ؟

فأجيب ،
وأنا أسبح بين الصحو وبين الحلمْ :
أنا لا أنسى :
فأنا منذ سنين
أبعث برسائلَ يوميّة :
إنى أنتظر بغير قنوط

(٢)

آخر ما أفعله كل مساء ..
أن اكتب لكْ
أن أحلم بك
ثم الوذ بنفسى
أنتظر مجـئ الغد
فإذا ما مَرَّ ولم يجمعْنا ..
أحلم أنّ غداً
سيكون هو اليوم المأمول .

أكتب لأقول :
إنى انتظرك
لنكون معاً ،
كى نعلن للناس جميعاً
فى جنبات الأرض :
أنَّا سنعيد الفَلَك إلى دورته الأزلية :
سنعيد الشمس إلى مشرقها الأوّلْ
لتضىء ــ كما اعتادت ــ كلَّ الدُّور مفتحة الأبواب
لِتُريقَ أشعَّتها فى جنبات الأكواخ الشاخصةِ
بغير نوافذ :
أنَّا سنعيد إلى القمر منازلهُ المقدورة
لِينُيرَ سماء الفقراء المكدودين وليلَ
العشاق الملهوفين
ولينثر فى أعماق أساهم وَمْضة أمل فضيّة :
أنَّا سنعيد الأنجم لمواقعها نجماً نجماً ،
لتكون دليلاً فوق دروب حجيج الليلِ
لقُدس الوجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورفيقَ سُرَى أبناء الليل المختارين
ندامى السهد .

إنى انتظرك ..
كى نعلن للناس جميعاً
أنَّا شئْنا أن نُصْدِرَ عفواً عن كلِّ المقهورين
من سُحنوا فى أزمان القهر الأعظم
دون قضاء .

من عاشوا تحت أديم الأرض دهوراً
نسياً منسيين :
لم يتخلَّلْ ضوءُ الشمس دماهم ،
أو يتسللْ همسُ القمر إلى أعينهم ،
أو تمسحْ أنفاس الفجر على أيديهم
أو تدرك ملمس عشب الأرض
الرطبِ خطاهم

إنى أنتظركْ ..
لنكون معاً ..
كى نهدمَ كلَّ قلاع الخوف الحجرية
ونزيل بأيدينا أعشاش الوهم المشتبكة ،
ونحطم أسوار الوحشة حيث تكون ،
ونُضمِّد كل جراح الغربة فى الأعماق المكلومة ..

(٣)

هذا ما أكتبه الليلة
وسأكتبه كل مساء
حتى يأتى اليوم الموعود .
ومتى جاء ،
ومتى اتحدت منّا النظرةُ
ثم النبضةُ
ثم الكلمة
فسيكفينى يوم ،
أو يكفينى بعض اليوم .
لن يعنينى ألاّ أبقى ،
— أو أن أبقى —
يوماً آخر بعدْ .

أمّا إن لم أشهد هذا اليوم
حتى آخرَ أيامى ، فسأمضى ،
حين يكون القلم الواهنُ
بين الوسطى والسَّبابةِ والإبهام ،
يسْطُر آخر كلماتى :
إنى أنتظرك

القاهرة : عبد السميع عمر زين الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومضـــــات

لطفى عبد المعطى مطاوع

لحظـــة

ابتسَم الولدُ الحضرىُّ إلى البنتِ القرويةِ ،
بائعةِ الصحفِ ،
وقال : (صباح الخيرْ)
وابتاع (الأهرامَ) وراحَ ،
وراحتْ حين يروق الليلْ
تحْكم غلق الترباسِ ،
تُحدِّقُ قُدام المرآة المنطفئةِ ،
تَخْلع جلباب الحزنِ ،
تُعَرى أوجاع القريةِ ،
تنثر فوق الكتفين الشعر المضفور ،
وتشعل نهديها بالكفين الشاحبتينْ
تَتَأوّه ،
تنْعِش ذاكرةً موجلةً
تتداعى لحظات الأنثى ،
موجعـــةً. موجعةً ..إلا من لحظهْ
حين ابتسم الولد الحضرىُّ ،
وقال : (صباحُ الخيرْ) .

كَشـــف

ألْقتْ عن كَتفىّ
قميص براءتها
واسْتلقتْ فوق سرير العشبِ الذَّهبىّ ،
تعرّى نهديها
تُرْضِعنى أوراد الصوفيينْ
حتى انكشفتْ أوجاعُ الروحِ ،
فَبتُّ ــ بأوراق التوتِ ــ
أوارى سوءاتى
من وخزات البصَّاصينَ ،
وأهْربُ ،
أهْبطُ فوق الأرض المكلومة ،
ابكى
وأعضُّ على جِذع الريحْ .

* *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بِنْـــت

البنتُ العذراءُ ،
تملُّ الوقتَ ،
فتنظر فى المرآة الخجلىٰ
وتفكُّ ضفيرتها
يعجبها النَّهدُ المُشْرعُ ،
والشفةُ العُنَّابْ
تترقبْ
وتصيدُ ــ الولد الطَّالع فوق السُّلم
بالبالونة ذات الألوانِ الشفقيةِ ،
والحلوى

عشـــب

بَصَّتْ تلك البنتُ الغضَّةُ ،
من شرفتها العاجيةِ ،
فى منتصف الليل .. وغنَّتْ
رقصتْ عارية للقمر السَّاهر أعلى البرجْ
فرماها فوق الصدر المشْبوبِ ،
بزنْبقتينْ
فَرِحَتْ بهما واختالتْ
وأحسَّت بأنوثتها الفوارة ،
فأفاقتْ من غَفْلتها
هبطتْ درجات السُّلمِ ،
خائفةً تترقبْ
وَمضَتْ
حتى الكوخِ الرابضِ عند السورِ ،
والقتْ مئزرها الأصفرْ
نَشَرتْ حول الكتفين الشعر المَلمومَ ،
ومالتْ بالبَهْلولِ الحارسِ ،
فوق العُشب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجليات طائر الشمس

أحمد الحوتى

مابين قلبى والصدى
وقفت طيور الشمس
كان النهر .. يبدأ خطوهُ
والأرض تدخل فى مواسمها
وكان القومُ ..
يرتجلون أغنيةً
فيشتعل الندى !

* * *

طير يطير
وخيط .. دم !

* * *

من يرتقى شجر الدماءِ
وينتقى زهر المنى ؟
النار تبدأ من هنا
والقلب مال
وأنا المسافر فى الصخور
وفى الرمال
ما بين حطٍّ .. وارتحال !

* * *

تلك النقوش يمامتى
ولها اكتمال أبوَّتى
ولها الإجابات العصيّةُ
والسؤال !

* * *

القلب مالْ ..
ورأيت وجها ..
فى نهايات الزوال
ورأيت حقلا أخضرا
وعلى التراب .. بلاغةُ الكفّين
.. خفُّ الطين !
كان النهر .. يبدأ
كانت الأرض احتفالاً
كنتُ طيرا .. طائرًا !

* * *

تقف اليمامة بين أعواد النخيل
والخلقُ ينتظرون أول عاشق
... يأتى
وكنتُ ... ،

أنا المسافر فى صعيد النهر
.. والدلتا
وأرقبُ طائر الشمس البديل .

القاهرة : أحمد الحوتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـــــوية مطموســـة

أحمـد محمـود مبـارك

بدا .. كما رأيته ،
أيّامَ عمريَ النضيرْ
ولم تَزَلْ تبزغُ من عيونهِ ،
إشراقةُ البكورْ
وما يزال الظلُّ ،
أينما يحلُّ ،
ينتشرْ
ومِنْ جبينهِ الندىّ يُورق الشجرْ
وعندما يُطلُّ ،
تأنسُ الطيورْ
وتمرحُ الْبَهْمُ ..
.. ، قالت عيونىَ التى عادت لتوّها ،
من مُدُنِ الدُّخانِ والأرقْ :
ياعَمُّ . ،
إنى قد ولدتُ ها هنا ..
نَمَوْتُ فى تربة هذه الحقولْ
وعانقتْ صباىَ ومضةُ الرُّبى ،
وفسحةُ السهولْ
إذن : لماذا مقدمى قَدْ فزَّعَ الطيورْ ؟
وَلِمْ بساطُ السَّهْلِ عنّى ينحسِرْ ؟
ويحجبُ الشجرْ
عن رأسىَ الذى يئوءُ بالهجيرْ
عبيرَهُ وظلَّهُ الظليلْ ؟
وَلِمْ تسربلتْ عيونُ البهْمِ بالنفورِ والفَرَقْ
لكنّهُ مضى
تقافَزُ الطيورُ حول فأسهِ ،
وفوق رأسهِ
تلوحُ ،
دِيمَةٌ تفوحُ ،
بالظلالِ والعبقْ
وما أجابنى ،
لكنما الذى أجابْ
هُوِيَّةٌ مطموسةُ سيماؤها
خلف ضباب الاغترابْ .

الإسكندرية : احمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

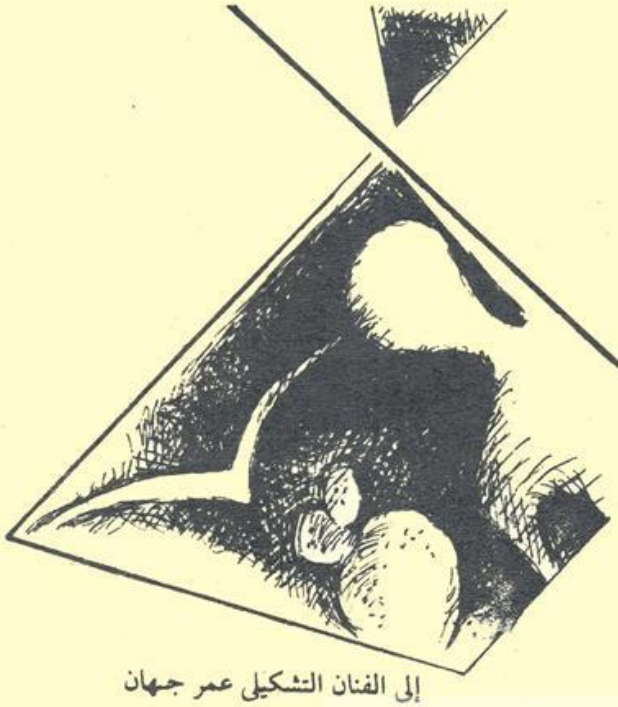

جـــــدارية

محمود نسيم

إلى الفنان التشكيلى عمر جهان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحوزُ بلاداً مؤقتةً
غرفةٌ فى السطوحِ
ونصفَ سريرٍ
صناديقَ تحوى الملابسَ والوقتَ
صبَّارةً قرب حائطه المتآكلِ
شاغله الخاصَّ ، أوهامَه المنتقاةَ
وصايا أبيهْ
جداريَّةً لخليجيَّةٍ ، وطيورٍ بأربطةٍ وتمائمَ
هذا التشابهَ بين البداوةِ والأبديَّةِ
بين الحصى والنشيجْ

فهل كان يقصدُ ميسون حين تحول من بدوىٍّ إلى لاجئٍ ،
واستنامت غرائزه الشبحيةُ فى لُججٍ من أجيجْ ؟

وهل عاودتْهُ الغوايةُ حين أحلَّتْهُ من وعدها ؟
تلك أزمنةٌ للتنكر ياصاحبى
دورةُ الحلزون ، ولعبةُ أقنعةٍ
فاهبطِ الآن دون خطيئتها

سوف تحتاجُ أكثر من خالقٍ
كى تصير إلى ورقٍ وتصاويرَ
أوكى تُسمِّىَ أشياءها
أيها الكائنُ الرطْبُ
كيف تشيَّأتَ حتى تحررتَ ؟
كيف انبهمت ، وأعضاؤها تتنزَّى
على بقع من بياضٍ ولون
وكيف تتبَّعت طائرها ، وهْى تغويك
بادئةً بغلالاتها السبعِ ، رقصتها المشتهاة ؟
سأنساك كى لا أعيش الحياة كلاما ،
وآتى لها بالقميصِ
لتبصر وجهك مُتصلا بالمياه
وأرمى لك النردَ ، ماذا يُساورك الآن ؟
ميسونُ ثاويةٌ بين أعشابها والقصيدةِ
تكتبُ أسماءها قرب لوحاتك المبهماتِ
وترمى العصافير بالذكرياتِ الصغيرة
تفتحَ معرضها فى الأتيليه
فاهدأ قْليلا ، ..
هناك الشوارعُ ، والأصدقاءُ القليلون
حقُّ اللجوء السياسىِّ ،
كوبٌ من الشاى فى الأندايانا
هناك استطاعةُ أن تتذكَّر ،

فكرةُ أن تتغيَّرَ
أو تستحيل مسيحاً من الإثم والرغباتِ
وتدخل نسيانها ،
تستردّ شواغلك النمطية
تأتلف الفقدَ والوحشة الجسديةَ
تجترّ يومك ، مُستوحداً
آخذاً فى الحياة ملذَّاتها العابراتِ
فكم لغةٍ فى الهديل
وكم حالةٍ فى الأريجْ

وهل ليبيا لا تزال تُطلُّ بأغنامها وبنيها على البحر ؟

...

واربَ شيشَ الشبابيكِ
أحصى بخطواته درجَ البيتِ
مُستغلَقاً ، قال أجهلُ نفسى
ولِمَ انعكاسات أشباحه فى الخلاءِ الملىء
أدار المؤشرَ صَوْبَ طرابُلُسَ
تُرتراعن وطنٍ وأباطيلَ أخرى
وكوَّن شكلَ المكان ليدخل لوحتهُ ،
غرفةً فى السطوحِ
وأقنعةً للتنكر ،
وامرأةً فى الخليجْ .

القاهرة : محمود نسيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقـــلاع وحجـــارة وســـواعد فلســـطينية

عبد البديع محمد عراق

فى اليومِ الأوَّل بعدَ العامِ الثّانى ، لا
بَلْ فى الساعـة الأولى ،
بَلْ فى اللحظة الأولى ،
دَقَّ الحجرُ الأول ،
دَقَّ الحجرُ الثّانى ،
دَقَّ الحَجَرُ الثّالثْ ،
فصحا عصفورُ الحُرّيَّةْ ،
وتَساءَلَ : مَنْ يصحو قَبْلى ؟
مَن هذا السّارى يَسْبِقُنِى ؟
مَنْ غَيَّرَ وَجْهَ اللّيل
وَأَسْرَجَ صُبْحَ الخَيْلِ .. وَمَنْ ؟
مَنْ شدَّ خُيوطَ الفَجْرِ
شُعَاعَ الشَّمْسِ
وَأَطْلع هذا اليَوْمَ ؟
فَأَجَابَتْ مِئْذَنةٌ فى القُدْسِ
تخَطَّتْ كُلَّ بُحورِ الرَّجْسِ
وَغَنَّتْ لِلحَقِ وَقَالت :
ياعُصفورُ ، زَمانُ القَهْر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زمانُ الغَدْرِ ، مَضى
قدْ أشْرقَ عصرُ الطُّهْرْ
لِلأقصى ثأرٌ مُضطَرِمٌ يَحْدُوهُ الفَخْر .
حَمَلَتْهُ قُلوبٌ مُؤْمِنَةٌ لَمْ تَعْرِفْ طَعْمَ النَّوْمْ ،
أطفالٌ قَدْ عَرَفوا الله
أَخَذوُا فى الكَفّ حِجارَتَهُمْ ،
نَزَعوُها مِنْ مُرّ الصَّبْرْ ،
أَلقَوْها فى وَجْهِ القَهْرْ ،
دَقّوا للدُّنيا سَاعَتَها ،
والدَّقَّةُ ـ ياعُصفورُ ـ غَدَتْ عُنوانَ العَصْرْ .

* * *

دَقَّ الحَجَرُ الأوَّل .
وَصَحتْ أَسْيافُ النّارْ ،
وَرَمَتْ أَغْمادَ الخَوْفِ ،
وَفُحْشَ الزَّيْفِ ،
على جمراتِ الثار
سَئِمَتْ أَغماداً قد صَدِئَتْ ،
تَجْتَرُّ الأَمْسَ مُعَلَّقَةً فوقَ الجُدْرانْ ،
ما عادَتْ تَقْبَلُ عُذْراً عَنْ طُولِ النِّسْيَانْ .
كَسرَتْ أَقْفَالَ الأَسْر
تَحَدَّتْ كُلَّ ذِئَابِ العَصْرِ
أُسُودِ العَصْر
وَطَارَتْ ، غنَّتْ لِلمَجْدِ الدّامِى مَرْفوعِ الرَّأْسْ ،
وَمَضَتْ يَرْتَادُ سَنَاها ـ مُحْمَرًّا ـ لَيْلَ الأَوْطانْ
لاقَتْها كَفٌّ مِنْ غَزَّةْ
مِنْ رامَ الله
مِنْ أَقْصانا
مِنْ أَرْضِ النارْ
قَالَتْ ـ وَالكَفُّ مُسَدَّدَةٌ ـ ابْدأ يادَرْسْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بَدَأَ الدَّرْسُ
مَاتَ اليَأْسُ
صَاحَ الثَّأْرُ
انْتَفَضَ البَأْسُ
عَزَفَتْ كَفٌّ
غَنَّى حَجَرٌ
لَبَّتْ أُخَرٌ
مِئَةٌ خَمْسُ
وَمَضى شَهْرٌ
وَأَتَى شَهْرٌ
وَصَحا فَجْرٌ
وَعَلَتْ شَمْسُ

دَقَّ الحَجَرُ الثَّانِي
قَفَزَتْ أَنَاتُ المَنْفَى شَاخِصَةً رغْمَ الآلامْ
صَرَخَتْ ثَارَاتُ الأَمْس
مَذَابِحُ شَعْبٍ قَاسَاهَا عَبْرَ الأَيَّامْ .
جَاءَتْ بِالخِزْيِ مُلَفَّعَةً
وَمَشَتْ بِالرَّأْسِ مُنَكَّسَةً
جُمِعَ البَطْشُ المُتَرَامِي ، واحْتَشَدتْ كُلُّ الآثَامْ
صارت مِصْبَاحَ الصَّبْرِ
ونارَ الصَّدْرِ
وَقُوتَ النَّصْرِ
مِعيناً يُحْمِي البُرْكَانْ
واشْتَعَلَتَ كُلُّ الأَرْكَانْ

* * *

هاج الثَّوْرُ المُتَعَمْلِقُ غطَّتْ عيْنَيْهِ الأحقادْ
شَحَذَ القرنيْنِ ، تطاولَ يَحْفرُ ـ كِبْراً ـ فى الأرضْ
وَغدا يَتَخَبَّطُ ، يَزْفرُ ، يَرْفُسُ ، ينطحُ ، يَعْلو ، يَهْبِطُ ،
يُرْغِى ، يُزْبِدُ ، يُبْرِقُ ، يُرْعِدُ كالإعْصَارْ ...

فَتَساقَطَ رَيْحَانٌ غَضٌ يتمايَلُ يَلْهو فى انداءِ الصُّبْحْ
كسِرَتْ أَغْصَانٌ تَعْلوها أَنَاتُ الشَّوْقِ
وَضَعْفُ العِشْقِ
وَمَالَتْ .
وَتَسابَقَ وَرْدٌ ، رُمّانٌ يتعانَقُ فى قُبَلاتِ الجُرْحْ ....
فُتِحَتْ كُلُّ الأَصْدافْ ،
خَرَجَ اللُّؤْلؤ .
لَمَعَ الذَّهبُ المَدْفونُ بِذُلّ الأَسْر
بَرَزَتْ أَشْواكُ الوَرْدِ وَصارَتْ كالأَسْيافْ
صَارَ الرُّمَّانُ وقُوداً واحْمرَّتْ كُلُّ الأَغْصان
هَاجَ الثَّوْرُ المَجْروحُ يُحاصِرُهُ لَهَبُ النِّيرانْ
يَتَلَوّى ،
وَانْتَصَرَتْ أَيدى الرَّيْحانْ .

دَقَّ الحَجَرُ الثّالثْ ،
وَقَفَ المَجْدُ المَأْثورُ بِساحَتِنا يتباهَى بالأَحفادْ ،
وانْتَصَبَتْ أَخلاقُ الأَمْس : رجالاً ، اطفالاً ، ونِساء .
قَالَ الأَطفالْ :
فَلْتُفْتَحْ كُلُّ الأَبْوابْ ،
فى الوَطَنِ المَجْروحِ يَعيشُ الكُلُّ لِأَجْلِ الكُلّ .
قَالَتْ أُمُّ الفَخْر :
لا يُتْرَكُ بَيْتٌ دُونَ عَشاء .
قَالَتْ أُمُّ العِزّ :
لا يُغْفَلُ مِسكينٌ أَو مُحْتاجٌ فَالكُلُّ سَواء .
قَالَ الشَّيْخُ العَابِدْ
لا يُؤمِنُ مِنّا مَنْ يَأْوى شَبْعاناً والجِيرَانُ جِياعْ .
بَدَأَتْ أَقْدامُ الخَيْرِ تَجوسُ بساطَ اللَّيْلِ سِرَاعْ ،
تَتَخَفّى ، يُؤْنِسُها طَيْرُ الظُّلْمَةْ
وَتُنادِى كُلُّ رَغيفٍ صار يُحِبُّ القِسْمَةْ ،
وَالخَيْرُ كَثِيرْ

* * * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قَالَتْ غَادَة :
مَنْ أَلْقى أَحْجاراً فى وَجْهِ القهْرِ ،
وَأَدْمَى عَيْنَ الثَّوْر ،
فَقَد أَعْطانى ـ مُكْتَمِلاً ـ مَهْرِى .
مَنْ شدَّ بِمِقْلاعٍ وَرَمَى
أُعْطِيهِ الحُبَّ وأَيَّامى ،
أُعْطِيهِ القَلْبَ وأَحْلامى ،
وَالقَلْبُ وَثِيرْ .
قالتْ أُمُّ الصَّبْرِ
قَلْبى مَزْروعٌ فى أَنصارْ ،
فى الشَّارِعِ انهى دَوْرَتَهُ الأُولى ،
وَيُقَدِّمُ دَوْرَتَهُ الأُخْرى بَيْنَ الثُّوارْ
قد ماتَ أَبُوهُ بِقَرْنِ الثَّوْرْ .
وَبَذَلْتُ العُمْرَ أُرَبِّيهِ ،
وَفَتَحْتُ الصَّدْرَ لِأَحْمِيهِ .
لكنّى لَمْ أَبْخَلْ يَوْماً ،
فَعُيونُ القُدْسِ تُنَادِيهِ .
أَوْصانى أَنْ يَبْقَى البَيْتُ
بَيْتاً لِجَمِيعِ الأَحْرارْ
وَالبَيْتُ كَبِيرْ .

* * * *

قَالَت أُمُّ العَزْمِ
هذى الأَحْجارُ بأَيْدينا عُنْوانُ النَّصْرْ
وَالعَزْمُ طريقٌ للأَقْصى مِفْتَاحِ السِّرّ

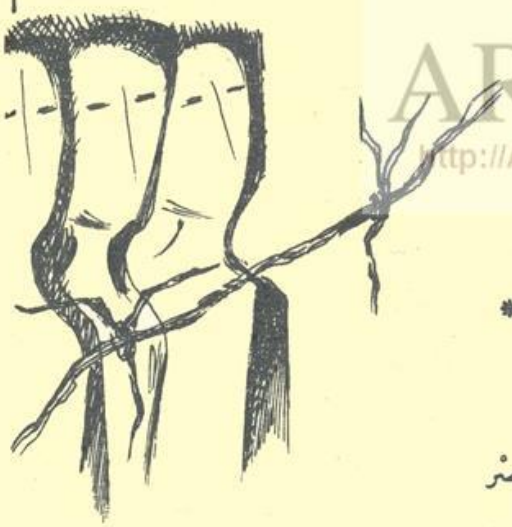

القاهرة : عبد البديع محمد عراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرثيـــــة للبحـــر الميـــت

عـــاطف المـــؤذن

حزيناً كنتَ ، استحضنتْكَ العينُ ، كى تنسى بك الحزنا
وكان الشطّ يحكى أنّةً مصلوبةً فى جوفك الموجعْ
كما تتحرك الشفتان فى همس بغير هُدى
تقصّ الصرخةُ المخنوقةُ الحلقِ
أتت أنفاسك المحمومة الحيرى
ممزَّقةً بلا دفقِ
وأُسكِنْتَ ..
بما تاه النداء الحُرُّ من صوتك
وكُفِّنْتَ ..
بما ألقَوه من عفن على وجهك
وأُلحدْت ..
بما أفكوه من حزن على موتك
وما علموا
بأنَّ البحر لو ماتَ
سيبدو زيفهم دمعاً على الأوجه
وأن البحر لو ماتَ
تموت الدمعة الحرَّى بعين الصَبْ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكرى ليلةٍ قمراء عاشت فى زوايا القلب ،
وإلفان ،
وقصةُ حب ،
وآلافٌ من الأحلام خطَّتْها مآقينا ،
وجرحٌ من تنائينا
.....
وان البحر لو ماتَ
فلن تهتزَّ أغصان لهمس الريح ،
أو يخضرَّ إن جاء الربيعُ ــ شجر
ولن يُرجَى من القمر (المطلّ) ضياءُ
ولن تحمرَّ وجناتُ العروسين
بيوم العُرس ،
حين تَرنُّ دقاتُ الدفوف مساء
ولن تتبسّم الحسناء
إذا أهديْتَها وردة
سيكل معنا الحلم من جر
ولا يكبرْ
ويمشى (حُرُّنا) فى الوحل والأنجاس لا يأنف ،
ولا ينفرْ
وترنو إبنة الجيران نحو الفارسِ المغوارِ .. لا يحضر
.....
وأن البحر لو ماتَ
فلن أطربْ ..
لزقزقةٍ
ولن أهفو ..
لحريّهْ
ولن أملك ..
سوى تسطير مرثيّه .

القاهرة : عاطف عبد الغفار احمد المؤذن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــيدتان

● مشهور فواز

١ ـ حـــــيرة :

كُنت ـ حين دخلت الصباحَ وقاسمتُهُ خبرَهُ
أنتوى أن أصير مدىً للضياء
أنتوى ـ كنت ـ أمنحه حقّه أن يرى
مثلما يبصرُ الأتقياء
مالحاً .. كان طعمُ المياهِ
وضيِّقة شرفةُ البيت
والأكفّ التى كنتُ أنوى تشاركنى فى الغناء
لَمْلمتْ ظلّها
وأنا كنت مغتسلاً فى الصبابةِ
ملتحفاً بالفضاء
أيّهذا الصباح الذى صار بابى الى اللغط المستمر
أيُّنا يستوى هانئاً فوق مقعده
حين يأتى المساء !

٢ ـ بطـــــولة :

إنه وحده الآن
يدخل منزله فى المساء
[illegible]
[illegible]
إنه ليس يمتلك الآن إلاّ الهدوء المريع
ولا شىء يمكله غيرُ دهشته من بقايا الصقيع
فهل يخلع الآن أسماء من خلعوا صدقهم فى [illegible]
أم يسوّى له كوب شاىٍ
يزيل المرارة من حلقه
ويعيد إليه براءته . ؟
إنه يتساءلُ :
كيف نجا من تحالفهم ضدَّه
واستطاع يؤوّله بغموض المواجيع ؟

.....

وحده الآن
يوشك يفْلتُ من أُنسه
ويدين الربيع !

القاهرة : مشهور فواز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحدث فى الليـــل

نبيـل قـاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الليل كثيراً ما تشتعل النار السريّة :
فى الليل كثيراً ما تبكى الفتيات المحبوبات حبيباً غادَرَ او ماتَ
تنادى امرأة عند النهر غريقاً ينمو فى عينيه اللؤلؤُ
والأعشاب المائية
فى الليل كثيراً يتمنّى الفتيةُ تحت القبّةِ
فى وجدٍ ، أو يقتحمون الحُرُماتْ
تقتطف الشرطة تحت الأسقفِ
زهرَ المحظورات
فى الليل كثيراً ما تجتمع الجدّات ليقرأن الطالعَ
أو يتكاشفن ويتشكّيْنَ عقوق الأبناء
فى الليل كثيراً ما تسكن أرواح القديسين قناع لصوص الماشيةِ
وقمصان الغانيات

• • •

فى الليل كثيراً ما تتفجر السحبُ الرعدية
تتناهىَ طلقةُ نارٍ نائيةٌ
تسقط أستار :
إمرأة بحريق عظام العاشق تتدفّأ

مُشعِلةً منها سيجارتها والنهد ــ القيثارة
ورفاقٌ مخمورون افترشوا جسدَ الشاعر
وانتهشوا منه /لحماً ونبيذاً أحمرْ

• • •

فى الليل كثيراً ما يلتهب القلبُ بنسر الحمّى الميتافيزيقية
تُفتح أجنحة فى النهر المستور وأوردة لسقوط البرقِ
وللتمتمة الهمجية :
يورق جمر اللامتناهى يتفتّق
تسقط قنبلةٌ فى الأحراش وقيثارٌ مشدودٌ
فى البحر المتدفّق :
إمرأةٌ حبلى فى المنزل يهجرها رجلٌ فى معطف صمتٍ يخرجُ
فوق حصان أبيض يذرع تحت نجوم سماء الليل الغائِم
أصقاع الوثنية

• • •

فى الصبح
كثيراً ما تقتحم الشرطةُ بيتاً منعزلاً جبليا
كانت فى الليل أضاءته النارُ الأسرارُ
فأطلق صاحبه نحو السفح الطيرَ الزهَر ،
مصابيح الأشعار
فى الصبح ..
كثيراً ما يحمل موجُ التيارِ
نبيًّا منكسرا
أو نسراً علويّا
قدمات
.....
من فى الصبحِ
سيبكى
الأمواتْ ؟

القاهرة : نبيل قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● صباح طازج ... لصبـــــاح

السـمَّاح عبد الله

لِمَنِ الوردةْ ؟
... للسيدةِ الوردةْ ...
وسهام الحُبِّ المُرْتَدَّةْ ؟
... للمُحتدَّةْ ...
يتلصَّصُ ورد فى آنيةِ الْبَهْوِ ... على خطواتْ ...
، المارَّةْ ...
، يختارُ المتعبَ ...
، والْمُتْعَبُ فتنتُهُ ... أن يخطُوَ ...
، أو يلتصقَ ببَحْر ...
، أوْ نافذةٍ ...
، يَاآنِيَةَ الْبَهْوِ ...
، الوقتُ ضلالتُهُ ...
، خيبةُ مسعاهُ ...
، هواهُ المخطوفُ ...
، جلالتُهُ ...
، ستمُرُّ القاطرةُ إذنْ صاخبةً فى صمْتِ ضلالته ...
، يصعدُ ...
، ويجاورُ نافذةً ...
، ويشدُّ ... إلى عُرْى أصابعه ... رعشةَ أنْ ...
، يحتدمَ ... وحيداً ...
، فى آخرِ ساعاتِ الليلِ ...
، يخطِّطُ لحكاياتٍ ... دافئةٍ ...
، وَجَوًى مُبْتَلٍّ ...
، وَهَوًى صادٍ ...
، كَىْ يرشوَ مَنْ يَسْتَجْمِعُهُمْ فى دُخَانِ التَّبْغِ ...
، أيا وَرْدَ الآنِيَةِ ...
، المتعبُ ... سيجرِّبُ فتنتهُ فى أنْ يخطوَ ...
، والدَّربُ وسيعٌ فى حجمِ جلالتِهِ ...
، يسَّاءلُ ...
، وَيُجِيْبُ ...
، لَمْ سيُشَقْشِقُ ... بَعد الوقْتِ الفاتنِ فى الجسمِ ...
، الظمآنِ صباحْ ...
... لِصباحْ ●

القاهرة السمّاح عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد قصيرة

• ناصر رباح

١ ـ انتظار .

إثْنَانِ ،
غيرُ أنا وأنتِ ،
الآنَ مرًّا مِن هُنا ،
فبكيتُ وحْدى :
كيفَ أخطأتَ السنونو ياسَفْر ؟!

* * *

عاد الحمامُ الزاجلُ
عادت إلى شَمس المغيبِ الاسئلةْ
مطرٌ ينامُ على زجاجٍ ساهمٍ ،
بابٌ يموتُ .. ونافذةْ .
خذْ ما تشاءُ الآنَ من خوفى عليك
خذْ ما تشاءُ .
فالانتظارُ هو المحكُّ
الانتظارُ هو الطريقُ المقفلةْ .

.....

٢ ـ جواد

ككلِّ الجيادِ الجميلةِ والمُهْمَلَةْ
غازَلتْهُ صباحاً رياحٌ حنونْ
بلَّلتْ خضرةُ السنديانِ الجوادْ ،
غَضَّ من طَرْفِهِ ،
كلَّ هذا الحنينْ ،
مَضى صَامِتاً .. دَاخِلَهْ .
آهِ لَما رأى قَلْبَهُ ،
شُرْفَةً مقْفَلَةْ !

...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ إسْليـــــــما*

الآن إسْليما تبتدئ العَزْفْ ،
وعَلى أرضِ الشارعِ تَرسُمُ خَطّيْنِ ،
ودَائرة ،
تحجلْ .
والقلبُ ..
يسافرُ نحو بلادٍ ،
انهمرتْ فيها للحجلة عيناىَ ،
ولكن .. لم أحجلْ
وسَدْتُ ندىَ قلبى لخُطى أيِّل :
لعيونِ اسْليما .
كنتُ أعاودُ أن أبكى ،
واكابُر أن اذبلُ
.....

٤ ـ تكـــــــوين

ـ ماأجملُ أغنية فى الدنيا ؟
قالتْ أمى : لا أعرفْ .
أجملُ أغنية ألاّ تعرفْ .
حسبُك تعرف :
أن الواحد ربْ ،
أن هنالك شيئاً فيكَ يُسمى القلبْ
أن « الدّفلى » زهرة ،
واللون الأبيضَ ، لونٌ أبيضْ
.....
.....
ـ أجملُ أغنيةٍ فى الدنيا .. طفلٌ سيحبُّ !!

■■■■■■■■■

٥ ـ ويانشـــــــيد ..

إلى محمود درويش

وتُلقى عَلَيْهِ السّؤالَ السّؤال ،
ودرْويشُ يَمضى إلى حَانَتِهْ ،
عَلِمْنا بأن الدُموعُ إلى العَين تصْبو .
فكيفَ النشيدُ إلى صَوتِهِ يْستعادْ ؟!

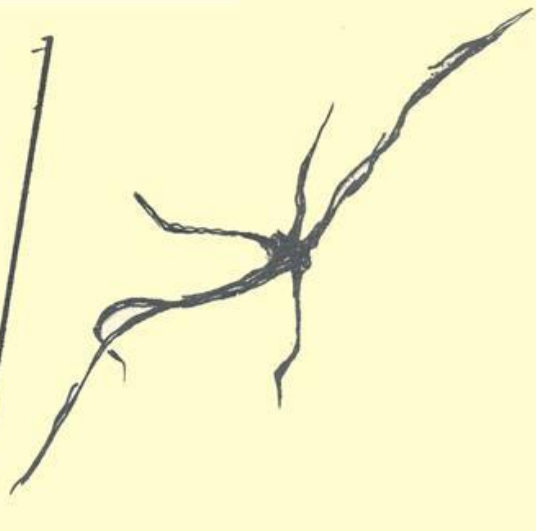

غزة ـ فلسطين : ناصر محمد شاكر رباح

اسليما : أحد أحياء جزيرة مالطة

المشمول بأوهامه

فؤاد سليمان مغنم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنت مستأنسٌ
وسواك الذئابْ
قالها والجريدة تمسح عينيه
والصمتُ يرمى إلى بركة الضوء
أسماكهُ
قلتُ مستأنس .. !
عادةً يتسرَّب فىَّ الكلامُ إلى أن يشيخ
فكيف انخلعْتُ
أبابُ التراب على ثقةٍ من خضوعى لسُمرته !
أم هو التبغ يعبث بالذكريات الوسيعةِ
والجسم أضيق من قُبلة الشوك
أضيق من صرخة الرَّمل
فى ذكريات السحابْ
فخذ امرأةً أشعلتنى كثيراً بحُمرتها
أحرقتنى
ورُدَّ إلىَّ الترابْ
أكنت أنا قاتلٌ عطشى أم قتيلٌ
أصدُّ الذباب عن الروح
أم أقتفى أثراً للهواء
على حين كان الجنون يدقُّ مساميره
فى دماغىَ
كانت شروخ المرايا تجزّئُنى
ثم تُذهبُ عن أعينى ألفةَ الوجه
يطلع من ذكريات الشوارع جندٌ
يمطُّون أشداقهم كالأفاعى
وأشباه ناسٍ تمرُّ
ورأسىَ لا ينتهى من عناق المحال
كأنَّ السبيل أنا
وأنا للسبيلْ
أترى قاتلٌ أم قتيلْ ؟
اِعتصرْن الحقيقة أيتها الباحثات عن النارِ
فى جثتى
للحقيقة سيّارةٌ ليس توقفها بُقَع الضوءِ
أو سَريان المخدِّر فى عصب الوقتِ

إنَّ الرفيق الذى أنت تعرفه يارفيق
استقى ملح عينيه
حتى متى يتزيَّى أصابعَ مشمولةً بالدماء
فلا تبتئسْ
للنخيل جريدٌ .. وللخوف ظِلّ
ولا تسألنَّ إذا انغرزت شوكةٌ
أيُّنا لا يحبُّ الرُّطبْ
واعترفْ أنَّ فى القدمين أناخ العطبْ

* * *

المرايا تخطُّك
كيف لها أن تخونَ المرايا
وكيف احتملْت الولوج إلى عطشٍ
والقرى فى وريدك سابحةٌ
ونهارك لصق نهارِ العصافير
لصق الحصى والغبار
ولصق السواقى
وهمهمة الليل . نهر الضفادع
لصق العفاريت مخبوءة فى الشقوق ؟
أنارٌ تمارس سلطانها فيك
أم أنت متسخٌ
واغترفتَ سُدًى من وجوه المغيرين
حُمرتَها ؟

فلماذا استعذْتَ من النور بالنار
كيف افترشْت بعمرك سيدةً
هدَّها الحمْلُ
وانغرزت فى ضلوعك أشياؤها
ودماؤك ليس لها قِطَع فى خرائنها
واقتلعْتَ فتاتك من رئتيك
إذن
للشجيرات حقٌّ إذا ابتلعتْ ظلَّها
وتعرَّى فضاؤك
للدود حقٌّ إذا استلَّ مئذنةً
واستطابك
هُنتَ
وهان على مقلتيك اليمامُ
لماذا اقتلعْتَ الفتاةَ
وكفُّك مشمولةً بالترابْ ؟
... ...
اعترفْ
أعترفْ .. أنت مستأنسٌ
وسواك الذئابْ
قالها . ثم ناولنى ـ من جميع المرايا
جريدته
واستقلَّ الغيابْ

منيا القمح . شرقية : فؤاد سليمان مغنَّم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نـــــداء

(إلى أبى فى الغربة)

عبد المنعم العقبى

كان الصباح حديقةً
والشمسُ فوق الرمل ـ سنبلةٌ
يجالسها أبى
ناديتهُ
وهو المسافر فى ضمير الوقت
ترتشف المدائنُ وجهه
فتدفقتْ بينى وبين رضائه عصفورةٌ
تحنو علىَّ
وترشق الدفء الرحيم على دمى
وتغيب فى الملكوت تغزل من ندائى عُشَّها .

* * * *

فوق السماءِ
أتَتْ نخيل الدّوح يملؤها التبتّل والخشوعُ
لكى تصلّى خلفه .
ناديتُه .....
لم ينتبهْ
وانساب فى صلواته
فتدفقت من كمِّه حبات خلدٍ
وانشاء قصيدةٍ .

* * * *

مازال خدُّ النهر والريحِ الكسولةِ
يرقدانِ على المسيرة بيننا
هُوَ ..
فى ضمير الحقل سنبلة الرؤى
وأنا ...
هنا
مازلت أمنحه النداء ...
وأنتظرْ
هل يحمل النهر النداء
إلى أبى ؟

إدكو بحيرة : عبد المنعم العقبى

البابليـــــون

● حســن النجــار

لينٌ راس هذا الجواد
ومخضَرَّة مقلتاهُ
..ومتَّسع صدرُه لوجيب الفضا ....

قلت ياسيدى
إننى مذ تربّيْت فى الظلِّ
لم أعرف الحبَّ .

طعم نبيذ القصائِد
وهى تخبّ إلى النار ،
وابيضّت الروح ..

إننى مذ تخلفتُ عن سَفَر البابليّين
لم تأخذ الأرض زينتها من يدى ،
لم تعرف كتاب مدائحها
فأقول أشتهى جسدى
ثم لم ....
أرتدى حرملة
من نسيج حبيبتى المبتلاةِ
بحبى الهرم
وأخط على صدرها قلعةً
وأقول :
هنا قرأ البابليون أورادهم
وأقاموا حواضرهم
وهنا أوثقونى بنخل البكاء

القاهرة : حسن النجار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شـــذا الأوراق

● توفيق أبو أصبع

وشاحُ الليلِ يَسْترُ لَهْفةَ العشّاقْ
وطيفُ الأمسِ لا يُدْنى صدى الأشواقْ
وقلبى ، بل بريدُ اليأس ، يحملُنى
على أمواجِ فِتْنتها حنيناً دامعَ الأحداقْ
أحبّكِ يا عذابَ الحسِّ والنَّفسِ
أيا بَرْقاً أضاء الروحَ ثانيةً وأجّجها
وأمْعنَ فى لظى الإحراق
أمُدُّ يدىَّ نحو ثمارِ جنّتِكمْ
فَتَنْهشُنى رماحُ الصدِّ والصمتِ ..
وأدنو مِنْ منازلِكُمْ
فَيَعْثُرُ قلبىَ المكسورُ
فى سد من الأسوارِ كالموتِ ..
وليس سواكِ يُنْبتُ
فى فيافى الوَقْت رَيحانا
ونخلاً زاهىَ الطَّلْع ..
وأطفالاً ورمّانا
وماءً رائقَ النبع

تعالى كى نضمَّ الرَّمزَ والكلماتْ
ونشدو للحياةِ معا
ونَنجو من مرارتِنا
ومن أحزانِ ما قد فاتْ
تعالَىْ يا مُنى عُمْرى
فليس لقلبىَ الملهوفِ
من زادٍ سوى حبِّكْ
فأنتِ الليلُ والنجمهْ
وأنتِ الظلُّ والغيمهْ
وأنتِ الشمسُ والبَسْمهْ
وأنتِ ربيعُ دنيانا
وسِرُّ الحبِّ والنِّعمهْ
تعالى فى شراييني
لكى يَخْضرَّ فى غَدِنا
شذا الأوراقْ

البحرين : توفيق ابو اصبع

ARCHIVE
http://Archiveheta.Sakhrit.com

من أوراق جندى

● ناصر فرغلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الساحلىّ

تَرى بَرْقاناً
ورعْداً ،
ولا مطرٌ ،
فتقولُ :
مَنِ الساحلىُّ ؟
وَمَنْ أطْلقَ اليودَ من رئتيْهِ
ليُعلنَ عن بدءِ عُرسِ العناصرِ ؟ مَنْ ؟
وتمرُّ بعينيكَ
تلمحُ لونَ البرونزِ
ونوناً نشازاً
ـ أنا ، سوف « نذهُب ..*

تعرفُ من أينَ تاتى المشاكلَ
أنتَ ؟
إذنْ أنَت ،
من عَلَّبَ البحرَ ؟
من أدخلَ الحوتَ دربَ الحِبالة ؟
من أينَ « يونُسُ » مَرَّ ؟
ـــ « أنا ، سوفَ نذهبُ »
« أينَ ؟
ـــ « إلى حيثُ يتَّسِعُ الأفْقُ ،
تنسلُّ مركبةٌ من غطاءِ السريرِ
إلى موعدٍ فى الخليجِ ،
إلى ناصياتٍ تَعُدُّ مُدانا

* تعبّر عامية الاسكندرية عن المتكلم المفرد بصيغة الجمع

لكى تطمئنَّ البناتُ إلى
فِعْلِ زينتِهنَّ
ويفتَحُ سترتَه ليريَك الندوبَ
ـــ « ثمانيةٌ بينما كنُت وحدى !
وذى كنُت طفلاً » .
« وتلكَ ؟ »
ـــ « أظافر » . قالَ ،
بغير اكتراثٍ ،
فترتَجُّ حَلْقتُنا بالصفير
ولكنّه حينَ تأتى الأوامرُ
ينفخُ فى ضجر
ويخشُّ بحنجرتيْنِ مُشاحنةً
فتفوزانِ ،
يمرُقُ نحو الخلاءِ
أنا ،
سوف نذهبْ

القرويـــون

وللقرويّينَ فى الجيش عاداتُهم
لَهُم صَخَبٌ
حينَ يُقرَى بما قد تيسَّرْ
لهمْ غبطةٌ عند حدّ الأنامل
فى كوبِ شايٍ ،
وفى نكتةٍ ليس تخلو
لهم وحدهم
أن يُسَمُّوا لنا كلّ هذا الشجَرْ
وأن يجعلوا اللحْنَ جغرافيا
حينَ يُمْسونَ
ثُمَّ لهمْ
أنْ يَمُرُّوا
بلا ضجّةٍ
فى الجدار ،
أنْسَل من بين أرجلنا
كالهُرَيْراتِ
شَبَّ بقامتِهِ
هكذا
فجأةً ،
وانكسَرْ .

الاسكندرية : ناصر فرغلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصهيل

● جميل أبو صبيح

هَيَّأَتْ جسداً عارياً
كان مِسْكُ الرّعونَةِ يَنْضَحُ
كانت جيوشٌ مِن النمل تَنْهَشُهُ
وَهْيَ تَلْهَثُ بَيْنَ ظِلالِ الْمَرايا
تَصْفُ الْبُيوتَ على راحَتَيْها
وَتُفْلِتُ ذُؤْبانها فى الشَّوارعِ
تنقُلُها حَجَراً حَجَراً
ثُمَّ تنسجها
وَتَمُدُّ النَّسيجَ إلى مُنْتَهاهْ

هَيَّأَتْ وَحْلَها
وَتَلَوَّتْ كَأَفْعى الْمِياهْ
وَعَلى نُقْطَةٍ خَلْفَ جُدْرانِ عِزِّ الضُّحى
رَقَصَتْ فى فَضاءٍ منَ الْمَخْمَلِ الأنْثَوِىِّ
رقصتْ كَمَلاكٍ ذَبيحٍ
وكانت دماءُ الشِّفاهْ

تتناثَرُ فى حُجُراتِ البيوتْ
والبيوتْ تضيءُ وتنهضُ من نَوْمِها
مِثْلَما الشَّمس كانت تُضيء وتنهضُ
قامَتُها من جُذوعِ النَّخيلْ
تَغْزِلُ الْبَرْقَ شالاً وتَلْبَسهُ ،
ثُمَّ تجعل بَحْرَ الضِّياءِ بِساطاً
تَسيرُ عَلَيْه إلى الشُّرُفاتِ
تَسيرُ بِخُطْوَتِها الْقاسِيَهْ
حينَ مَرَّ أميرُ الْهوى مُسْرِعاً
مَرَّ يَطْوى جَناح هَواهْ
لَمْ يشاهِدْ على الْباب شُعْلَتَها
كانَتِ الأرضُ تَصْهَلُ بَيْنَ يَدَيْها
وَهْوَ يَمْضى إلى حيث يَمْضى
مُسْرِعاً
والبيوتُ تُضيء وتنهضُ مِنْ نَوْمِها
مِثْلَما الشَّمْس كانَتْ تُضيء
وهْىَ فى قارب الموْتِ تَأْكل مِنْ لَحْمِها
تأكُل وهْى تَمُوءُ

هَيَّأَتْ جَسَداً عارياً
هَيَّأَتْهُ .. ولكِنْ عَناكِبُ دَسَّتْ
خُيوطاً مِنَ الثَّلْجِ فى عَتَماتِ الْجَسَدْ
فَتهاوَتْ كَتِمْثالِ رَمْلٍ
تَهاوَتْ ..
على وَحْلِها الْمُتَّقِدْ

الأردن : جميل ابو صبيح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

•• قصيـــــدتان

عـــادل بـــدر

١ ـ (يغـــــادر ...)

هو الآنَ يَفْتَح أَعْضَاءهُ لِطيورِ
السَّمَاءِ
يُلملمُ صَوْتَ السَّنَابِلِ فى
صَدْرِهِ
وَيَرشُّ الأَغَانى على عتباتِ
المسَاءِ
وَيُطلقُ عُصفورةً فى وَرِيدى
يُعانقنى
ثُمَّ يَرْسُم هيكَلهُ المتداعى على
طرقاتِ دمى
ويغادر ...

٢ ـ (غنـــــاء)

هكذا ....
يَجْرَحُ الطير أَوْتَارَهُ
فى الغناءِ
يُطيلُ التَّصدَح للفجرِ
يبنى منازلَهُ فى عروقِ المساءِ ..
ويمضى ....
فهل
كانت الرِّيحُ شَاخِصَةً للمدى
تتسمَّعُ لونَ التَّصدُّحِ
منتشراً ،
حَافِلاً ؟
وَتَرَى

.....

هكذا ....
كان يُخرجُ وردَ المياهِ
لأروقةِ القلبِ كلَّ مساءٍ
ويرنو لضوءِ منازِلهِ فى عروق المساءِ ..
ويسألُ عنه الفضاءَ
ويمضى .....

منوف : عادل حلمى بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشـــاهـــد

● حسن أحمـد يـوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

خسارة

إن تسمعوا ..
أوْ
لا ....
فأنتم خاسرونْ
حديثنا خرافةٌ
وصمتكم ....
جنونْ

(٢)

نفاق

من نظرةٍ ..
صغيرتى
قتلت ألفَ عاشقٍ ..
وعاشقْ
لكنّنى ....
لم أنحنِ
لأننى منافقٌ
لأننى منافقٌ !

(٣)

طلسم

آهٍ ..
لو ألمحُكِ سؤالاً ..
لأجبتهْ
لو ألمحُكِ خيالاً ..
عِشتُه
لكنّكِ
أجوبةٌ لسؤالى
سفَر ....
ـــ طيلة عمرى ـ
ما جرّبتهْ

قنا ـ قفط : حسن أحمد يوسف

ما حيلتي

جمال شرعى أبو زيد

ما حيلتى ؟
ما حيلتى ..
والحرفُ نَسرٌ لا يهونُ
ولا يحُطّ على حذاءِ الدّيدبانِ
ولا يطيقُ الصّومَ
أوْ سُكنىٰ السّكونْ ؟

ما حيلتى ..
والحرفُ رقْمٌ هاتفىٌّ بيننا
والحرفُ شرّدَ ظلّنا
والظلّ أشعلَ نخلنا
والنخلُ ذاكرةُ الشروق ،
ومهبطُ الرّوحِ الحزينْ ؟

ما حيلتى ..
ما حيلةُ الشّعراءِ
لوْ ما دَتْ بهمْ أرضٌ
وشقّتْ صدرهم صحراءُ
فانْعتقَتْ يماماتٌ
وحطّتْ فوقَ أعطافِ الحبيبةِ
بالأغانى ،
والجنونْ ؟

القاهرة : جمال شرعى أبو زيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

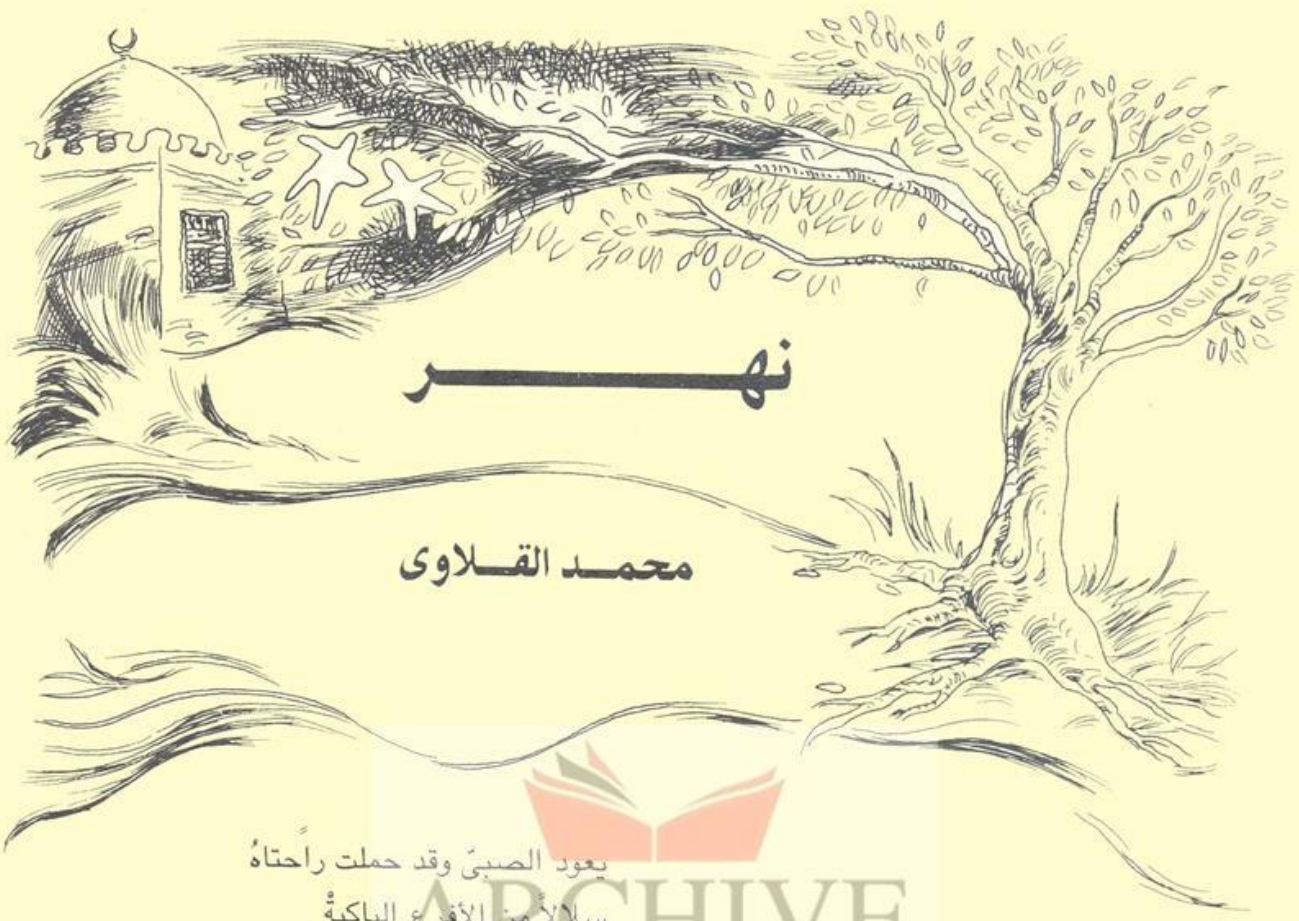

نهـــــــر

محمـــد القـــلاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هائماً كان يمشى
فينبتُ فى موضع القدم العشبُ
حتى أطال الوقوفَ
فكانت جماميزُ قريتنا الواجَمَهْ
يتحسّسُ فى هداة الليلِ سطح البيوتِ
يمشّط شَعر الرجال المجعّدِ ،
حتى إذا ساق راعى النجومِ ،
قطيعه مرتحلا
يستحيل الى نخلةٍ
يخمّش الوجهَ منها حصى الغرباءِ ،
فينفلتُ الهدهدُ المختبى للمقابرِ ،
يشهد مسَّ خدود العيالِ
لِلَوْح الرّخام الوحيدِ
وحين تبعثر بين السحابِ ،
أكفُّ العفاريت حفنةَ ماسِ

يعود الصبىّ وقد حملت راحتاهُ
سِلالاً من الأقرع الباكيةْ
مُبْصراً شهقةَ النار فى حضرة الشيخِ
تسكب فوق شتاء القلوبِ ،
روائحَ مَنْ يملأ الأرض عدلا
إذا ابتلّت الريح فى كهفها باللّهبْ !
يتوارى النعاسُ
وقد هوَّمت روحُ مَن غابَ
فوق قباب الضريحِ
وأنْتَ المتوّجُ ــ تاجاً من الشوكِ ـ
مندفقاً للبلادِ البَتولِ
ولا تصطفى لزفافك غير العواهرِ
كنت لعبّاد شمسكَ
حقلا يفور بحنّاء عُرس الشروقِ
يسير الصبىُّ على وجهك الآنَ
يرصد أىَّ النخيلِ
يصير غدا مشنقه !

وجهــكَ أنت

أسكِتوا بين جنبىَّ شيئاً يريد البكاء
فقد نَكتَ الطائر المتجبرُ بين الرمادِ
فلاحتْ جراحٌ قد اندملت !
حين تسّاقط الأنجمُ الحائراتُ
على صفحة القلبِ
تصّاعد الشمس بى
فأرى وجهك المتدثّر بالغيمِ
من خلف نافذةٍ كالحهْ
يتخلّق حلماً دفيناً
يُميط حجاباً لثاماً
وما يهتدى لرؤاكَ المشوقُ
يقولونَ طاشتْ رماحُك عنّى
فهل أخطأتكَ ترانيمُ عشقى
وازهارُ نارك بين يدىَّ كيفْ
يتجمّع طيفكَ فوق وريقاتِ قلبى
كقطر الندى
فابتَدِرْ غرسَكَ الذابل المستهامَ
بفيض المطرْ

قلتَ لى ، بهجة الصمتِ
يا غبطةَ الرفضِ :
إن اهتصار الممالكِ حَيْفْ
أتنكّبُ بُكْمَ الطرائقِ ثم أُسائل عنكَ
وعند المساءِ تحوَّل قلبى بحيرة عطرٍ
وأنت كمُزْنة صيفْ
بسمةً لم تزَلْ
فى زمان الهزائم
تلفح أوجاعَ آنيتى الفارغه
واجماً يتتبّع ظلّى ركضَ خطاىَ
فكيف تخبّىء وجهك .. كيف ؟

إيتاى البارود - محمد القلاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

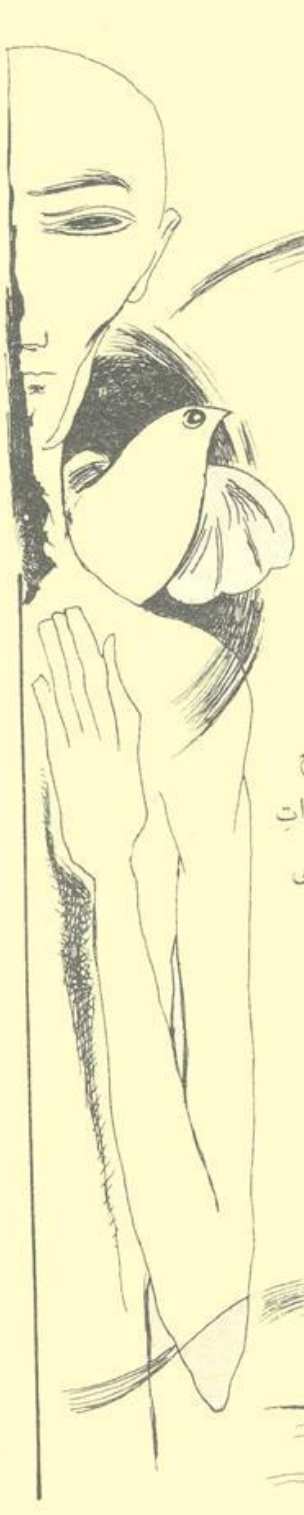

قصيـــدتان :

* مرثيـــة ...

(١)

قُلتُ .. هل تنعمُ الآن مثلى كما الجرح منكم كما الجُرح قيحى على قيحكم .. واعدونى إذا دقّتِ الأرض لى بالبشاراتِ نقسمُها بيننا : نصفُ قمحى وطرحى وفرحى . وآهى لقلبى وأحزانكم للجميعِ فلا تخُلفونى

قِيل وَعدٌ بدمّ ، ..

فلما مَضى آخر الليلِ فى أولِ الصُبحِ .. دَقتْ لهم بالمَسَرّاتِ ، قالوا إذا نقسمُ الآنَ إنّا إذن خاسرونْ

« ربّنَا مرثيةٌ ! » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢)

ها أنتْم تضِيعونَ منى
أنا حامل اللّه فى القلب والمُستخارُ الأخيرُ
ودعواى أن تأنسوا فى سلام
وقلبى ــ له الخيرُ ــ لا شىْء فيه سوى الحُزن ، قلبى
..... وزيتونةُ
أىُّ شىء له الآن ــ بعدى ــ نُخَيلَتَهُ
كى تفيئوا إليها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

(كُلُّ باب لَهُ الصمتُ والريحُ والوحشةُ الكابيهْ)
أيُّها الربُّ مرثيةً للعصافيرِ ..
هل قلبُها حَجَرٌ .
كى تُوافِيه بالرزقِ أو تَمنَع القمحَ من غيرِ مُبكيةٍ
تذكُر الأمسيات

.. التراصَّ على الناى
.. والبحرِ والرَابيهْ
أيُّها الربُّ مرثيةً للعصافيرِ
.. مَرثيةً
مَرْثيهْ

* الـــــندى ..

مَوعدٌ فى الندىٰ ..
حيثُ لاوجهَ إلا الدُمىٰ والسراب ..
وعاشقةٌ من نسيم الرؤى
تبتغيكَ كما أنتَ
لا تشتهى قُبلةً فى فصولِ انسجامِكَ فى الوجدِ
لا تُخلفُ الوعدَ حين تُصارحُها بالغرامِ
ولا تقتفى موعداً أنتَ كلمتها فيه ألاّ يكونْ
موعدٌ فى الندىٰ
والمساءُ اختلاط الرؤى بالجنونْ
والنجومُ إلى حيثُ عينيكَ — حتى ..
.. ولو أنتَ فاجئت صورتُها فى الغيوْم
(النجومُ هنا وهنا
والنَسيمُ يُغسِّلها فى الفضا
والغناءُ براحٌ من الذكريات ونهرٌ من الحُلمِ ..
يَمتدُّ حتىٰ قِبابِ المدىٰ)
: فى الندىٰ مَوعدٌ
فلماذا تُجَرِّبُ غيرَ الندىٰ

القاهرة : احمد ابو زيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

هـــى
الآن تحـــلم
بالمســـتحيل

صفوت زيدان ناصف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هى الآن تحلمُ بالمستحيلِ
تُرتِّبُ فوضى المكانِ
وتنْزِلُ عن عرشِهَا للفناءِ
وتحلمُ بالغَوْصِ
بالركضِ ..
.. فى ساعةِ الرفضِ .. ،
والإنضواءِ على مِزْقةٍ من أنين الليالى

• • •

هى الآن تحلمُ بالمستحيل
هى الآن ذكرى
تسافرُ فى الانتهاءِ
وتعبثُ بالياسمينِ
على ضفةِ النهرِ
وقت الصباحِ وحين الرَّواحِ .. ،
وتُسْقطُ بين اغْترابِ الزمانِ .. ،
اغترابِ المكانِ
وتهربُ فى حُلْمها تستعيدُ الأساطيْر !

• • •

هى الآن تحلمُ بالمستحيل
هى الآن ذكرى
هى الآن تْصغى إلى سَقْسَقَاتِ العصافير ....
.. والنصرُ يفضى إلى لُجةٍ من سَرابِ
ويهربُ من ظِلِّها
يسْتبيحُ اخضرارَ المكانِ
ويُشعلُ فى جذوةِ القلبِ
نارَ الفراقِ
وَوَجْع السنينْ
هى الآن فى ساعةِ الوجدِ

فى باقةِ الصدرِ
(فى أَوْجِهَا)
قامةٌ للرياحِ
ولُوتَسَةٌ فى العراءِ
وواهيةٌ فى الخواءِ
وناعسةٌ فى الصباحِ
وحانيةٌ كاليمامِ
ومُرْسَلَةٌ كالمنامِ
هى الآن بيتُ القصيدِ
وَوِرْدُ المريدِ
وزادُ الغريبْ ....

● ● ●

هى الآن تحلمُ بالمستحيل
هى الآن فى رحلةِ الإغترابِ
تشيخُ على جِسْرِ هذا المكانِ المريبْ
هى الآن واقفةٌ خلف مرآةِ ـ عُشْبِ الطفولةِ ـ
تلهْو ... ،
تحاولُ أن توقف النهرَ
ـ واجفةً ـ
تستعيدُ النشيدَ القديم .. ،
وتمرقُ كالجنّ فى عتمةِ الضوءِ
تدنُو .. ،
تُعِدُّ الغرامَ
وثوبَ الزفافِ
ونخبَ المساءِ
وكعك الصباحِ
وبعض الحليب
هى الآن فى حانةِ الرقصِ غيمٌ ثقيلْ !!

● ● ●

هى الآن تحلمُ بالمستحيل
هى الآن ذكرى
هى الآن عَطْشَى
هى الآن صوتُ الضمير
وبين الحقولِ الفراشُ الأسير
هى الآن تعبثُ فى جدولِ الصمتِ
فى دفترِ الوقتِ
تلعَقُ جُعْلَ القفارِ
وخلف اصْطِباغِ المساحيقِ
تسْتطلعُ البدرَ فى واحةِ الإحمرارِ .. ،
وتسكبُ فى مِريةِ اليمّ شوبَ القتامِ
تُهرْولُ خلف الجراحِ
وتلتف فى وشوشاتِ المصابيحِ
تلهثُ بين الثلوجِ
تُحلِّقُ فوق السحائِبِ
ـ عاشقةً ـ للغمامِ
وبعض الوقيعةْ

● ● ●

هى الآن تحلُم بالمستحيل
تقاسم بردَ الشتاءِ
ورعدَ السحابِ
وتُرْوَى بماءِ النخيل .. ،
وخلف الجدارِ تُلملمُ أشلاءها
تَسْتَفِزُّ المسَافةَ عبر الموانى
تبغى النجاةَ
وتشكو النجومَ
وتهربُ بالقلب تعْدُو أصابعها خلف ظل الحبيب القديمْ .
هى الآن تحلمُ بالمستحيلِ .. ،
وتهربُ بالأرضِ حتى :
« يجىء المكانُ البديلْ » !
هى الآن تحلمُ بالمستحيلْ !
هى الآن تحلمُ بالمستحيلْ !

القاهرة : صفوت زيدان ناصف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... وامـرأتى خضـــراء

مختار عيسى

أحفرُ في ذاكرتى...

(كان الليل نديًّا، وامرأتى خضراءَ،

وأطفالى .. يختضنون عصافيرًا خُضْرًا،

والشعراءُ انصرفوا !)

أتجولُ عبْر دهاليزِ مواضىَّ،

أنا السَّوَّاحُ،

المَسوسُ بحزن رفيقٍ

ـ لا يكشفُ عن جسد صبَابَتِهِ للأغرابِ ـ ،

المأسورُ،

وحيدًا مِنْ بين مآسيرِ غوايتِهِ،

مَنْ يعرفُ سرَّ الماءِ،

ويحفظُ أسماء الماشينَ على عسْجد لُجَّتِهِ ....،

أنبش فى الرّملِ المتخثرِ،
تنْبجسُ الأسئلةُ الحارقةُ،
تسيلُ الحيْرةُ فى دلتاىَ،
تصيحُ بأركانى أجنحةٌ،
ويُشارُ إلىَّ:
أنِ اصعدْ
يلْقفُنى ضوءٌ مشدوهٌ؛
فأراكم تغتسلونَ،
وتصْطفُّونَ على حوْض الزِّئبقِ،
تأتزرونَ بريشِى ..
ثُمَّ يهيضُ جناحاىَ،
أحطُّ على نهدٍ مِن زبدٍ ؛
فأُفزِّعُ سادرةً تضفرُ وحدتها،
وتكلِّمُ عصفورًا ينقرُ فى بَدَنِى ؛
فتكونُ قيامةُ ذاكرتى،
ويُديرُ الخازنُ قُرصَ تواريخى:

{ ... رجلٌ ذو رأسينِ،
العاهرُ تنْشقُ مِنْ إبطيْهِ،
وتنفثُ فى الرِّيحِ،
وتفْترشُ بلاهَتَهُ أوراقٌ، وتصاويرُ
وتلْكَ مدينتُنا تسعلُ - فى الفجرِ -
وتلعنُ نائمَهَا ...}

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(آهٍ ..
لو أنَّ اللَّوْنَ يفارقُ غيْمتَه،
لوْ أنَّ الصورةَ لا تعبثُ بى.
يا خازنَ تاريخى !)

(... ها أَنَذا أتدلَّى مِنْ شَجَرٍ،
رطْبًا،
ملْفوفًا .. بالنظرات الخُضْرِ،
وبالدَّعَواتِ المشْتعلاتِ،
وقابِلَتى ـ تلك الواقفةُ على عَتَبة أُمِّى ـ
تركعُ فى باحة لهْفتها،
وتمدُّ الكفَّ المعروقةَ،
تسْتصرخُني،
وتُقلِّب بالعينيْنِ الزَّائغتيْنِ فضائى
تُنْشدُنى آخرَ ما كتب اللهُ على صفْحتِىَ البيْضاءْ

أَتنزَّلُ محْفوفًا ... بملائكةٍ،
وشياطينَ.
وعمَّاتى ـ فى رُكن القاعةِ ، أذكرهنَّ جميعًا ـ
كُنَّ يُضاجعْنَ الرعْدةَ منْبهتاتٍ ،
يتغمَّزْنَ الرَّاقدةَ عَلَى وَجَعِى
ويُمسِّحْن ـ بكفٍّ خشَّنها الجدْبُ ـ على كتف أبى
ـ هذا المتلهِّفُ أنْ يقذفنى البحرُ إلى شاطئِهِ ..
المرْتعبِ الأطرافِ ـ ،
وها أَنَذَا .. أُعْلنُ معْصيَتى الأولى
وأُقشِّرُ أعضائى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عُضوًا،
عُضوا.
فتبين أصابعُ قلبى،
أُمْسكُ بالفارِّينَ،
أُحدِّثُهم ـ في المهْد صبيّا ـ :
«هذا ما فعلتْ ريحُ الرغبةِ في شَجَرِى.
هذا البدءُ المحفوفُ بعصْمتهِ،
الموقوتُ ـ كقنبلة ـ فى كفِّ اللّهِ،
وَهذا ما أوصانى شيْخى..
قال الشَّيخُ الطيِّبُ، :
جاء العصف،
وليْسَ بعاصمكَ الشَّجرُ الخزفِىُّ،
وما يُدريك بأى الآلاءِ تُكذِّب منْ والاكَ تكونُ نجاةْ!
أوَ تدْرى .. هل فخذُ امرأةٍ خيرٌ، أمْ ضيْرٌ لكْ؟ !!
هلَكَ الهيابونَ،
فلُذ بالنَّارِ،
ولا تدخُلْ فى ثلْج الوقتْ !»)

(المشْهدُ تعلوهُ العتْمةُ،
يا خازنَ تاريخى.
لوْ أنَّ اللَّوْن يفارقُ غيْمتَهُ،
لوْ أنَّ الصورةَ لا تعبثُ بى !)

(... يفْتتحونَ صلاة الذَّمِّ،
تقولُ نِساءٌ : «أوْلَدها الشَّيْطانُ،
وخانتْ من زوَّجناها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجْترأتْ»،

فيقولُ رجالٌ: «حقَّت لعْنتُنا،

لنْ يغسلَها غيرُ اليمِّ»،

أقولُ: «عنِ الشَّيْخِ الطيِّبِ،

عنْ خازن بيت الحكمةِ،

سِيئتْ أوجُهكم؛

هَذى امرأةٌ،

وطريقْ،

فافْتتحوا الخطواتِ بآياتِ الحمدِ،

ولا تلجوا دهْليزَ الكَلِم الممْسوسِ،

ولا تصْطحبوا العيَّابينَ،

اغْترفوا من سلَّتها مَدَدًا.

هذى امرأة،

وسؤالاتٌ تشْعلُ فى القلبِ،

وقدْ أحصاها ربِّى عددا.

فالْتمسوا العفوَ، وغُوصوا فى الماءِ،

اغتسلوا ....

قلباً، ولساناً، ويَدَا ....»

ينْفرطونَ، يصيرُ عَراءً ما حولى،

وتلْملمُ قابِلَتى أعْضائِى،

تُلقينى للرِّيحِ،

الرِّيحُ

تُراوِدُنِى

عَنْ نارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأراودُ

عن يَرَدٍ

ريحي.

الأسماءُ افترشَتْ مائدةً،

والألوانُ افْتتحتْ موسمها،

اللّهُ يُسمِّيني،

يغمسُ فرشاةً في البحرِ،

فألبس ألواني:

للقلبِ الخضرةُ،

والعينانِ العسلُ،

ولونَ

ـ كالقافيةِ الفرحةِ ـ

لأحزاني.

ثُمّ يكونُ قدرًا

وأكونُ أنا المختارُ

وَجعٌ مشّاءٌ بحطيم،

ونهاراتٌ مغْدوراتٌ،

ولياليَ مسكوباتٌ في آنية الغرباء،

أنا المختارُ،

وحيدًا مِنْ بين مآسير غوايته،

مَنْ يعرفُ سرَّ الماءِ،

ويحفظُ أسماءَ الماشينَ على عشب بيتهم ...

(ويديرُ الخازنُ قُرص تواريخي)

(.... ، هذا الطفلُ / السيّدُ ... أذكُرُهُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان يمينى...

أَوَليْستْ هذى العذراءُ مُعلِّمتى؟ !

ـ بلْ هِى.

فى زُرقة عيْنيه ارتاحتْ ،

وارتابتْ فى وقْدة عيْنىَّ،

انْتهرَتْ بسمتِىَ الخضراءَ،

وعادت تسألُنى:

أنْ أُدخلَ كلماتٍ حامضةً فى رحمِ الأوراقِ،

فأُوقدُ ذاكرتى.

وأُفجِّر ما خزنَ اللّه بأنيتى

«كُتب الفقرُ علىَّ جنينًا»

فتئزُّ عصاها،

تُلقى بى فى قاع الفصل،

يُقهْقهُ جارى ..

ـ هذا الطفلُ / السيدِ ـ

يعرفُ، كيف تكون الجملة ناصعة،

والأحرفُ بيضاء.

والإيقاعُ نقيّا،

وَلهُ أبوان يُجيدان التوقيعَ على دفْتر حكمتها

بالعطرِ النقدى ! ...)

(ياخازنَ تاريخى

لو أنَّ اللّوْنَ يُفارقُ غيمتَهُ،

لوْ أنَّ الصورةَ،

لوْ ... ،

اللونُ ازْدادَ ظلامًا،
والصورةُ هاربةٌ،
يا خازنَ تاريخى.
فلتوقفْ هذا القُرصَ،
وأخْرجْنى
(.....)

أخرجُ مِن ذاكرتى
فى القلب قصاصاتٌ مِن حُلْمٍ موْؤُدٍ،
وامْرأتى مازالتْ خضراءَ،
وأطفالىَ يحتضنونَ عصافيرا خُضْرًا ،
والشعراءُ انصرفوا !
هذى منزلتى.
فافْترِشوا، ما شئْتم .. مِنْ سَعَفِ تباريحى،
أوْ ناموا ... كالحُلمِ الأخضر .. فوق قطيفةِ نُوحى
سيَّان؛
فَخَاتمتى بدْئى.
وسمائِى مُثْقلةٌ بالعُشْب الأرضىِّ،
ولكنِّى ... أُنذركُم
آياتى كُثر،
وعلاماتِىَ أنْ سيكون الفيضُ،
وأنْ تخضرّ قوافى الشُّعراءِ،
أَنَا المسكونُ بأحلامِ الفقراء المنْكسِرينَ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدهون بزئبق فاتنة.

ـ لا تسمح عن جسدِ صبَابتها ألَقِي،

لا يقرأُ فتْنتها الهيَابون،

ولا تلقى بالورق المَقصَفِ فى حِجْرِ السَّحَرةِ،

أنذركم ...

قد ميَّت ريحى ...

فافترشوا ..

ماشئتمْ

مِنْ سَعفِ تباريحى،

أوْ ..

نامُوا ـ كالحُلم الأخضر ...

فوق قَليلةِ رُوحِى !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحلة الكبرى : مختار عيسى

□ □ □

عـــن المقـــام

عـبد الحـكيم قـاسم -

كلما مررت ببيـوت الإنشا ورأيت المسجـد الذى ابتنـوه لصلواتهم حزنت ، وتذكرت سالم السودانى .. كـان حسن الـوجه ، حسن السّمت ، نظيف الثـوب ، لطيف العبـارة ، خفيض الصوت ، لكن ياه .. ياالله ! حين يكون مع رفـاق الجـوزة يُسرف ، ويشـرب البوظـة ، يفلت خلقه من حسن السيطرة ، تبيض عيناه وأسنانه ، يلقى بطاقيته على الأرض ، يصرخ ، يهرف بأشنع الكلمات .. لكننى لم أره حال خروجه ، بقيت صورته فى ذاكرتى محفوظة فى أحسن إطار .

يذكره أهل قريتى ويضحكون على أحواله ، فقد كان طوافاً بالبلد ينشد رفقته فى الليالى ، وفى الصبح يخلف عن سهرته حزمة من الأخبار ، وملء الأفواه من شتائمه . من الذى أتى به ليسكن الإنشا ؟ لأنه يعمل فى معمل الألبان التابع لتفتيش وزارة الزراعة خصّه سكن فى العزبة ؟ أم أنه جاء خصيصاً لكى يموت الناس عليه ضحكا ، يضاف لضحكهم على خلق الإنشـا ، وبيوتهـا مقـبّبَة سقـوفها وهى صغـار وقميئة ، يحتملها الساكنـون وسخريـات أهل قـريتنا بهم ، يلـوذون بدورهم الواقعة مكبّبة تلو الترعة الكائنة فى الجهة القبلية من بلـدنا ، وينصـرفون لأمـور معاشهم . إنهم أنفـار جمعتهم ضرورة العمل ، كدستهم على بعضهم بلا قرابة ولا عصبة ، ولكن ودّ الجيـرة ، يحلون ويـرحل القليـل رجوعـاً ، ويبقى الأكثرون أبداً .

وقد كان سالم السودانى رجلاً صاحب ذوق فى السمر مع النساء . لقط واحدة من هنا وتلك من هناك وأخرى من بلدنا ، ملّها فطلقها كما طلق الأخريـات وبقيت هذه عجـوزاً تدخّن بشراهة وتسعل . أمرّ عـلى بيت الإنشا فى سكتى إلى غيطى يحذاء الترعة والمسجد الذى ابتنوه من الأسمنت المسلح على شاطئهم من مجرى الماء ، ياه ! جامع كبير معلق على سقفه مكبر صوت وهذا نفيره ، وجنب محل الصلاة مضخة الماء ، تجتمع البنات حـلاوة السكر ، بهيـات فى الجلابيب الملـونة أحوش نظرى عنهن والغنج الرائق يجلجل فى الضحكات ، ترنّ فى الجدران الصلدة والسقوف ، كل البيوت بنيت وزوقوهـا بالبياض ، وفى واحدة منها أرملة سالم السودانى . كان ذلك زماناً ومرّ بما فيه .

كانت قريتنا يطوف بها أعداد من الشحاذين ، يطلون على أهل الدار من بابهم المفتوح فى الدور الريفيـة ، أو يخبطون البـاب الخشبى فتخرج لهم الأرغفـة أو حفان من الـدقيق أو الحبوب . كان ذلك زماناً وفات ، والبيوت ارتفعت دورين أو ثلاثة من الأسمنت المسلح ولها أبواب من الحديد ، تكسل المرأة عن النزول لتلبية سائل وماذا تعطيه ؟ إن زراعه العنب كنست الـدار من أشياء ، يبقى لهم الفلـوس يشترون بهـا الأرغفة من فرن القرية ، والـرغيف غال هجـر الشحاذون القـريـة والمجـاذيب وذوو الأحـوال ، وفى المسـاء بقى لهم التلفزيون يحيى الليالى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعين الإنشا على قريتنا ، الجامع ومقام سيدى سليم ، مبنيان شاهقان عنوان بارز الحروف على البلد ، يلحق جامعهم يرد بالأذان على أذان جامعنا بالصوت المكبر وأه لو كان عندهم شيخ لا بتنوا له مقاماً ورفعوا العمدان وأرسوا الطوبات بالفنّ . فتحوا عزبتهم للشحاذين وللمجاذيب وذوى الأحوال ، وأقاموا فى الليالى الأذكار فى الحتة التى هى ما بين مضخّة الماء والمسجد ، ما بين ضحكات البنات المجلجلة وجلجلة آمين وراء الإمام . وأولاد بلدنا يقصدونهم ، يقفون على شاطئنا من الترعة ويتفرجون ويتندرون على هزّ القدود وسوء المديح ويضحكون على زغاريد نسائهم ثم ينصرفون والذكر لا يزال فى الأوج .

إن سالم السودانى كان تزوج فى آخر أيامه بنتا لم تعلم الأنوثة عليها علامة ، بعدُ طفلة ، أكرمها وبّربها فنمت عنده وربت ، ثم مات عنها وهى صغيرة . صرخت البنت بروع فقد الزوج ، أقبل أهل الإنشا مفزوعين ، حزنوا على الرجل ، دفنوه عندهم وبقيت ذكراه وتوقيرهم للأرملة . وكبرت هذه . صارت امرأة سوية فى وجهها حسن وفى جسمها من تفاصيل سبحان الذى صوّر . حتى أهلّ عليها رجل له قدر من السن والعقل والمهابة بين أهل الإنشا . قال لها إنه بالأمس جاءه سالم السودانى فى المنام تحت بيارق وحوله زحام . سأله أين يقصد ؟ قال هنا .. ! وهنا مقامى .. ! وأشار على الحتة ما بين المسجد والمضخة .

فتحت الأرملة بابها للمجاذيب وذوى الأحوال وأكرمتهم . إن فى كل واحد منهم خلة من سماحة خلائق المرحوم . أقامت لهم الأذكار ، يأتى أولاد بلدنا ينظرون وينصرفون ضاحكين ، وهؤلاء يقرأون الفواتيح على روح سالم السودانى . حتى نزل الإنشا شاب وسيم نادرة فى الناس زينته وكحل عينيه والمسك يفوح من ثيابه عليه جلباب أبيض سابغ من رقائق القطن ، وقدماه نظيفتان فى الشاروخ السعودى وعلى رأسه شال هفهاف يستر وجهه عن الناظرين ، فإذا أسفر رحّبت به الأرملة ، وقالت له تعال ياعمى ..! جلس على حصير مصنوع من لدائن ملونة . تحدث وهى جالسة بين يديه . وعظها ، حتى عضّتها اللوعة وفاضت الدموع من عينيها ، ونهنهت العبرات ، انكفأت عليه ودفنت وجهها فى حجره متشبثة باليدين فى الوركين حتى بللت جلبابه من دموعها ، وهو يخفف لوعتها بالتربيت على ظهرها ، ويبكى ، يتقطر ماؤه على شعر الملتاعة .

اجتمع عليه أهل الإنشا عند الأرملة . وبالليل اقاموا ذكرا فى عين الحتة . وفى الآخر ودعوه على باب بيتها . هو بيت عندها . وفى الصباح قام مبكرا قصد مكان الذكر . نصب فيه طوبات وأقام عليها راية حمراء رفاعية . وكتب على لوح خشبى : هذا مقام سيدى سالم السودانى .. ! وصاح فى الناس : سنبدأ الآن فى التبرع . فإذا اكتمل المال كان المقام .. !

شاع الخبر وزيد عليه وتقول المتقوّلون . وكل من يمرّ من أهل قريتى على نصب سالم السودانى يضحك ويضحك من حوله وفاض ضحكهم حتى وصل إلى واحد من مباحث المركز . شخط ونطر ، وقال : والله العظيم إن الأمور زين ..! يبيت النطع فى بيت الأرملة . يقيم طوبات عليها راية ، ويجمع التبرعات ، وهو من أى البلاد جاء .. ؟ أفّاق يدور بشرّه .. ! قال محدثه من أهل بلدنا : إن أهل الإنشا قوم طيبون ، لا يقبلون الخنا على أنفسهم ياحول الله .. وثانى يوم أوسقت العربة النصف نقل الرقاء بالمخبرين والعساكر وكبسوا الإنشا وحين ظفروا بالشاب ضربوه ابشع ضرب ، صحبوه ملوثا بالوحل والدم والدموع ، أزال النصب وكسر اللوح ومزق الراية بيديه ، ثم غابوا به وراء الأفق .

كلما مررت ببيوت الإنشا حزنت ، والمسجد الذى ابتنوه لصلواتهم بالأسمنت المسلح والحتة بين الجامع ومضخة الماء ، ها قد انفضّ سامرهم ، وما كان يضرّ لو بنى مقام لسالم السودانى ، لكانت الأحوال أصلح ـ ربما ـ من الذى ينبؤنى بأن حال سيدى سليم ـ شيخ بلدنا وله مقام ـ خير من حال الأسود ربما كان يفرط بعد الجوزة وقرعات البوظة إفراطا شديدا ، لكن الشرطة لم يكونوا على أيامه أقوياء وعلى هذا القدر من قلة الحياء .

القاهرة : عبد الحكيم قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومضات من الزمن القديم

عـــزت نجـــم

كان من عادته أن يقف طويلا أمام دولاب الملابس يختار البدلة والقميص ورباط العنق التى تناسب السيارة التى تنتظره أمام الفيلا وبجوارها السائق بردائه المميز وابتسامته المرسومة . ما أن يقع نظره على مخدومه حتى يهرع إلى باب السيارة يفتحه فى انحناء ثم يأخذ مجلسه أمام عجلة القيادة ينتظر أوامره بالجهة التى يقصدها . كانت معظم الأيام المحل الفاخر الذى يتناول فيه مشروبه المفضل قهوة باللبن مع قطعة من الفطائر الجافة ويدخن أثناء رشفات القهوة سيجار الهافانا فى تلذذ واسترخاء .

هذا الصباح أحس سلامة القرموطى ميلا إلى البقاء فى البيت ، والاكتفاء بالمكالمات التليفونية لإصدار تعليماته لموظفى شركته التى تقع قُدَّام باب الجمرك تباشر كل ما يتعلق بأعمال الموانىء من شحن وتفريغ السفن .

لم يكن شعورا بالإرهاق ، أو عزوفا عن الخروج من البيت هذا الإحساس المتباين الدخيل على المألوف ، لكن أمْراً آخر حدا به إلى أن يخلع ملابسه بعد أن ارتدى القميص الأنيق وهيّأ رباط العنق المناسب للبدلة التى اختارها . وضع الروب على كتفه واتجه نحو الشرفة المطلة على البحر .

أخذت السماء تندع برذاذ متواصل غسل أسفلت الشارع ، وأدار سائقو العربات مسّاحات المطر لتأخذ حركتها نصف الدائرية فوق الزجاج الأمامى ، كما باطأت من سيرها إيثارا للأمان .

شعر سلامة القرموطى بحاجته إلى الخلوة بنفسه يتدبر أمره فى مشروع خِطْبة ابنته سميحة التى طلبها محافظ المدينة عروسا لابنه .... فرنساقيه على الآخر ، زحزح الطاقية من فوق رأسه وهرش الشعرات المعدودات الموزعة على فروة الرأس بغير ترتيب ووصل فى غير لهاث أن ثروته هى التى دفعت الباشا المحافظ لهذه المصاهرة فإن ما حققه من دخول لعبة الانفتاح يُغْرى السيد الوزير المحافظ بطلب البنت لولده الطبيب .

تراجع سلامة القرموطى ورأى جمال سميحة وأنوثتها سببا وحيدا للمصاهرة . كانت سميحة تتردد على عيادته الأنيقة المجهزة بكل أدوات العلاج الحديث فى طبّ الفم والأسنان ، وكان للكرسى الساحر الذى يعلو ويهبط ويدور بمجرد لَمْس زرار فى لوحة قنينات الدواء ومَسّ الأسنان كأنها باليتا الرسَّام ، تأثيره العاطفى فتلامست العيون وهمست الشفاه بحروف غير مشكولة النهايات فتعذر التهجى وتوقف النطق رغم أن الكلام ليس عليه جمرك كما يقولون . ومع الزيارات انحلت عقدة اللسان . وبصرف النظر عن أن الأسنان سليمة ومثل اللولى فى شكلها ولمعانها فإن للعلاج أصوله ، وللحب أيضا أصوله ...

توقف تفكيره وهو يعود إلى نفسه ويرى أن النَّسَبَ الجديد يُعْوزُه انبهار من نوع آخر . لا تكفى الفلوس ولا جمال العروسة . يجب أن يكون فى عائلته باشا يقف نِدًّا أمام السيد

الوزير المحافظ . لقد ورث عن والده المعلم بشوتى القرموطى دُكَّانَة صغيرة ضيقة تَسَع مكتبا خشبيا متهالكا يجلس عليه المعلم الذى اختصره الزمن فى أقل حَيِّز ممكن للآدمى وأبرز ما فيه شاربُ كَثّ كُفرشة البلاط . دِكَّتان من الخشب أيضا أمام الدكانة يُرَصُّ عليها طالبو العمل من أهل الصعيد الذين دَلَّهم ابن الحلال على المعلم بشوتى القرموطى يقصدونه بما يحملون من قدور المش والجبن المخزون المُقَدَّد . ومات المعلم واستولى الابن على المحل ثم أخذ فيه خلو رجل بالآلاف انتهازا لرغبة صاحب البيت فى هَدْمِه وإقامة برج تطل أطباقه العليا على الميناء .

طوحته الخلوة إلى أيام طفولته ، يذكر أنه لم ير أباه إلا فى العاشرة من عمره . قالوا له إنه مات عندما سأل عنه ، شأن العيال . انفصلت أمه عن أبيه ، وذات يوم ظهر الرجل فجأة ورد امرأته إلى عصمته . من هذا الوقت لم يفارق والده . لَزِمَه فى المحل الصغير يشرب الصنعة ، يغرف من وعائها . فتح عينيه وتعلم قياس التيارات وحساب الريح . مع السنين فى سن باكرة احترف سباحة المسافات الطويلة فى الشوارع والحوارى ثم سباحة العواطف ، بعدها استقر واقتحم مجال المال حتى حقق ثروته الطائلة وأصبح أحد رجال المدينة ، يجلس مع حكامها فى كل المناسبات العامة . اهتدى إلى ضرورة البحث عن شخصية بارزة يعلق صورتها فى البهو الكبير ، ينسبها بتاريخها إلى عائلته أو عائلة زوجته التى تخلو من شخصية المعلم بشوتى القرموطى الذى حار بمركز ابنه سلامة القرموطى مغفورا له شأن أكابر الناس الذين يملأون صفحة الوفيات فى الصحف بالنعى والمشاطرة .

بعد المغرب خرج من البيت وحده يُجَرِّب المشى على قدميه بعد أن هجرهما منذ عرف اقتناء السيارات . وجد زحمة أمام أحد محال بيع الأنتيكات والأثاث القديم . ظل واقفا وعينيه على رجل يعتلى مقعدا وبيده عصا من الأبنوس مُطَعمة بالفضة يزعق بلسان ملووق :

ـــ ألا أونا ... ألا دوى .

وبرزت آلاف الجنيهات فى دقائق قليلة لا تساوى شيئا أمام التحف الرائعة التى تجذب طرازا خاصا من الناس يتسمرون أمامها من الهواة المرفَّهين ، إلى جانب آخرين يلذ لهم حضور المزادات لمجرد المسلاة .

عاد سلامة القرموطى مَرّة أخرى إلى الرجل وهو يعرِّف التحفة التى جاء الدور عليها ، يسرد تاريخها بأسلوب محترف . استمر يقول :

ـــ أون فوا .

ظل المزاد مفتوحا حتى وقف عند ألف مُعَيَّنَة لم يُزَدْ عليها . هنا صاح الرجل وهو يمسح عرقه :

ـــ دوفوا .... مبروك مون شير ...

لَمح صاحب المحل سلامة القرموطى فاقترب منه خطوات ثم همس إليه بأن عنده تحفة نادرة لم تنزل المزاد . فازة سيفر أصلى كانت هدية الملكة أوجينى زوجة نابليون الثالث للخديوى إسماعيل بمناسبة افتتاح قناة السويس وعليها أول حرف من اسمها لم تمحه السنون ، استطرد الرجل بطلاقة لسان أنه خبير بمزاج الأكابر ويحتفظ بمثل هذه التحف النادرة لمن يقدرها لأنها جزء من التاريخ . لم يتردد سلامة القرموطى فى أن يدفع المبلغ الكبير الذى طلبه الرجل بلسانه . رأى أن مركزه لا يسمح بأن يساوم ، ربما للتمهيد لأمر آخر ، كذلك لم يَعْنِه السؤال عن وصول التحفة للرجل فهو يعرف أن مقتنيات القصور الملكية نُهِبَت .

دعاه الرجل إلى فنجان قهوة داخل المحل بعد أن انتهى المزاد ووجدها سلامة القرموطى فرصة مواتية كى يفصح عن طَىِّ نفسه قال وهو يغالب كبرياءه المخدوش :

ـــ طالب منك خدمة يامعلم شوبك .

ـــ أمرك ياباشا .

ـــ مزوق فى صورة أثرية . باشا قديم بالبدلة القصب والنياشين . لواء لا مانع ، المهم باشا حقيقى من بتوع زمان .

طالع الرجل رأسه ، فرك يديه ثم مَلَّس بهما على وجهه الضخم ، سَلَّك حنجرته بكحتين مصطنعتين وقال :

ـــ طلبك عندى . تفوت بكره بَدْرى . أنا فاهمك ياباشا .

كان سلامة القرموطى حريصا على موعده أكثر من المعلم شوبك الذى صحبه إلى ممر داخل المحل أسلمها إلى حجرة جانبية شحيحة الضوء . أشار المعلم إلى مجموعة من البراويز . تناول أحدها ، نفخ التراب من فوق الزجاج ثم قال :

شوكت باشا لاظ . لواء فتح السودان مع ابراهيم باشا .

أطْلع حَبْتين يامعلم شوبك .

تناول صورة أخرى وقال :

ـــ سعيد باشا ناظر النظار . كان له حكاية مع أدهم الشرقاوى .

ـــ انزل شوية

ـــ رشدى باشا ناظر الحقانية .

بحلق سلامة القرموطى فى الصورة والرجل يمسح زجاجها ويمر على بروازها المذهب بحرص . خرج بها سلامة القرموطى فى النور ليراها أكثر وضوحا وأدرك صاحب المحل دخول الصورة دماغ الزبون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من قبيل الدردشة والتقاط الأنفاس استفسر من المعلم شوبك عما إذا كان يجد مشترين لهذه الصور وأجابه فى ثقة أن الكثير من أصحاب الانفتاح حريصون على اقتنائها ليزينوا بها بيوتهم ويتباهوا بالأجداد المزيفين ويقولوا لمن يرونها : فى بيتنا باشا .

لم يقابل كلامه باستحسان وبلعه فى امتعاض مكتوم ثم غَيَّر موضوع الحديث . من جانب المعلم شوبك أخذ يكيل المديح لسلامه القرموطى مقدرا حبه للتاريخ واحترامه للأنون إلى درجة الاحتفاظ بصورة الرجل الكبير دون أن يعرفه .

اطمأن سلامه القرموطى إلى أنه ليس وحده الذى يبحث عن سطر له فى الزمن القديم ينسبه إلى نفسه ، فالملايين تستطيع أن تحقق لصاحبها كل ما يريد . يبقى شىء تقف بلهاء عاجزة أمامه . هذه القيمة التى يمثلها الرجل المهيب صاحب الصورة رغم وجودها داخل البرواز القديم بأضلاعه المذهبة المتآكلة . ومَضات لا تخبو مع عشرات السنين التى مضت .

وضع الصورة أمام زوجته فى ثبات وتهيب وطلب أن تحقق فى ملامح الرجل داخل البرواز . لمح تقطيبة فى جبهتها فقاطع تحرك شفتيها وقال :

ـــ جدّك الباشا . رشدى باشا وزير الحقانية زمان .

وانبرى يشرح وجهة نظره فى أن يثبت بالدليل أن فى العائلة باشا كان وزيرا للعدل . باشوية لزوم الوظيفة منذ أن كان مستشارا على سن ورمح .

لم تستسغ الزوجة ما تسمعه من هراء وهى التى بلغت درجة من التعليم لم يصل هو إليها لكن أمام إصراره اتفقا على المكان الذى تعلق فيه الصورة بحيث تكون ظاهرة وأول ما تقع عليه عين المحافظ .

ازدانت فيلا القرموطى بحبال الكهرباء تتدلى منها المصابيح الملونة ، بعضها مختفٍ فى أشجار الحديقة مثل الثمار . اليوم الخميس موعد خطبة سميحة بنت الحسب والنسب وكريمة المليونير المعروف الدكتور سامح أكبر أبناء السيد الوزير المحافظ .

فيلا القرموطى بدت خَلِيَّة نَحْل بنشاط العمال والخبراء فى إعداد البوفية الفخم ، والزوجة تنتقل خفيفة من مكان إلى آخر وعينها على الساعة فى معصمها تتحسب ميعاد حضور أهل العريس . فى نفس الوقت لم يفتها الاحتفاء بالضيوف بالبسمة والأحضان .... وتقاطر الرجال من الوجهاء والشخصيات العامة وكان صاحب البيت فى استقبالهم والترحيب بهم ، وتلقى التهانى بالفرحة الغامرة . الموسيقى تتهادى رقيقة من ركن فى الحديقة . وظهرت سميحة بخطوها الرشيق مع عريسها وأخذا يوزعان الابتسامات على الحضور وسُحُب البخور تنطلق من المجامر الموجودة فى أركان البهو الكبير .

حضر السيد المحافظ فى الوقت المحدد وبدأ التعارف بين العائلتين ، وسَجَّل الفيديو كل حركة وعَبَرتْ الكاميرات الزوايا والأركان ورصدت غيبوبة العروسين والأصابع المتشابكة تنقش على الكَفَّين لغة العاشقين وتتركز لحظات على وجه المحافظ وحركة يديه ، ولم يفت الهواة فى الأسرتين والأحباء من التقاط صور المناسبة السعيدة .

كان سلامة القرموطى حريصا على استقبال صهره الكبير فى البهو الفخم حيث صورة وزير الحقانية المعلقة ببدلة التشريفة . حاول جهد الطاقة أن يلفت النظر إليها دون جدوى لا نشغال الباشا المحافظ فى ثرثرة الصالونات المعروفة عندما يلتقى الناس بمسؤول كبير ومحاصرته فى بعض الأسئلة المحبوسة فى الصدور . اختفاء أدوية ضغط الدم ، تسرب أسئلة الامتحانات ، متاعب الحصول على الفصيلة المطلوبة من بنك الدم وغير ذلك كثير .

غمزت السَّنارة فى الوقت المناسب ، وكانت بهيجة هانم حرم السيد المحافظ السَّمكة التى أكلت الطُّعْم فقد لفتت الصورة نظرها . دنت منها أكثر . انجذبت إليها وأخذت تتطلع فى البرواز بإمعان . طال وقوفها وأم العروسة تتهيب الاقتراب منها ، وانصرفت إلى ابنتها كى تطمئن عليها . التفتت بهيجة هانم إلى زوجها المحافظ . ألفته مشغولا بضيوفه إلى أن شردت منه نظرة التقت بعينها المشتاقة لمشاهدة الصورة . رآها فرصة ليعتذر لحظات تخففا من زحمة الأسئلة وفضول الناس واتجه نحو زوجته .

قالت فى اندهاش :

ـــ صورة خالى رشدى باشا . عندى أختها فى البيت فى الألبوم الكبير كارت بوستال .

دقق فى الصورة . دعك عينيه ثم قال :

ـــ تمام . لست تائها عنه . نفس الطربوش نفس النضارة . نفس النظرة المهيبة .

لَوَت بهيجة هانم شفتيها ثم استدارت إلى ضيوفها ورأسها سخنت بزحام الأسئلة المتشابكة . أخذت تدور بعينها فى المكان تبحث عن أم العروسة ووجدتها مشغولة مع الميتر المسؤول عن البوفيه . مر بخاطرها بعد أن هدأت أن البيت الكبير بيع بما فيه من تحف وأثاث بعد وفاة الآباء كما أخبرتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمها . أحزنها ضياع البيانو القديم الفخم وعليه صورة بيتهوفن . إنها تذكر ألوانها الثابتة وشعره الكث ووجهه المدور .

ظهرت أم العروسة مرة أخرى وسط المعازيم ، ثم أقبلت عليها الدادة أم خليل تطلبها فى كلمتين . انزويا فى ركن مع رصد العيون . نقلت إليها الدادة بعض ما سمعت من حديث المحافظ وزوجته .

كان عليها أن تنبه سلامة القرموطى إلى ما سمعت ويرتبا معا طريق الخروج من المأزق وقد امتقع لون وجهها وبان التوتر فى حركة يديها وردودها المختصرة وغيبة البسمة التى كانت تعلو شفتيها . خطوات إليه لتراه والمحافظ وزوجته فى موقف ضاحك لأن صحفيا فى جريدة محلية سأل المحافظ عن أثر النسب الجديد فى مشروعات التعمير فى المحافظة .

تقدم الميتر يعلن أن البوفية جاهز . وذهبت أم العروسة تدعو العروسين إلى افتتاحه ، ثم تسللت الى الداخل لحاجتها إلى قرصين لدماغها المُصَدَّع وانزوت تشرب فنجان قهوة على انفراد لكنها لم تكمله وهرعت إلى ابنتها لتكون جوارها فى أحلى لحظات العمر .....

القاهرة : عزت نجم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخـــــروج

● جمـال زكى مقـار

كان طفلا صغيرا وكل شيء كان يبدو مدهشا وجديدا ، وكانت ساعات اليوم بكرا ، وقلبه كان أخضر نقيا ، والروح كانت هائمة خرجت لتوها من سديم رفرفت فيه فوق محيطات مجهولة مظلمة حتى بزغت نقطة من النور ظلت تكبر وتكبر حتى اصبحت شمسا منيرة تضيء وعيه بالعالم المحيط ، في البدء كان الوجود منحة ألهية للسعادة الهانئة والزمن ممتد لا نهائيا ، ومحيط المكان ضيقا تزرع فيه الساعات ، وللمسائل اجابات مكتملة اكتمال جواه

كان الليل انطفاء مصباح الشمس ، والقمر طبقا فضيا ، والمطر انكسارا في قبة السماء ، والزمن هو اليوم الذى يبدأ ليموت ويأتي يوم آخر ، ذاك اليوم الآخر كان يكسر حلقة في سلسلة اقتناعه .

لا شيء يكدر الصفو إذن إلا زئير أبيه حين يبحث عن جريدته أو نظارته ، رجل ضخم الجثة ، كفاه كبيرتان ، وشعره فحمه الشيب ، يلبس زيا عسكريا في الصباح .

كان يسمع همس أخيه الأكبر لأخيه الذى يعقبه :

ـــ أبو زيد الهلالى يا أخى .

استقرت الكلمة في أعماقه ، كان يرددها همسا لنفسه إذا ما استشاط أبوه غضبا ، ثم ما يلبث أن يبتسم لوقع الكلمة وتامع عيناه في خبث طفولى : تسأله أخته الكبرى وهى تعرك أذنه عركا خفيفا :

ـــ بتضحك ليه يامكار ؟

فيزدرد ابتسامته ويكسو وجهه عبوس متصنع وجد وهمى والابتسامة ما تزال تدور داخله ، كان تواقا أن يعرف من هو أبو زيد الهلالى هذا ؟ وكم من مرة أوشك أن يسأل أخاه الكبير .

يرمق أباه من خلف النافذة حين ينزل من السيارة أمام بوابة حوش البيت ، كان يعرف الوقت الذى يعود فيه أبوه من العمل يقوده إلى هذا حدس داخلى وإلهام نقى وجرس شرطى نابع من ذلك النظام الصارم الذى ضربه الرجل على قطيعه

(ثلاث نساء واثنا عشر ابنا وبنتا) . حين تقف العربة البوكس ويسمع صوت موتورها الذى يحفظ رناته يطير كالهدهد فى أرجاء البيت مخبرا ، إن هى إلا ثوان حتى يكون الإيقاع الذى تركه الرجل فى الصباح للأشياء . وأصابته الساعات واختلاط عادات البشر بالفساد والاضطراب قد عاد مرة أخرى . ثم يندفع خارجا من الباب لملاقاة أبيه ، يبصر وجه السائق النوبى تلتقى عيونهما فيبتسم السائق ابتسامته الكاريكاتورية وينفرج فمه عن أسنان كبيرة ناصعة البياض وهو يدحرج بطيخة كبيرة من نوع النمس على أرضية السيارة . يتوقف موتور السيارة عن العمل فيبدو الغضب على وجه السائق وتغيض الابتسامة ، فيغمغم وهو يلتقط المونوفلة يديرها بيديه وهو يبرطم بكلمات غير مفهومة ، يدور المحرك فتعود الابتسامة مرة أخرى لوجهه الأسمر المندى بالعرق .

يمشى بجوار أبيه ينظر فى حذر إلى البطيخة الضخمة ، وفى الثالثة يكون الجميع متراصين أمام الطبالى الخشبية الثلاث ، كل امرأة وعيالها يتحلقون حول واحدة ، وهو وأبوه وأمه وأخته الصغيرة الحابية حول واحدة ، توضع أمام الأب صينية كبيرة مغطاة يرفع غطاءها فيتصاعد البخار من بطتين ، ينشب أبوه مخالبه فيهما ويبدأ فى تمزيقهما إلى قطع أصغر ، يعطى لكل واحد نيبه ثم يجلس الطفلة الحابية فى حجره ويطعمها لقيمات مغموسة فى الملوخية .

فى الصباح يسمع صوت ارتطام الماء المصبوب من الأبريق المعدنى بالطست النحاسى وصوتا أنثويا ربما كان صوت امرأة أبيه الأولى فتحية وهى تهرول هرولتها المضحكة ،

ترفع دماسة الفول من مشجبها على الحائط وتنفخ فى اللمبة الجاز فتطفئها ، وصوت أبيه وهو يرتل القرآن يتهادى إليه فينظر مبتسما من فرجة فى اللحاف إلى أخويه الكبيرين وهما يقفان فى ضجر وتململ والنعاس لم يفارق عيونهما بعد حتى يؤديا الصلاة معه عندما ينتهى .

إذا ما انتهت الصلاة وخرج الرجل إلى فسحة البيت لقضاء شأن من شؤونه يهمس الكبير للأصغر وهما يتكتمان الضحك :

ـــ نوبة صحيان .

يغلق فرجة الغطاء ويتصنع النوم لعلهم يتركونه وأحلامه ، يسمع صوت أبيه وهو يزأر

ـــ صحى الواد ابن .....

ينتفض واقفا دون مساومة وينسحب مازًا بساقى أبيه فى حرص غزال رشيق ، يتناولون الإفطار فى صمت ، يزعق بوق السيارة فيحتسى أبوه ما تبقى فى كوب الشاى ويلقى بالسلام ويخرج يقول أخوه الأكبر :

ـــ نوبة إفطار .

ينهض الأصغر قائلا :

ـــ نعم نوبة صياعة .

وما ان يخرج الرجل حتى ينفرط العقد المنظوم كل فيما دأب عليه ، وتبدأ المشادات الكلامية والتشاحن والشجار بين فوزية امرأة أبيه الثانية وبين أمه . كانت فوزية صعيدية سمراء قوية وطويلة لها بطن جاحظة وأنف أفطس وشفتان غليظتان تدمدمان بالسباب المكتوم وهى تلوح بيديها ، أما أمه بنت الشرقية فقد كانت معسولة العينين بيضاء بضة لها ضفيرتان طويلتان كانت تجلس على الكنبة وتحل عقدتيهما ثم تسرح المشط فيهما فينطرح شعرها خلف ظهرها ، ثم تبدأ فى تضفيرهما واحدة واحدة وعلى مهل ، وحين تنتهى تعصب رأسها بمنديل بأويه بترتر ، تعكس أشعة الشمس المتسللة من خصاص الشيش الوانه المتعددة ، هنا يكون قد فاض الكيل بفوزية فتزمجر :

ـــ كفاية سبسبة قومى شوفى لك حاجة ياولية !

فتمد أمه جيدها إلى الخلف وتقول بلهجة فلاحية هادئة ساخرة :

ـــ مش كفاية غسلت قزازة اللمبة وناديت بياع الطماطم وقلت الكلب مش !

وتنفجر فى الضحك فتستشيط فوزية غضبا ، بينما تقبع الزوجة الأولى فتحية مستكينة تنظر إلى فوزية شامتة وتتذكر أن زوجها قد غاب أياما فى بلدته وعاد ومعه فوزية ابنة عمه وانها بكت بكاء مرا ، وحين كان يخرج الزوج إلى عمله تبدأ فى التشاحن معها ، هاهى الأيام تدور دورتها وغدا يأتى هذا الوحش بالرابعة لتخرسهما ولتبدأ سيدة التشاحن معها .

غير أن السلام كان يعود إلى البيت قبل أن يسمعنه يعبر الحوش ويتنحنح نحنحته المعتادة التى كانت تصيب الأشياء والعصافير والدجاجات والأولاد والنساء بالصمت .

* *

لم يمض وقت طويل حتى اكتشف أبوه أنه قد أصبح كبيرا بالقدر الذى يجب معه أن يقف فى صف المصلين خلفه . ذلك اليوم انتزعه أبوه من فراشه وأخذه معه وعند الطست النحاسى علمه كيف يتوضأ وهاهو يقف فى صف واحد مع أخويه يفعل كما يفعلان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرت أيام أو شهور لا يذكر ، كل ما يذكره أن أباه قد عاد ذلك اليوم عابساً هادرا فى الحوش راكلاً الكلب الذى نهض ليحييه بحذائه الميرى فعوى وفر من أمامه ، انكمشت النسوة وتهامسن وارتعد الأطفال بينما أغلقت غرفة أخيه الكبير ، دار الرجل فى البيت وأنزل السوط السودانى من على الحائط وتحسسه فوجده قد أصبح كغصن جاف فألقاه من يده .. اندفع نحو غرفة أخيه وفتح الباب وصرخ :

ـــ لمَّ هدومك وامشى فاهم ؟

كان الفتى قد أخفق فى امتحان الثانوية ، بدأ يلملم ملابسه من فوق الشماعة ومن الدولاب وألقى بها على السرير وسحب شنطة من أسفله . لم يجرؤ أحد على دخول الغرفة ، تساقطت دموع فتحية على خدها ونشجت نشيجا مكتوما ... فتجاوبت معها المرأتان وحاول أخوه الأصغر أن يقترب من أبيه فرماه بنظرة ألجمته ، بدا جو البيت خانقا أحاطت الكآبة به أما هو فقد بدا يتململ ، كان أخوه قد انتهى من إعداد حقيبته ، جفف عرقه ودموعه فى ملاءة السرير ، خطا نحو باب الغرفة فعلا بكاء النساء الجالسات على الأرض وربتت تلك وتلك على كتفى فتحية التى رفعت عينيها إلى الرجل متوسلة ، لكن الرجل بقى صامدا .

لم يدروا إلا والصغير يندفع من فوق الكنبة الى ساقى أخيه يضمهما بقوة ويتعلق بهما ، انتفض الأب واقفا وزعق بصوت مدو :

ـــ واد يا ابن .....

رفع الصغير رأسه وقال وهو يزم شفتيه كما يفعل أخوه وقطب حاجبيه كما يفعل أبوه :

ـــ أبو زيد الهلالى يا خى ! .

القاهرة : جمال زكى مقار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميلة اسمها « بِرتِى »

سـلوى بكـر

● إلى الجميلة بُرتِى صليحة○

رفع موظف السجل المدنى رأسه الأسود الصغير عن الأوراق التى كان ينظر فيها أمامه على المكتب وسأل مستغرباً :

ـ اسمك بِرْتى ؟!

ـ لا : بِر ... تى .

صححت برتِى اسمها له مبتسمة ابتسامة المتعود على دهشة الآخرين من الاسم الغريب ، وأضافت قائلة إن برتِى معناها جميلة بالانجليزى ، فتعجب الرجل أكثر ، لأن معلوماته فى تلك اللغة كانت تفيده أن جميلة تترجم إلى « بيتفول » ، ولم يكتم المسألة فى نفسه ، فجادلها قائلاً :

ـ لكن جميلة يعنى بيتفول . ثم أضاف أنه لأول مرة يسمع كلمة برتِى هذه ، فقالت له برتِى ، إن جميلة ممكن ، تبقى « بيتفول » ، وممكن تبقى برتى ، أيضاً .

ولما كان وقت العمل ما زال فى بدايته عند الصباح ، ومكتب السجل المدنى لم يمتلىء بعد بالمضطرين لإثبات كينونتهم ، بالأدلة والمستندات الحكومية ، كانت الفرصة مواتية جداً لموظفى المكتب لتبادل الحوار والرأى حول هذا الموضوع الذى أثارته تلك الشابة الصغيرة ، باسمها الغريب ، فقالت واحدة جالسة على المكتب المجاور للموظف الذى أثار الموضوع بعد أن قضمت بقسماطة ، ورشفت وراءها قليلاً من الشاى :

ـ وعلى فكرة ممكن تبقى لَفلِى ، وأظن من المحتمل أن يكون لها معنى رابع . وأضافت بعد أن عاودت القضم والارتشاف ، أنها فاكرة أنه كان مقرراً ، أيام المدرسة ، زمان ، موضوع فى كتاب الانجليزى عن شم النسيم ، وكان به كلمة نايف .. أو شىء بهذا المعنى .

ـ نايف يعنى مطواة أو سكين يامدام سعاد ، قصدك نَايس . قالها بثقة رئيس المكتب وهو الوحيد المتخرج من الجامعة ، بين جميع الموظفين الجالسين بالحجرة ، ذات النوافذ العالية التى لم تنظف قط منذ أن استولت الحكومة على منزل النبيل السابق ، وحولته إلى مكتب السجل المدنى فى الطابق السفلى ، ومكتب للصحة فى طابقه العلوى وأردف ذلك الرئيس ، الذى كان مكتبه يتوسط الغرفة ، بسبب كونه الرئيس ، موجهاً السؤال لبرتِى :

ـ يعنى الأسماء خلصت من الدنيا ولم يتبق إلا اسم برتِى ؟!

ابتسمت برتِى ، وكسّلت عن حكى قصة اسمها ، التى طالما حكتها فى مناسبات كثيرة مختلفة ، مفضلة فض الكلام ، وإسكات الرئيس المتسائل ، فقالت :

ـ معك حق والله .

كان الموظف الأول قد بدأ يختم الأوراق بختم النسر ، الذى طيره فيما بعد صقر قريش ليحتل مكانه ، لكن دون جدوى ، فقد أصر الناس بنعته بالنسر مع أنه شتان ما بين النسور والصقور ، ورغم أنه كان يختم الأوراق بحماس شديد لم يقلله إلا نوبات العطس المتكررة ، التى كانت تداهمه ، بينما كان ساعى المكتب حسن ، يكنس الحجرة موزعاً على كل واحد فيها نصيبه من ذرات الغبار المتطاير ، ورغم أنه كان ينفث ، بين الحين والحين دخان سيجارته أيضاً ، فإنه استمر فى مواصلة الندوة التى كان قد اقترحها عملياً منذ قليل ، فألقى بمسألة أخرى توسع دائرة النقاش فقال إنه لا بأس بمعنى اسم برتى ، لأنه من خلال عمله الطويل بالسجل المدنى وردت عليه أسماء عجيبة غريبة ، فمرة عمل بطاقة عائلية لأرملة اسمها « نزاينز » ، ومرة أخرى استخرج بدل فاقد لبطاقة خفير صعيدى اسمه « حنك السبع » ، لكن الإسم الذى لا ينساه أبداً ، كان لواحدة بدوية من عرب الطوايلة اسمها ريح الصبا

ـــ ياسلام !

تصاعد صوتان على الأقل معقبان بذلك على حلاوة الاسم ، كان منهما صوت حسن الساعى ، الذى توقف عن الكنس ، واتكأ بقدمه اليسرى على يد المكنسة المصنوع شعرها من قش الرز ، وقال :

ـــ طيّب . هل حصل أنكم سمعتم اسم « مرعى من رب السماء والمياه والأرض » ؟! ضحك الجميع من ذلك الاسم ، حتى برتى ، وقالت مدام سعاد ، التى كانت ناسية كلمة نايس :

ـــ إنه موضوع إنشاء تقريباً وليس اسماً .

لكن حسن حلف بالنعمة الشريفة ، التى كانت وقتئذ عبارة عن كوب الحلبة الحصى الموضوع على مكتب الرئيس ، والذى رفعه حسن بيده ، ليثق الجميع بقسمه ، وأقسم مرة أخرى بدين النبى أن الحكاية حصلت فى مكتب سجل مدنى أسيوط من مدة بعيدة ، أيام عمله هناك قبل نقله لمصر ، وأن الاسم كان لطفل مولود أراد أبوه تسجيله ، وأنه اختار له هذا الاسم لأنه مات له قبله واحد وعشرون عيلاً ، ورئيس السجل رفض التسجيل وقعد يضرب الكف بالكف من تعجبه ، لكن الرجل طأطأ فى الأرض ، وباس يد رئيس المكتب ، وقال إنه حضر له واحد من مساخيط البرية ، فى الحلم ، وأمره بتسمية المولود بهذا الاسم .

ـــ سبحان الله ! قال رئيس المكتب ذلك بصوت علا على كل الأصوات الأخرى ، التى تصاعدت للتعقيب ، واستمر مواصلاً كلامه ، فقال إن الاسم محتمل أن يكون له كلمة واحدة قديمة ضاعت مع الزمن ، وبقى المعنى محفوراً فى ذاكرة الناس ، ثم أخرج من جراب ذاكرته حكاية جديدة ، عن بنت عمل لها فى مرة من المرات بطاقة شخصية ، كانت جميلة كفلقة القمر ، واسمها تغريد البلبل ، وأوان ذلك كانت الحكومة مانعة استخدام الأسماء المزدوجة بقانون جديد ، ربما بسبب قوانين الملكية والاصلاح الزراعى وما شابه ذلك ، لكنه سجل الاسم كما هو ، لأن البنت كانت جميلة فعلاً ، بل أروع من تغريد البلبل نفسه ، ثم إنه التفت إلى برتى قائلاً :

ـــ لكن ، بالتأكيد ، اسمك سبب لك بعض المشاكل !

أجابت برتى بالنفى ، وهى تمسح العرق النازح من قفاها ، وخلف أذنيها ، بمنديلها القطنى المطرز بوردة حمراء صغيرة ، أرتوت قليلاً من ذلك العرق ، فبانت بلون داكن قليلاً ولولا أن الوقت كان يمضى مسرعاً ، وهى تريد الحصول على البطاقة لتقديمها لجهة العمل التى ستعينّ بها لتستكمل بذلك الأوراق المطلوبة لكانت حكت لرئيس المكتب ، وبقية الموظفين كل متاعبها مع اسمها الجميل ، منذ زمن بعيد حتى بعد أن دخلت المدرسة ، وصارت مدرسة اللغة الانجليزية توقفها أمام التلميذات لتشير إليها ـ بينما هى تعلمهن مبادىء اللغة الانجليزية ـ قائلة :

ـــ ذيس از برتى

فيقول وراءها الجميع فى صوت واحد :

ـــ ذيس از برتى .

كانت برتى تغتاظ كثيراً من ذلك ، حتى يتصاعد الدم إلى أذنيها ، فتشعر بسخونتها لأن المدرسة كانت قبل ذلك تشير إلى المنضدة والشباك ، وسلة المهملات ، مطلقة عليها اسماءها الانجليزية ، أما مدرسة الألعاب ، فكانت تقول لها ، عندما تفشل فى القفز على الحصان الخشبى :

ـــ خسارة اسمك عليك .. المفروض أن يكون اسمك بُرُتّة !

كثيراً ما تألمت لذلك دون أن ترد ، بينما كراهيتها تزداد لتلك المدرسة ، التى لم تعرف أبداً أنها لم تكن تنط خوفاً من فتح ساقيها كثيراً ، حتى لا تظهر ملابسها الداخلية ، وينكشف فخذيها أمام فراش المدرسة ، الذى كان يحلو له التشاغل بتنظيف فناء المدرسة أثناء حصة الألعاب ، ورغم تلك المتاعب القديمة ، ومتاعب أخرى كثيرة صادفتها برتى فى الحياة بسبب اسمها ، فإنها كانت تفكر دائماً فى الجمال ، وتحب كل ما هو جميل ، ورغم أن فكرتها عن الجمال كانت غامضة بالنسبة لها تقريباً ، فإنها كانت تشعر بجمال الأشياء ، والكائنات والناس بحس فطرى مبهم ، ربما هو الذى كان يدفعها ، أيضاً لتكون طيبة ، رقيقة ، كنسمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صيفية شفافة ، مجسدة بذلك النقيض الحى لنظرية « كانط » فى الجميل والسامى ، علماً بأن اباها لم تكن لديه أية منطلقات فلسفية عندما أسماها برِتى ، فهو لم يقصد أن يسميها جميلة ، إلا من زواية الحفاظ على اسم امه المتوفاة ، قبل ميلاد ابنته بشهور قليلة ، إلا أن جارته اليونانية ديانا والتى كانت تعمل كمديرة منزل لتاجر خردوات انجليزى ميسور هى التى منحتها اسم برِتى ، عبر صدفة غير مقصودة ، لا أكثر ولا أقل ـــ فقد ذهبت ديانا ، إلى جيرانها الأعزاء ، لتبارك لهم بمناسبة ميلاد طفلتهم الأولى والتى ستكون الأخيرة أيضاً ـــ وبينما هى تحمل بين يديها قطعة اللحم الطرى ، التى لم يمر على ورودها ، إلى الدنيا ، إلا أياما معدودة ، وتحاول الباسها اللكلوك الكيروشية الوردى ، الذى صنعته لها ، فى قدميها الصغيرتين ، فتحت الطفلة عينيها ، ناظرة إلى ديانا ، تلك النظرة السحرية الغامضة للأطفال الرضع ، التى تجعل المرء راغباً فى الارتماء تحت أقدامهم طالباً المغفرة ، فشهقت ديانا الطيبة بانفعال كبير وقالت : أوه .. برِتى .. ، فسألها ابو البنت ، الذى كان قد استكمل تعليمه نهائياً فى كتّاب قرية منذ سنوات بعيدة ، عن معنى كلمة برِتى ، فقالت له بالعربية التى كانت قد اتقنتها بحكم أنها عاشت ما يكفى فى مصر ، بعد أن فرت منذ طفولتها الأولى ، مع أمها ، من بلاد الأولب ، إلى أرض الأهرام ، فى ذلك الزمن ، الذى حاول فيه موسوليني توسيع حذائه الإيطالى ، فوطىء أرض اليونان ، .. قالت له ديانا أن برِتى يعنى جميلة عند الانجليز ، فبلورت فى رأسه الذى لا تبرز فيه أفكار جديدة ـ عادة ـــ تلك الفكرة المبتكرة ، واسمى مولودته برِتى .

غير أن الأهل والجيران ، قرروا تطوير الاسم تطويراً مصرياً ملائماً ، وهو التطوير الذى جرى ابتكاره منذ أزمان قديمة ، تعود إلى عصر الاحتلال الأول ، ليتلاءم مع كل الاحتلالات الأجنبية التى حدثت ، والتى من الممكن حدوثها فيما بعد ، فقرروا أن تصبح برِتى .. بيبى ، ضاربين بذلك عصفورين بحجر واحد ، فهو أولاً اسم سهل الاستعمال بدلاً من برِتى الصعب ، ثم أنه اسم تدليل ، فيفى ، وميمى ، وربما كان لهذا أيضاً علاقة بما ترسب فى ذاكرتهم اللا واعية عبر الأجيال عن ملك قديم مندثر ، كان اسمه بيبى الأول .

كانت برِتى تستطيع ، لو أوتيت بعضاً من الموهبة ، أن تؤلف كتاباً لا بأس بحجمه ، عن كمّ الطرائف والمشاكل التى صادفتها بسبب اسمها ، لا بسبب كونها جميلة ، كما يفعل معظم الكتاب بالعالم ، فى كل العصور ، ولكن بسبب أن اسمها جميلة بالانجليزى ، فلو كانت الحياة قد منحتها فرصة أكبر من كونها موظفة صغيرة فى مؤسسة حكومية لربما كتبت برِتى عن العريس الوحيد الذى تقدم لها قبل بلوغها الخامسة والعشرين ، لكنه سرعان ما تركها ، بعد الخطوبة بشهرين ، وهى الفترة التى أخذ خلالها يتحرى عن زوجته المقبلة ، فعرف أنها يتيمة الأب ، منذ زمن بعيد ، ومهجورة من الأم قبل ذلك بسنوات ، بسبب فرارها إلى عشق قديم ، ساعد على انتعاشه مجدداً ، فى قلب الأم الصغيرة ، غياب الأب الدائم عن البيت ، لأنه كان يعمل سائقاً لشاحنة نقل بين المدن البعيدة . أفادت التحريات ، ذلك العريس ، أن ديانا الطيبة كانت أكثر من جارة ، فتعاطفت مع الأب المهزوم ، وربّت برِتى فى حضنها ، وظلت ترعاها كالأم ، حتى مات الأب الذى كان وجوده كعلامة بالنسبة للصغيرة برِتى .

لكن العريس ربط بين الاسم والقصة ، وكان استنتاجه ، الذى لم يكن فذاً إلا برأيه ، أنه لابد أن الأمر ينطوى على سر خطير ، فهناك حلقة مفقودة فى الحكاية الغريبة لتلك الفتاة ، فما معنى أن يكون اسمها برِتى ، وتربيها امرأة يونانية ، بينما تختفى أمها ، فى ظروف غير معروفة ، ويموت أبوها ؟ ولما كانت السينما المصرية خلال تلك الفترة غنية جداً بميلو دراما ومآسى الحلقات المفقودة والأسرار العائلية الغامضة ، التى سرعان ما تتكشف فى نهاية ساعتين من العرض ، عن جرائم ومخاز خطيرة ، ولما كان العريس إياه من مدمنى حفلة السابعة الثالثة ، فى أى سينما تقدم ثلاثة أفلام فى برنامج واحد ، مقابل ثلاثة قروش ، فقد أخذ يفكر ويفكر ، محاولاً اكتشاف الخيوط السرية ، المجهولة ، فى حياة برِتى ، متوصلاً بمنهجه السينمائى ، إلى نتيجة مفادها أن برِتى على الأغلب لابد أن تكون فى الأصل طفلة لقيطة ، ربتها تلك اليونانية العجوز ، المدعوة ديانا ، ومنحها الأب الذى مات منذ زمن اسمه لسبب مجهول ، وبالتالى فإن النتيجة المحتملة ، المترتبة على هذه النتيجة ، أن برِتى بنت حرام ، وهو لا يمكن أن يتزوج بأى حال من الأحوال بنت حرام ، ناهيك عن أن اليونانية يمكن أن تكون قد نصّرتها ، بحكم التربية ، والعشرة الطويلة ، أو على الأقل لم تعودها عادات بنات المسلمين ، والحقيقة أنه كان فى هذه المسألة ، تحديد ، أحمق كبير ، ومتسرع فى استنتاجاته إلى أقصى حد ، لأنه لم يدرك أبداً ، أن اليونانية المذكورة كانت قد تمصرت رغما عنها منذ طفولتها البعيدة ، فى مصر ، بما يكفى لاعتياد أكل الكنافة والقطايف فى شهر رمضان ، الذى كانت تنتظره ، بشوق كبير ، لتشرب فيه القمر الدين المثلج ، عند الجيران ، ثم إنها كانت تحتفل بعيد شم النسيم ، وتذهب مع جاراتها لمولد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيدة عائشة ، مشياً على الأرجل ، تخريماً من الفجالة ، عبر شوارع وسط البلد ، إلى موضع المقام ، صحيح انها كانت تصطحب برتى معها إلى الكنيسة ، لكن ذلك لم يكن إلا في بعض الأعياد ، لتستمتع ديانا بالطقوس الاحتفالية البهيجة ، وتستمع إلى القداس الذى كان يبدأ عادة عند منتصف الليل ، فتستطيع برتى بذلك أن تحل مشكلة الانتماء الدينى حلاً دبلوماسياً يرضى جميع الأطراف ، على طريقة الحلول الدولية ، هذه الأيام حيث يبقى الوضع كما هو عليه ، فبرتى كانت تلهو وتلعب طوال الطريق إلى الكنيسة ، سعيدة بثوبها الجديد ، الذى كانت ديانا تحيكه لها ، عادة من اثوابها القديمة ، لكن سرعان ما تنشب خناقة عائلية صغيرة ، بين ديانا وبرتى ، لأن النعاس يهاجم الأخيرة ، فتطلب النوم على كتف ديانا ، التى ترفض بشدة ، هذا الطلب المستحيل ، متذرعة بأنها عجوز ، لا تقوى على حمل دجاجة صغيرة ، فتبكى برتى ، وينتهى الأمر بهزيمتها ماشية إلى الكنيسة التى سرعان ما تنام فيها ، بمجرد جلوسها ، على الكرسى للاستماع إلى القداس .

وحتى بعد أن تسلمت برتى العمل كموظفة سكرتارية ، فى تلك المؤسسة الحكومية الكبيرة ، ظلت متاعبها مع اسمها قليلة ، لا تذكر ، بحيث يمكن التغاضى عن صمها لمؤلفها المفترض ، لكن بعد زمن قصير ، وبينما كانت برتى تسير بها الحياة سيرتها العادية ، المرسومة ، لموظفة صغيرة فى أسفل الهرم الوظيفى ، وبينما بدأ زملاؤها ، فى العمل ، يعتادون على اسمها وينطقونه ببساطة ، كفاطمة ، ونادية ، ونجوى ، كان مصير برتى يتقرر على نحو مخالف تماماً ، ربما بسبب تلك التغييرات الكبيرة التى حدثت فى البلد كلها ، وجعلت كلمة بيزنس أشهر كلمة انجليزية متداولة فى البلاد كلها ، وهى الكلمة السحرية التى عملت مايشبه الهوس ، فى حياة الناس ، فتدافع الشباب منهم لتعلم الانجليزية ، والكمبيوتر ، والنساء لصباغة شعورهن ، بالألوان ، الأصفر ، والأحمر ، وكل الألوان الممكنة ، ما عدا الأسود طبعاً ، اما الأطفال فبانت مطالبهم العادلة الجينز ، والكوتش ، والجيلى كولا ، وقد تأثرت برتى ، شخصياً بهذا المناخ العام ، فكانت تشعر بالقهر كلما وجدت نفسها تقف أمام الواجهات الزجاجية ، للمحلات الأجنبية ، الجديدة التى انتشرت فروعها ، بكل مكان ، انتشار النار فى الهشيم ، بينما هى تتأمل جمال المعروضات ، وارتفاع أسعارها الجنونى ، فتتحسر على حظها العاثر ، الذى لا يتيح لها إلا الحصول على بضعة جنيهات قليلة آخر كل شهر لقاء عملها فى تلك المؤسسة الحكومية الكئيبة .

ورغم أن حسرتها لم تدم طويلاً ، لأن برِتى ، كان مستقبلها يتقرر ، آنذاك ، وفقاً لتلك المتغيرات الجديدة ، فإن متاعبها مع اسمها لا يمكن الجزم بأنها سوف تتوقف أيضاً ، فمدير المؤسسة الحكومية كم كان يرى مؤسسته كئيبة أبداً ، مثلما كانت تراها برتى ، لأنه ؛ باختصار ، كان قد نهب من هذه المؤسسة ما يكفى لفتح مؤسسة أخرى جديدة ، الفارق الوحيد أن المؤسسة الجديدة اسقطت من عليها صفة الحكومة ، ليضفى عليها اسمه وصفته الشخصية ، بالإضافة للمال والعلاقات والخبرات ، وأفضل الكفاءات الوظيفية التى نهبها من مؤسسة الحكومة ذلك المدير ، وقد كانت برتى ضمن المنهوبات أيضاً ، بما أن الرجل يقوم ببيزنس ، حيث اقترح على نفسه ، وبينما كان يرتب أوراقه فى دنيا الأعمال ، مسترشداً بمنهج الجدوى الاقتصادية الشائع ، فى كل المشروعات التى جرى إنشاؤها ، ما عدا المشروعات الحكومية ، والعامة طبعاً ، وقرر أن يضم برتى إلى عالم مؤسسته الجديدة ، مستفيداً من اسمها ، موفراً على نفسه تكلفة تشغيل سكرتيرة أجنبية تقبض راتبها بالعملة الصعبة ، التى لم تكن صعبة المنال ، بالنسبة له ؛ كانت فكرته بسيطة : تقصّ برِتى شعرها قصة ملائمة ، وتصبغه بلون يتلاءم مع دنيا الأعمال ، ثم تحصل على كورس انجليزى معقول ، لتصبح بعد ذلك سكرتيرته ، التى سوف يقال للجميع إنها من أصل انجليزى ، لذلك فاسمها برِتى .

برِتى طبعاً ، سوف تصحبه باعتبارها سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة ، إلى أماكن كثيرة ، سهرات ، تعارف ، عشاءات ، وغداءات عمل ، حفلات استقبال ، ولسوف تتعرض أيضاً لصنوف مختلفة من الغواية ، بحكم طبيعة العمل ، لكنها ستكتفى بتجارب سطحية خفيفة ، فى هذا الجانب ، متسلّحة فى مواجهة ذلك بتربية ديانا البتول ، ثم إنها سترفض عروض زواج كثيرة ، بسبب أن راتبها تجاوز الألف جنيه ، ولأنها بمرور الوقت ، وبلغة الأعمال ، أصبحت سكرتيرة من الطراز الأول بعد أن تعلمت الفرنسية وقليلاً من الألمانية ، ثم بسبب أنها كانت تحلم بالارتباط بصاحب شركة ، أو رجل أعمال ، وهذا ما لم يتحقق أبداً ، بسبب أن هذه النوعية من الرجال يفضلون أمثال برِتى عشيقات ، وليس زوجات لذلك سوف تمر الأيام والسنون لتصبح برِتى بمرور الوقت ، مثلما كانت دائماً ، امرأة وحيدة تقطن شقة معقولة ، بالقرب من وسط المدينة ، يشاركها الحياة فيها كلب مخلص ، وقطتين ، يجلسون إلى جوارها عادة فى الأمسيات ، بينما تتطلع بملل إلى برامج التلفزيون .. غير أنه فى زمن آخر .. بعيد ... وربما قريب ، حيث تحدث متغيرات أخرى ، سوف يشير الناس إلى برِتى قائلين : عجوز وحيدة ، كانت تعمل موظفة براتب كبير فى مؤسسة من مؤسسات العهد البائد .

القاهرة : سلوى بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ممنوعات

رمسيس لبيب

فى الظل الصغير لجدار عنبر « ب » يجلس المساجين الثلاثة . يبتسم الأسمر النحيل ، ويقول :

ـ لم يبق إلا سبعة أيام

ويمرر السجين الممتلىء أصابعه على شاربه الكبير :

ـ وأنا ثلاثة شهور وخمسة أيام .

ويتنهد الكهل الضئيل ، يحدق فى البياض الصَّهدى لضوء الظهيرة :

ـ أنا لاأعد الأيام ، يبدو أننى لن أخرج أبداً

وينفرد كل منهم بأفكاره ، وذكرياته وهمومه .

وفجأة يهمس الممتلىء محذراً وبصره فى اتجاه مطبخ السجن :

ـ الشاويش دياب .

وتندفع عيون زميليه إلى باب فناء مطبخ السجن ، ويهبون واقفين بارتباك ، يضعون الطواقى الخضراء على رؤوسهم وتتقارب مناكبهم .

يتبادلون بنظرات متوجسة حواراً سريعاً ، يتفاهمون على البقاء فى أماكنهم لأنهم فى وقت « الطابور » وفقاً لتعليمات السجن .

ويقف الشاويش دياب بقامته الربعة المستقيمة كلوح خشبى فى باب فناء مطبخ السجن ، يملأ فراغ الباب الصغير ممسكاً بعصاه التى يدس طرفها تحت إبطه كعصا المرشالية .

ويرى السجين الأسمر الشاويش دياب فى تفتيش الأمس وهو يمزق صور زوجته وأولاده التى اعتبرها من الممنوعات ويسبه بألفاظ بذيئة جارحة ، ويتجسد الشاويش دياب للسجين الممتلىء وهو يسحق بحذائه التوْتوْ الجديد الذى اشتراه بخمس علب سجائر ثم يلقى بالسكر والشاى فى جردل البول ، وتعاوده بعض مشاهد ومشاعر أيام الحبس الانفرادى الثلاثة التى قضاها فى التأديب عقاباً له ، والتى حرم بسببها من الزيارة « السلك » ! ويحس السجين الكهل بأوجاع العلقة الساخنة التى أخذها من الشاويش دياب منذ أسبوعين لأنه تأخر فى دورة المياه عند التمام .

ويمشى الشاويش دياب بخطى بطيئة متعثرة بحذاء جدار عنبر « ا » وقد تهدل طرفا شاربه المفتول ، وتتابع المشاهد فى عقول المساجين الثلاثة : الشاويش دياب يفاجىء العنبر قبل التمام بأكثر من ساعة ومعه رجال القوة والضابط الجديد للعنبر ، يزعق بصوته الأجش الغليظ فى أول سجين يصادفه

وللفور تختفى الأصوات ويطبق الصمت على العنبر الكبير ، ويسارع المساجين فى الأدوار الأربعة إلى زنازينهم ، يحاولون إخفاء ما يمكن أن يعتبر من الممنوعات ، وتداهم القوة الزنازين فى التفتيش المفاجىء ، ويصول الشاويش دياب ويجول فى الزنازين الصغيرة ، يحطم ويمزق ويخرج الكثير مما خبأه المساجين ، يلوم زملاءه على لكاعتهم ، ويفتش المساجين ، يدس أصابعه فى الأماكن الحساسة وهو يحدق فى عيونهم بعينيه المستديرتين الصغيرتين ويسبهم ويهزأ بهم بالألفاظ الجارحة ، وفى النهاية يصادر كل شىء حتى الرسائل الواردة من الأهل عن طريق إدارة السجن يصادرها وهو يدس بعضها خفية فى جيوبه .

ويقترب الشاويش دياب وهو يتساند على جدار عنبر « ا » وقد التمعت قطرات العرق على وجهه الليمونى ، ويقول السجين الأسمر وهو يتابع الشاويش دياب بجانب عينيه :

ـــ يبدو أنه مريض .

ويهمس الكهل الضئيل .

يعور فى ستين داهية .

ويتمتم الممتلىء .

ـــ سبحان القادر على كل شىء .

وتتابع المشهد فى ذاكرة الثلاثة .

المساجين يفترشون فناء السجن فى صفوف منتظمة يترقبون فى العتمة استكمال عرض الفيلم العربى الذى يعرض لحياة امرأة فاضلة ، تتعالى ضحكاتهم المسترخية ، ويتبادلون النكات والتعليقات ، وتسرى بينهم الهمسات لتش بالصبوات والأشواق السجينة والاتفاقات على حفلات الزفاف التى سيقيمونها الليلة للاحتفال بزفاف بعض المساجين القدامى من عتاولة السجن على بعض المساجين الجدد ، وفجأة تزعق الصفارات وتداهمهم الأضواء ، ويستفيق المساجين على الشاويش دياب وهو يشتبك مع سجين فى الصفوف الخلفية ليفسد عليهم أمسية الترفيه الشهرى التى يعدون الأيام انتظاراً لها وينهال الشاويش دياب وزملاؤه ضرباً على السجين ، ويعلن نائب المأمور السمين الرخو أوامره بإدخال المساجين عنابرهم ، وتفشل وساطة بعض المساجين ومحاولتهم الاعتذار للشاويش دياب وزملائه عن زميلهم المعتدى عليه ، وتجن الصفارات وتستعمل العصى ، ويجرجر المساجين خطاهم الخائبة إلى عتمة العنابر وجهامتها .

يتوقف الشاويش دياب ، ويسند ذراعيه على جدار عنبر « ا » ويخفض رأسه بين ذراعيه وهو يحاول أن يحتفظ بعصاه تحت إبطه ، ويبدو كأنه يحاول أن يتقيأ ، وينظر السجين الأسمر إلى زميله ، ويندفع عدواً إلى الشاويش دياب ، يمد له ذراعه فى رقة محاذرة ، متهيبة :

ـــ سلامتك ياحضرة الصول .

ويرمق دياب بنظرة غائمة من وجهه الشاحب البارز الوجنتين المتعرق ، ويمد له يده وهو يقول بصوت متحشرج فيه رنة آمرة :

ـــ وصلنى إلى المكاتب .

ويطوقه السجين بذراعه ، يسنده على صدره ، ويساعده على السير بخطوات متمهلة . يحاول الشاويش دياب أن يحتفظ بعصاه تحت إبطه ، وتلين لهجته :

ـــ لا أستطيع السير .

وينظر اليه السجين مرتبكاً ومشفقاً ، تتوسل إليه العينان المستديرتان بنظرة واهنة فيضم الشاويش دياب إلى صدره ، ويرفعه بذراعيه على كتفه ويتحرك بحمله الثقيل صوب أبنية الإدارة .

ويتمتم السجين الكهل مغيظاً :

ـــ ابن الكلب .

ويسرع إلى زميله الذى ينوء بحمل الشاويش دياب ، يدور حولهما مادا ذراعيه كأنه يساعد فى حمل الشاويش دياب :

ـــ سلامتك ياحضرة الصول .. الف سلامة .

ويتسحب السجين الممتلىء إلى باب عنبر « ب »

يتابع السجين سيره بحمله الثقيل ، تلفحه الأنفاس الساخنة ، ويضيق صدره برائحة العرق الزاعقة ، ويسقط رأس الشاويش دياب على كتفه وترتخى يداه وقد أمسكت إحداهما بالعصا .

تمر مجموعة من المساجين النبطشية يتقدمها العسكرى النوبى أحمد ، يتوقف المساجين ويحدقون فى دهشة إلى الشاويش دياب المحمول على كتف السجين ، ويتمتمون ، ويدفع العسكرى أحمد خطاه إلى مطبخ السجن وهو يتذكر جزاء خصم الأيام الخمسة من راتبه الذى وقع عليه نتيجة لتبليغ الشاويش دياب مباحث المصلحة عن تهريبه رسالة لأحد المساجين من زوجته .

ويجتاز السجين الأسمر بحمله باب الممر الضيق المفضى إلى حجرة الزيارة « السلك » وحديقة المكاتب ، ويتراجع زميله الكهل وهو يدعو للشاويش دياب بالعافية وطول العمر .

يتماسك السجين الأسمر ويتشدد ، يمر على حجرة الزيارة ، يستعيد وجوه وبعض كلمات الزيارة الأخيرة ، لن تكون هناك زيارة أخرى ، لا سلك ولا خصوص ، سبعة أيام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقط ويكون بين زوجته وأولاده ، سبعة أيام وتنتهى السنوات الثلاث السوداء ، كيف يقضى بعض المساجين عشرة أو خمسة عشر عاماً فى مثل هذا السجن تحت وطأة الحياة القاسية وإهانات السجانة ؟ .. لماذا يعامل الشاويش دياب المساجين بالقسوة الشديدة وكأن ثمة ثأر بينه وبينهم ؟ .. ألا توجد لديه أية مشاعر ؟ .. ألا يمر بأوقات ضعف وضيق ، لو يكلمه ، لو ينصحه بأن يكون طيباً ورحيما بالمساجين كبعض زملائه ، هل هو مجرد احترام للتعليمات وتنفيذ صارم لها ؟ لاشك أنه سيحفظ له هذا الجميل ، لاشك أنه سيعامله بطريقة مختلفة عندما يشفى ويعود إلى عمله ، لو عاد إلى العمل قبل الإفراج عنه سيحادثه بصراحة ، سيخبره بكره المساجين له وينصحه بمعاملتهم بطريقة طيبة .

وفى حديقة مكاتب الإدارة الصغيرة يمر الملازم صفوت ، يلقى بنظرة سريعة على حمل السجين ، يتساءل وهو يتابع سيره :

ـــ مالك يادياب ؟

وعند باب حجرة التشهيلات يحس السجين بشىء يُدس فى جيب سترته ، يحاول أن يسند الشاويش دياب بذراع واحدة ويمد الثانية إلى جيبه ويقبض على يد الشاويش دياب وهى فى جيبه .

ـــ معاك ممنوعات يامسجون ؟

ويتسمر السجين فى مكانه ، تتراخى ذراعاه ، ويسقط الشاويش دياب على الأرض .

ويصرخ الشاويش دياب وهو يتلفت باحثاً عن عصاه ، ويستدير السجين ويمضى إلى العنابر دون أن ينطق بلفظ .

القاهرة : رمسيس لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تركة على المغربى

عبد الحكيم حيدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دهس الترام على المغربى العجوز المحنى الظهر وهو يكح فى الفجالة ، فعبر سرسوب الدم الجارى من تحت الطربوش الأحمر القديم المكعوب والمُلقى على الأسفلت ، وتبعثرت لفافات القُصفر والشطة والملح وحبة البركة ، واختلط الدم بالليمون المدهوس بأوراق الكتب القديمة التى كان يحملها ، وتمزقت تحت أرجل الذين يُدارون الجثة بالجرائد .

انصرف بعض كبار السن مع تكبيرة الظهر ، وظل عسكرى المرور يغدو ويروح مابين زحمة الإشارة والجثة ومؤخرة الترام والدفتر .

وبعد شهرين وجدوا عناكب وثعباناً وعش عصافير ويمامة يابسة داخل مكتبة المرحوم بميدان الأزهر ، فأجّر الورثة المكتبة لصديق عمره (كامل الحناوى) بعد أن جردوا عليه المكتبة وتزوج كامل الحناوى — بعد جرد المكتبة بشهرين — أرملة على المغربى الثانية وريثة المكتبة عن أبيها ، والتى تسكن فى أوضة وصالة فى السيدة زينب ، وقبض — بعد شهرين أيضاً — ألف جنيه من المستأجر ، وخمسمائة من صاحب المسكن ، وترك الأوضة والصالة ، وبنى لها عشة وراء عشة ابنه فى (الدراسة) وابنه ملأ المكتبة بالعطور والبخور والحناء والشرائط وفساتين النوم ، وعلق على مدخل المكتبة صورة مؤطرة بماء الذهب للشيخ الفاسى ، وبجوارها كانت صورة صغيرة كالحة لعلى المغربى وهو فى حنطور بحصانين وقد أمال الطربوش أبو زر على حاجبه ، وبجواره امرأة جليلة بيضاء فى نقابها لا يبدو منها سوى كفين كاللبن الحليب ، ومن خلف الحصانين والحنطور — فى الصورة — يبدو النيل جارياً ، وأشرعة قديمة لمراكب متناثرة تتهادى إلى البر .

القاهرة : عبد الحكيم حيدر

زيـــف الحيطـــان

كمـــال مرســـى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صحوت من عز النوم على خبطة مخيفة ترتطم فى عنف بشيش النافذة الوحيدة المطلة على الطريق فى شقتنا الصغيرة .

ولغرابة الخبطة قفزت من فراشى نحو النافذة مستطلعا .

كنا فى الدور الثالث ، آخر أدوار البيت القديم .

من يستطيع أن يطول نافذتى من هذا المكان المرتفع ، فيخبطها تلك الخبطة التى توقظ أمثالى من أصحاب النوم الثقيل ؟

لن تستطيع ذلك إلا ذراعا ديناصور ، يعربد بشارعنا فى الصباح الباكر ، خابطا على شيش النوافذ كأنما ليوقظ متعمدا سكان البيوت المطلة على شارعنا التجارى الكبير .

وأنا أفرك النوم من عينى فتحت النافذة . كانت حبال غليظة تمتد على واجهة بيتنا وغيره من العمارات المجاورة .. تتدلى من أسطح البيوت حاملة فى أطرافها سقالات خشبية طويلة تنزلق بها الحبال من الأسطح على طول واجهات البيوت .. ترتطم فى هبوطها بكل ما يقابلها من شيش النوافذ وأسوار الشرفات .

جاء الدور على منطقتنا إذن ، فى طلاء بيوتها بالجير الأبيض . ودائما يجىء الدور بأمر الحكومة !

كنت فى مرورى اليومى بشارعنا الكبير أُفكّر — بما يشبه اليقين — فى أن الديناصور لابد سيستثنى بيتنا من دهان واجهته باللون الأبيض ، فالبيت — لسوء الحظ — قمىء ، .. متداع .. ينطوى على نفسه ويبدو بأدواره الثلاثة بين الأبراج الشاهقة التى تحيط به وترتفع هاماتها إلى عشرات الأدوار ، قزما واقفا بين عمالقة .. وفوق ذلك فإن مالك البيت لا يقيم به وجميع سكانه تبدو الكآبة على وجوههم ، كأن هموم الدنيا وأكدارها كلها قد حطّت عليهم . حتى أطفال شقة الدور الأرضى الذين كان الزياط والتهريج سمة لعبهم اليومى ، انحط عليهم الصمت .. صمت بلون ملابس الحداد التى ترتديها أمهم منذ عاد أبوهم من غربته الطويلة فى البلاد البعيدة مشحونا فى صندوق كتبوا عليه اسمه .

ويتسرب السواد صاعدا — لسوء الحظ — فى بيتنا من الداخل دون أن يقدر على وقف زحفه أحد ، ماراً بشقة الدور الأوسط حتى يصل الى قمته فى شقة الدور الثالث حيث أقيم أنا وأمى العجوز التى يرقد فى عينيها الكليلتين شجو صامت

غائص فى أعماق حدقتى العينين . أبداً أبداً لا يتركهما منذ هبط أخى الصغير مع زوارّ أتوا فى الفجر ، ولا يعرف له أحد ، حتى الآن ، مكانا أو موعداً لأوبته . أما ناس شقة الدور الأوسط فكانوا أسعد حالاً من باقى السكان .. كانوا « مبسوطين » . عندهم تليفزيون ملون يقضون جلّ أوقاتهم أمامه . لكن التليفزيون ضحك عليهم ، وصدقوا إعلاناته .. فباعت النسوة ذهب الأساور وأودع ناس الشقة كل ما ادخروه فى شركة لاستثمار الأموال .

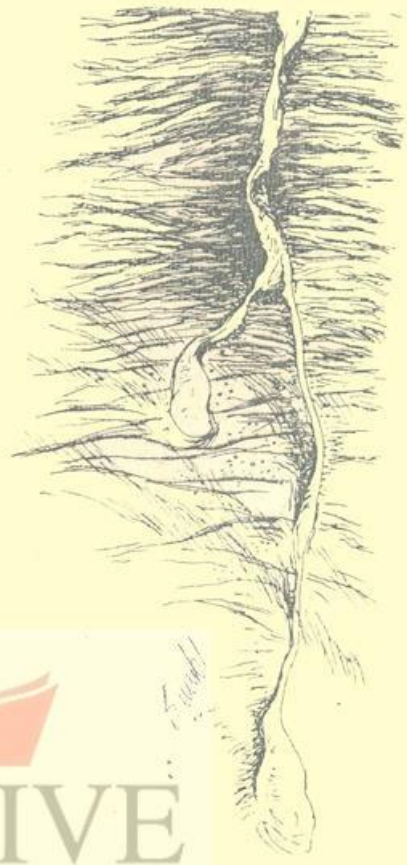

ولما أيقنوا ، بعد حين ، أنهم وقعوا ــ بالفعل ــ فى الشراك التى نصبها النصابون ، وأنهم فقدوا فى الشركة كل أموالهم زحف التجهم والسواد على شقتهم وغاض انبساطهم بعد أن تغيّمت بالمرارة أيامهم .

لكن الديناصور كان له رأى آخر فى مسألة دهان الواجهات فإن (الأبيض) ــ فى رأيه ــ لون مضىء ، متفائل .. يشرح الصدر .

هبّت نسمة باردة من نسائم الصباح الباكر .. تسرّبت رعشة خفيفة إلى بدنى ..

سمعت وأنا أهم بإغلاق النافذة أحد عمال البياض يقول لزميل له متضاحكا :

إحنا اللى بندهن الهوا دوكو ...

القاهرة : كمال مرسى المحامى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النمـــــل

مصطفى الأسمر

حثت النملة خطاها ثم هرولت ، كان عليها أن تصل فى الموعد المتفق عليه .. وإذْ أصبحت على مشارف المكان المحدد اعترضتها حفرة حديثة قاست بعينيها عمقها واتساعها ، حسبت الزمن اللازم لعبورها وجدته مديدا .. التفتت نحو الشوارع الجانبية وفكرت أن تتجه إلى واحد منها لتدور حول الحفرة .. كلها كانت مكتظة ، فالمدينة تحتفل بعيد من أعيادها الأرجل متلاصقة بأحذيتها السوداء ذات الأربطة الكتانية الطويلة .. تأكدت أنه لا منفذ تستطيع العثور عليه لتمرّ .. من بينها ... فاضلت بين اختيارات ثلاثة ! أن تهبط الحفرة منحدرة مع انحدارها حتى تصل إلى القاع فتسير كل اتساع عرضه قبل أن ترتقى الجانب الآخر صعودا لتصل ثانية إلى امتداد الطريق الذى بترته الحفرة ..

أن تتسلق الأحذية السود تظل تتموج مع انحنائتها مع ما فى المحاولة من مخاطرة أن يحطمها حذاء بقصد أو من غير قصد ..

أن تصعد واحدا من المنازل المطلة على الحفرة ثم تقذف بجسدها من اعلاه وتترك للهواء مهمة حملها وتحديد مكان وصولها ، إما لبداية الطريق الرئيسى وإما لقاع الحفرة وإما لجهة غير معلومة ومعروفة لها .

اختارت القفز فى الهواء لجدة الفكرة ، بحثت عن منزل ملائم ثم استنفرت كل قدراتها لصعوده بسرعة ... كان الدرج خاليا ولا معوقات حقيقية .. استنتجت أن كل سكان المنزل بالخارج يشاركون فى الاحتفال .. جنبها عدم وجودهم عبء الدخول معهم فى مشاكل ومتاعب لا نهاية لها ...

وصلت إلى السطح وهى تلهث ... اعتلت السور لتنفيذ ما انتوت ، التقطت أنفاسها الاستغاثة ، حاولت التصامم عنها لكنها لاحقتها ، خمنت بحاستها المدربة أنها قادمة من أسفل ، تحديدا من الدور قبل الأخير .. اصطادتها الحيرة ، أتهبط لتقديم العون استجابة للاستغاثة أم تقفز لتلحق بالموعد وتنفذ الوعد ؟

انتشلتها من حيرتها وصية الجدة ، .. فعندما أتوا بها إلى البيت مبتورة الأطراف متعبة ، أخذت تروى لهم بصوت واهن ما حدث .. وقبل أن يخفت الصوت ثم يتلاشى نهائيا أوصتهم أن لايتقاعسوا أبدا عن تلبية استغاثة نملة ملهوفة وقعت فى مأزق .. وألا يترددوا فى بذل كل الجهد من أجل تخليصها ، أخذت عليهم ميثاقا بتنفيذ الوصية دون تردد . كانت أيامها فى بداية العمر تلك الأيام التى لا تُنسى والتى كانت الجدة تخصها فيها بذرات السكر وفتافيت الحلوى ... وكان للجدة أيضا فضل اصطحابها معها خارج البيت ورؤيتها الطريق لأول مرة .. يومها سارت بجانبها تسألها عن كل ما تراه والجدة تجيب وتوجه ثم دلتها على مناطق الغذاء وقادتها إلى أماكن الترويح عن النفس .... كانت الجدة دائما نافذة القول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسموعة الكلمة ... وإنها لتذكر حادثة وقعت لها وهى معها ... فذات ليلة شتوية اصطحبتها الجدة هى ومجموعة من شباب النمل وطلائعه .. خرجوا جميعا للبحث عن نملتين تأخرتا فى العودة كان حال المدينة كحالها هذه الليلة ، تحتفل بعيد لها .. ولأنها كانت المرة الأولى التى ترى فيه احتفالا كبيرا فقد بهرها بطقوسه وأنساها نفسها .... صعدت جدران حذاء أسود واستقرت فوقه لتشاهد مالم تشاهده من قبل .. وعندما عثرت عليها الجدة مستقرة فوق الحذاء لاهية غير عابئة بشىء ، حملتها هى وباقى النمل من فوق الحذاء فأنزلتها أرضا وأنبتها كما لم تؤنبها من قبل ، بكت وقد أهينت أمام الجميع .. قالت الجدة

ـــ تعوّدى ألا تنشغلى بغير ما خرجت من أجله .

ـــ لكن الاحتفال ياجدة باهر ، ربما يمر عمرى كله ولا يُقدر لى أن أراه مرة أخرى

ـــ العثور على النملتين أهم من كل شىء .

ـــ أما يكفى للمهمة أنت والآخرون ؟

ـــ يكفى

ـــ إذن لماذا الإصرار على أن أكون معكم ياجدة ؟

ـــ لأننا ما خرجنا للتروح عن النفس بل للبحث

سارت معها باكية معبرة عن غضبها وضيقها بهمهمات تصدرها لم تهتم بها الجدة ..... أبصرت النملتين محشورتين أسفل كعب حذاء أسود نبهت الجدة لما رأت وأشارت إليهما قالت الجدة وهى تتجه نحوهما :

ـــ أرأيت كيف كان لوجودك معنى وفائدة ؟

أمرت الجدة الجميع أن يتعاونوا معا لزحزحة الحذاء ، أصابهم الأعياء وما نجحوا ... سألت الجدة وهى ترى النملتين المنسحقتين تحت الحذاء لا يظهر منهما غير الرأسين وبعض الأطراف .

ـــ والعمل ياجدة ؟

أجابتها :

ـــ ساصعد أنا إلى ظهر الحذاء ثم أسير فوق القدم حتى أصل إلى الركبة فاقبض على جلدها بأسنانى وأظل اقبض بكل قوتى لا أرفع أسنانى عن الجلد حتى يرفع صاحب الحذاء قدمه ليبحث عما يؤلمه .

ـــ وإذا عثرت أصابعه عليك ياجدة ؟

ـــ المهم أن تخرج النملتان من تحت الحذاء

جاءت الاستغاثة هذه المرة واهنة فهبطت من فوق السور عازمة أن تصل إلى مصدرها ... رأتها نملة صغيرة فى بواكير عمرها ، ذكرتها بأيام عمرها الأولى وشقاوتها .. كان السائل يغمر جسدها عدا الرأس وبعض الأطراف المتشبثة بحافة الطبق .. تمنت لو أن الجدة معها لتشير عليها بما تفعل وتدلها كيف يكون التصرف .. كانت الجدة بوصيتها والقسم الذى قطعه الجميع على أنفسهم فى حضرتها قبل أن يصمت صوتها ماثلة أمام عينيها .. طمأنت النملة الصغيرة وأكدت لها أنها لن تتركها تكابد محنتها بمفردها ولن تتخلى عنها بل ستبذل كل جهدها لانتشالها قبل أن يختفى رأسها الجميل بدوره وتغيب تماما فى جوف السائل . قالت النملة الصغيرة .

حاولت أن أكتشف ما بالطبق فسقطت فيه .

وجدت نفسها تتكلم كالجدة وتطالبها أن تكف عن مثل هذا الكلام فليس هذا هو الوقت المناسب لذكر الأسباب ، أفهمتها أنها ستمد لها يديها لتتعلق بهما ، حذرتها من أن تترك يديها الاثنتين مرة واحدة بل عليها أن تمسك أولا بيد واحدة من يديها الممدودتين وتظل متشبثة بالأخرى بحافة الطبق لا تتركها لتقبض على يدها الأخرى إلا إن أمرتها هى بذلك ، قالت النملة الصغيرة

ـــ سأنفذ كل تعليماتك بدقة وحرص

بذلتا معا محاولات مضنية وعديدة قبل أن تتمكن من إخراجها من جوف السائل اللزج .. قالت لها .

ـــ والآن عليك أن تتعلمى مما حدث لك ولتأخذى جانب الحذر فى افعالك مستقبلا ..

شكرتها النملة الصغيرة وقالت :

ـــ لن أنسى لك أبدا هذا المعروف

سألتها

ـــ ألك حاجة أخرى ؟

شكرتها .. فانصرفت حتى إذا وصلت إلى سطح المنزل ثانية اعتلت السور تأملت الأرض الممتدة أسفل المنزل ، ظهرت لها من هذا العلو الشاهق على غير الصورة التى ألفتها وعايشتها .. كان حرصها على الالتزام بالموعد والوفاء بالوعد ضاغطا ...

اغمضت عينيها واستجمعت كل شجاعتها المدخرة لمثل هذا اليوم ثم قفزت ..

عندما فتحت عينيها رأت النمل المتكاثف تحتها وقد صنع من جسده المتلاحم طبقات فوق طبقات ليتلقفها ويحمى جسدها من الارتطام بالأرض .

دمياط : مصطفى الاسمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحبـــــل

محمد كمال محمد

كان ينتظره على رصيف القطار .. احتضنه بالحنان والشوق ... العينان صفرتا فى وجهه الأحمر الذى ضاعفت غضونه السنون .. خف شعره الأبيض كثيرا ، بان جلد رأسه من أمام ومن خلف .

أطال زوج أخته النظر إليه :

ـــ تألمت أختك كثيرا لأجلك ..

ابتسم فى أسى ... منذ وعى الحياة فى ظله ، لا يراه إلا مع أمه ... كانت تحبه بعد أبيه ، مثلما تحبه هو ذاته .. كانت صديقته الحميمة .

دس الرجل ذراعه تحت إبطه فى حب :

ـــ عنيد أنت ـــ كما كنت دائما .. أعرفك من صغرك .

ـــ لن نتركنا .. يجب ألا تتركنا .

ـــ سأسافر ..

ـــ ما زلت صغيرا .. فماذا سوف تعمل هناك ؟

ـــ أحاول !

ـــ أختك أمك وأنا أبوك .

خلص ذراعه من يده ، وأسرع مبتعدا .. ناداه .. أوسع من خطواته ... لحق به لاهثا .. هوت اللطمة الحانقة على وجهه .

بذهول اللحظة وعنفها احتضن وسطه ، غرس وجهه فى بطنه ، هزه فى تشنج ، انحشر العواء فى حلقه ..

طوقت كفاه المرتعشتان رأسه :

ظل ينتفض بالبكاء المكتوم .

ـــ اغفر لى .. أوصانى أبوك .. وبعده أمك .. ماذا تريدنى أن أفعل معك !

سحب ذراعيه من حول وسطه .. ابتعد عنه وظل يبكى ..

مال فوقه ، لف كتفيه ، شده إلى صدره :

ـــ ستبقى معنا .. يجب أن تبقى .. لماذا تذهب إلى تلك المدينة الواسعة .. التى لا أحد فيها يعرف الآخر ..

هز رأسه بالدموع المتساقطة ..

قبل رأسه ، مسح بكفه خيط الدموع :

ـــ أعرف أنى لا أقدر على إكمال دراستك .. لكنك ستبقى بيننا لتتعلم مهنة ...

انفلت بين ذراعيه ووقف بعيدا :

ـــ سأشتغل هناك .. لأستمر فى دراستى ...

* * *

ـــ كانت سعيدة بنجاحك .

حدق أمامه :

ـــ الآن أشعر بعبث ما فات كله !

ـــ أرغموها أن تكتب ما طلبوه منها ..

تغلغلت ملامحه بالمرارة ..

تهمة الجنون لأنهم لم يظفروا بإدانته .. لكنهم حققوا ما هو أكثر !

ـــ لاتحك لها شيئا .. هل تعدنى ؟

ـ ولماذا أزيد عذابها ..

ـ سوف يمكن أن تستعيد صحتك .. وتبدأ حياتك ..

ظل فى الطريق صامتا ..

جعلوا روحه حطاما ، لكى يظل راكعا .. وسوف يتصيدونه ثانية عندما يريدون ..

لمعت عيناه المنطفئتان بالدهشة ، توقف يتطلع إلى شباك البيت المقابل .. قال زوج أخته :

ـ مريم .. تسكن الشقة الجديدة مع أسرتها ..

الوجه زادت استدارته بياضا .. والعنق اكتنز اللحم أكثر .

ـ لم تعد تزورنا إلا نادرا

الذراعان العاريتان حتى الكتف تطوق معصميهما السوارات الذهبية .

لاتزال ... مشغولة بالحديث مع جارتها ..

* * *

رنا ، وهو يغادر بيت أخته ، إلى الشباك المغلق ..

سمع صوتا كصوتها عبر الرواق المكشوف ، ففكر أن ينتظر قليلا فى الشارع الصغير الخالى .. تحسست يده فى جيبه رسالة الصديق الذى طالت محنته يحملها إلى زوجته .. أسرعت خطواته .

قابلها على رأس الشارع ، متألقة الوجه بالابتسامة المستكنة دوما فى عينيها .

ـ أهلا .. كيف حالك

ـ مريم ! ..

نظر مهتزا إلى وجهها

لأجلها كان يجىء كل شهر إلى المدينة ليراها .

ـ غبت هذه المرة طويلا .. ألم توحشك المدينة ؟

احتضنت عيناه نظرتها :

ـ أوحشنى ناس أكثر !

ـ مالك ذبلت ونشفت هكذا .. ألا تأكل ؟!

ابتسم يستدرجها بمشاعره ، ليسمع صوتها .. .

كانت تأتى إلى أخته كثيرا .. وثمة مقعد عال بعض الشىء كان يحلو لها أن تجلس عليه وتهز ساقيها فى جرأة تفتنه .

ابتسمت مداعبة :

ـ لابد أنك توفر النقود ..

كان يظل طوال الوقت يتأملها .. يشتاق منجذبا لكلامها .. حكاياتها صوتها .

ـ يجب أن تأكل كثيرا لكى تسمن ! .. لا تنس !!

انفلتت تجاه البيت .

* * *

القطار يهز هزه فى ركنه المنزوى ، مسلما جسده المنهوك للعتمة خلف النافذة التى رفع خشبتها الداكنة ..

فاتت السنوات وهى لا تدرى بعد بمهزلتك .. وان تقدر أن تجتث من قلبك جذور المرارة والخيبة .. فلتكبر .. مات الأمل فضع حجرا تحت رأسه وترحم ..

صوت القطار يأتيه لاهثا .. تدفعه الريح فيبتعد ، ويعود أكثر لهاثا ..

وقلبك ينزف دما .. والليلات الآتية أكثر ظلاما .. وليس تدرى متى يأتى زمانك

القاهرة : محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى الليـــــل

محمـد الـــراوى

كنت لا أحب ضوء الشمس ، وأكره الضوضاء وأصوات البشر . لذلك دائما انتظر حتى يحل الليل ، ويحط بظلامه على كل شىء ، انتظر حتى تخفت الأصوات البشرية ، والأضواء الكهربية ، والوقت الذى أشعر فيه بالأمان هو الوقت الذى لا أسمع فيه سوى صوت الهواء فى الخارج خاليا من الأصداء ، وهو الوقت الذى يكف فيه الناس عن الكلام والأبواب عن الاصطكاك .

كان الجو باردا فى الخارج . ولم يكن هناك سوى صوت هسيس الأشجار .. وكان نباح الكلاب يصل إلى سمعى من حين لآخر . وعندما اقتربت اللحظة التى أنتظرها دائما ، غيرت ملابسى : فارتديت سروالى القاتم وقميصى القاتم ، ولبست حذاء خفيفا من المطاط ، ووقفت خلف بابى .

كانت الكلاب مازالت تنبح . وكنت أكرهها إذ كانت تشعر بى ، وإن كانت تخاف الاقتراب منى . وفى لحظة صمت أطفأت الأنوار وخرجت بلا صوت سرت بجوار السور ، وعبرت الشارع بخفة قط .

لم تكن حيوانات الليل وحشراته تشعر بى ، إذ كنت أمر بالقرب منها فلا تعيرنى التفاتا ، ولا تجزع أذا شعرت بوجودى ، فسرعان ما كنت ابتعد عنها وأذوب فى الظلمة ، قاطعا شارعا وراء الآخر ، مارا من أمام البيوت المغلقة الأبواب والنوافذ اجتاز أحواشها ودهاليزها الأرضية . وكنت أسمع بعض الأصوات الخافتة وراء الأبواب . أصوات متراخية تتأهب للنوم .

عندما اقتربت من المكان الذى كنت أقصده ، سمعت نباح الكلاب . بحثت فى الظلام مستخدماً حاستى البصر والشم ، فظهر لى عن بعد مجموعة من الكلاب تنبح على حمار صغير كثيف الشعر : كان يبحث عن طعامه فى مقلب قمامة . وعندما أقلقته الكلاب تحرك مبتعدا عنها ، فأخذت تطارده ، وتحاول محاصرته ، فكان يدور حولها ويدافع عن نفسه بركلات بلهاء من ساقيه الخلفيتين .

دلفت بخفة إلى حديقة المنزل ، وسرت فى دهليز خافت الضوء حتى توقفت أمام أحد الأبواب ضغطت على زر الجرس ، والصقت نفسى بخشب الباب . وانتظرت ..

كنت أدرك أنها فى الداخل ، وأنها تعرف من الذى يدق عليها الجرس فى مثل هذه الساعة . بقيت دقائق وأنا ملتصق بالباب لا أتحرك ، ولا التفت ورائى . سمعت خطواتها فى الداخل . خطوات مترددة حذرة ، ظلت برهة وراء الباب لا تتحرك . ربما رأت ظل رأسى من الطوق الزجاجى الذى يواجه رأسى تماما ، وربما لفرط توجسها لم تره . لكنى بقيت هكذا ملتصقا بالباب وكأنه جزء من جسدى ، حتى سمعت صوت الأصابع وهى تتلمس المزلاج وتدفعه بخفة إلى الخلف .

انفتح الباب ، ورأيت نصف الرأس ، والشعر المتدلى على

الكتف ، والعين والحاجب الرفيع المسحوب ، ونصف الأنف ونصف الشفتين . وكان نصف الرأس الذى لاح فى هذه الظلمة الممتزجة بالضوء الخفيف المنبعث من خلفها ، متوتراً والارتعاد كان واضحا على شفتيها المتقلصتين .

هنا ، دفعت الباب برفق لكن بحزم ، فتركته لى ورجعت إلى الوراء ... دخلت وأقفلت الباب ورائى . تقدمت منها فتراجعت بظهرها إلى الخلف وهى تحدق فى وجهى . وكنت أعرف إلى أين يأخذها هذا التراجع ، وكانت هى تعرف أيضا .

كنت أشفق عليها من هذه الدقائق التى تفاجأ فيها بوجودى فى قلب حجرتها . فى البداية اعترفت لى بانها تصاب بصداع فورى عندما أدخل عليها قلت لها إنها عندما تتعودنى لن تشعر بالصداع . لكنى لم أعد أسألها بعد ذلك عن الصداع ، ولم تعد هى بدورها تخبرنى شيئا عن صداعها . تعودت أن تستقبلنى فى صمت ، ولا ترانى حينما أغادرها .

عندما لمست كتفها لأدفعها برفق استلقت على ظهرها مرتعدة الفخذين ..

خرجت وأغلقت بابها فى هدوء ، تركتها مطروحة فاقدة الوعى .

اجتزت الدهليز والحديقة بلا صوت ، سرت بجوار الجدران فى رحلة العودة .. فى الصمت والظلمة الكثيفة .

عند مقلب القمامة رأيت أشباح الكلاب ، صامتة لا تنبح . اقتربت منها . رأيت الحمار الصغير الكثيف الشعر مستلقيا على الأرض ، والكلاب تنهش فى أحشائه المدلاة من بطنه المبقور *

السويس : محمد الراوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

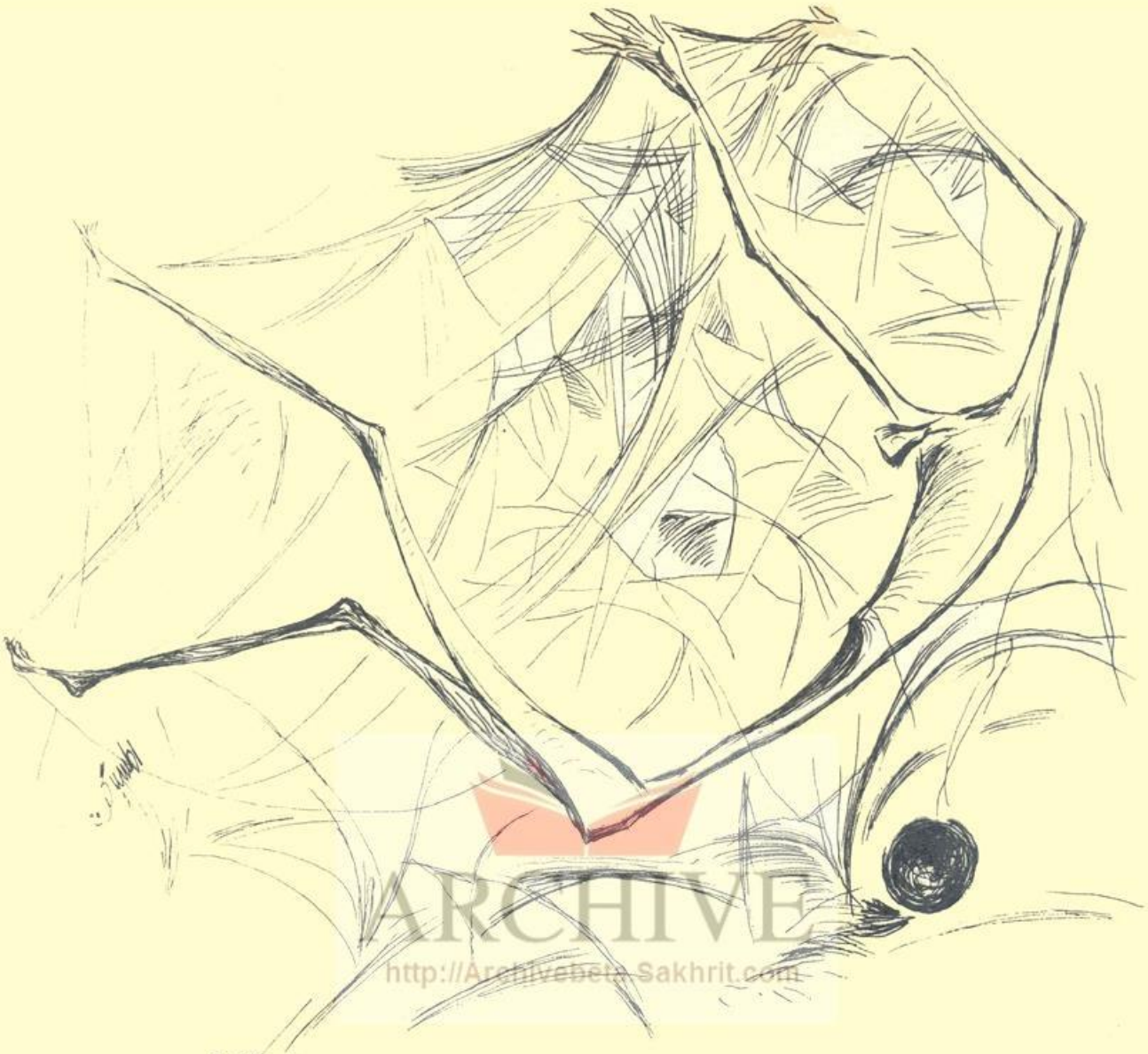

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضـــوء الرمـــادى

محمود عبده

أقْسمَ ، لابد أن يأخذ حقه .. جلس يفكر فيما قاله مأمور القسم : أحضر عربة نقل وأشحن فيها رجال العائلة من بلدك ومعهم (الشـوم) ، وبعضا من الأثـاث واقتحم الشقـة .. سوف أصرف نظر عن أى بلاغ من المـالك حتى تكـون قد تمكنت من « العـين » .. ويصبح الحـال كمـا هـو عليـه .. لا يتعدى هذا مجرد محضر سب أو اعتداء بالضرب .. هذا هو الحل الوحيد لأخذ حقك !

قالت الدكتورة : مع مطلع اليوم ، ستدرس مشكلة تشوه الجنين فى رحم الأم .. والسبب الذى يجعل الشفرة الوراثية تحيد عن مسارها الطبيعى ..

تبعها العالم الجيولوجى بقوله : مع مطلع اليوم ، نشهد مزيداً من الدراسات عن تلوث البحر .. ومقتـل الاسفنج .. الدراسات أثبتت وجود ثروة بترولية كبيرة تحت هذا البحر .. سيؤدى هذا إلى مزيد من التلوث .

أغلق التليفزيون .. واستلقى على الفراش .

.. وبالنسبة لمشروع قانون المرافعات الذى تناقشه ـــ حالياً ـــ الجمعيات العمومية لمحكمة النقض والهيئات القضائية المختلفة أشار الرئيس إلى انه لابد أن نضع فى الاعتبار مزيدا من تعميق إيمان المواطنين بعدالة القضاء والحفاظ على قدسيته وعدم تعويق العدالة وضمان حقوق المتقاضين ، وسد الثغرات ..

ضرب كفاً بكف .. ألقى الجريدة .. أخذ نفساً طويلاً من عقب السيجارة .. أطفأ النور .. لا يدرى سبباً لكونه يستلذ الظلام .. يأخذ نفساً آخر طويلاً .. يزداد الوهج أمام عينيه .. حتى العيال !

عندما قلت لهم : يا أولاد ، مع بداية يوم عام جديد أنصحكم بعدم الشك فى قدوة اتخذ تموها .. فمن السهل أن تشكوا فيها إذا استمعتم للإشاعات .. وشرحت لهم التجربة : (قبض الشخص على القلم .. أوحوا إليه بأن القلم سيسخن .. وطلبوا منه ، عندما يشعر بعدم تحمل سخونة القلم ، أن يلقيه ، عن طريق الإيهام أقنعوه أن القلم يسخن .. يسخن .. يسخن .. وفى لحظة تركيزه الشديد .. رماه من يده !).

قالوا : مالنا بهذا ياأستاذ ؟ . اشرح لنا كلمتين ينفعونا آخر العام ..

الخيط المتسلل عبر النافذة ، يكون بؤرة ضوئية على الحائط ، سرعان ما تذوب فى الظلام .. لايدرى سبباً لتغير التلاميذ .. يلعن أيام الإعارة .. شرب الماء المالح طعم الغربة .. عذاب أربع سنوات لاتكاد تكفى ثمناً للشقة .. وحتى الشقة ستضيع منه .. صاحب العمارة له ظهر متين .. يتباطأ فى البناء .. والآن يساومه أن ينتظر .. أو يأخذ ما دفعه .. وهل ما دفعه من ثمانى سنوات له قيمة اليوم ؟ تطرق مسامعه أصوات يعرف أصحابها .. ويميز صوت خطيبته .. تغيب الملامح الصغيرة فى الظلام .. ينكمش خوفاً من تتبع خاطر يروح ولا يعرف طريق العودة .. يعيد ترتيب أشياء كانت مبعثرة : (خسر حبه الأول ـ بعد التخرج فى الجامعة ـ البحر العجوز ـ تجاوز الخمسة والثلاثين ـ خطب ذات العمر الصغير ـ التلوث ـ ليكون نفسه ـ طلباتها ـ الإعارة ـ طمع والديها ـ البترول ـ الغلاء ـ تشوه الجنين ـ فقد موهبة الاستمتاع باوقات الراحة ـ عناءالدروس الخصوصية ـ القضاء ـ الثغرات ـ هذا هو الحل الوحيد ـ تغير التلاميذ ـ صاحب العمارة له ظهر متين ـ) .... استحالت الأشياء عنده إلى أرقام .. يتنامى الرقم السريع القفز وقبل أن يكتمل يتلاشى ، ليمنح الرقم الأبطأ وحدة تمنحه استمرار حركة الموات .. يزداد النهار اقتراباً بازدياد العدم .. يطرق مسامعه صوت مأمور القسم : هذا هو الحل الوحيد لأخذ حقك ! يحملق فى الخيط الضوئى الذى تسلل عبر النافذة وعاد ثانية ليكون بؤرة ضوئية على الحائط ، ثم تتلاشى .. لكنها كونت هالة حولها ، أخذت تكبر حتى عمت الحجرة برذاذ ضوء رمادى ثقيل .

الجيزة ـــ محمود عبده على حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعليق على ما حدث

● سيد عبد الخالق

أسراب النمل تزحف فى بطء منظم حول إبطيه - وفى استسلام أبدى وصمت أبدى كان راقدا فى أرض حجرته الصغيرة الضيقة - عيناه الغائرتان مستقرتان فى اللاشىء . تتسرب فى حرية بعض الديدان الدقيقة بين خصلات لحيته الطويلة المهملة ، وعبْر فتحتى الأنف الصغير ذراعاه النحيلتان امتدتا بشدة فى اتجاهات متعاكسة تعبث باطرافهما بعض الزواحف الدقيقة وصدره المكشوف المتعرج الملكن .

ما من حركة تصدر عنه بينما تقوست أطراف قدميه عند اصطدامهما بحدود الحائط المقابل ، رائحة كريهة عفنة تسيطر على المكان وما من صوت يشيع حركة أو حياة .. إلاّ بعض العواصف الخفيفة المترية غير الدورية عندما يصطدم هواؤها بجدار باب الحجرة المتآكل . الحجرة خالية تقريبا من الأثاث .. ثمّ فراش قديم مطروح فى أحد جوانبها ، بعض أنابيب الألوان واللقيمات الناشفة والمعلبات الفارغة « بالتّة » بيضاء مبتورة أختلطت فيها الألوان بالتراب بينما تسلقت الرطوبة جدران الحجرة الباهتة فبدت تزحف بطريقة عشوائية فى مواضع متفرقة منها وحتى المنتصف تقريبا .

أعلى قليلا .. وفى صدر الحائط تقريبا .. تتدلى أكبر اللوحات المعلقة .. كانت تصور حذاء ضخما يبتلع معظم مساحة اللوحة المستطيلة . له رقبة طويلة مدججة بالقطع النحاسية .. وأسنان مدببة من أسفل كالحوافر .. تحتها كان هناك شخص ما منكفىء على بطنه .. ومن أحدى الزوايا تنفرج قدماه .. ومن الناحية الأخرى يظهر وجهه المتغضن ويده المرفوعة إلى أعلى فى محاولة للوصول إلى الكف التى تبدو فى أعلى الصورة . ويبدو أن الرسام هنا قد استعان بكل شىء : القلم الأسود والأقلام الملونة والحبر والوان الماء والزيت . وينتهى أسفل اللوحة بتوقيعه باللون الأسود .

فى الخارج أشرقت الشمس وبدا مسموعا صوت عربات تقترب ثم تبتعد فتتلاشى . أصوات متفرقة تتحدث جميعها فى لحظة واحدة . أحدثت ما يشبه اللغو واللغط والجدل العنيف .

صوت رجالى أجش عصبى يندفع :

ـــ الله يخرب بيت الكورة واللى يشجعها ! اتحرق دمى وانا باتفرج على الماتش !

ـــ صوت نسائى غليظ يشكو :

ـــ الرجل ده هيجننى ! . دا صارف كل الماهية على الكتب .. خلى الكتب تبقى تأكلنا عيش !

صوت شبابى متحمس :

ـــ تصور الدولة صارفة اربعة ملايين جنيه على احتفالات التلفزيون بالعيد الفضى والممثلين اللى بيخدوا جوايز بتوع كل سنة ؟

يبدو مسموعا أيضا صوت تصفيق حاد .. ثم يتلاشى تدريجيا مع ابتعاد صوت المذياع . هدأت الأصوات ثانية وخفت وقع الأقدام وصوت العربات ويبدو أن الظلام قد حل بالخارج ، وبدأت تتسرب خيوطه السوداء من أسفل باب الحجرة رويدا رويدا . تلاشت معالمه تماما . لا يكاد يُرى الآن .. ولم يعد هناك ما يدل على وجوده سوى تلك الرائحة الكريهة التى تزداد انتشاراً .. ولا يكاد يشعر بها أحد .

سيد عبد الخالق : القاهرة

سمية

جلال عبد الكريم

(١)

قبل أن أفتح الرسالة عرفت أنها من صديقى القديم . كانت دعوة لزيارته . لم أكن قد رأيته منذ أربعين عاما .

كنت قد قابلته لأول مرة وأنا فى السابعة عشرة عندما جاءنى فى صحبة بعض زملائى . كنت على وشك الالتحاق بمعهد للعلوم العكسرية وكان يدرس اللغات القديمة . قرأ على بعضاً من كلماتها وأطلعنى على ما كان يحمل من مخطوطات .

توطدت صداقتنا فصار يعبر النفق الذى يفصل بين جزئى المدينة : كى يزورنى . كان صموتاً ولكنه حين يتحدث كانت لكلماته قوة كأنه يأتى بالمعانى من أغوارها القصية .

تباعدت لقاءاتنا بسبب سفرى للدراسة لكنه ظل يكتب إلىّ كل أسبوع رغم أننى لم أكن أستطيع الرد . كانت خطاباته الموشاة بالرسوم والخطوط نصوصاً محكمة الصياغة تنقلنى من تفاصيل الحياة إلى معانٍ لا حدود لها ، وكنت أعجز عن مبادلته مثلها .

ضقتُ بالدراسة العسكرية وكان علىّ أن أبدأ من جديد . اخترت الأدب وصرت ألاقى صديقى بانتظام . وحينما حاصرتنى سمية بسواد عينيها أخبرته عنها وصمت . وعندما أحكمت سمية الحصار وبدأت المطاردة واستنفرت أنا كل امكانيات مقاومتى لحبها حتى وصلنا إلى صيغة وسيطة بين الحب والزمالة ، كانت سنوات الدراسة قد انتهت . وكان علىّ أن أشاهد سمية تبكى وتضحك وتغنى احتفالاً بوداعنا فى منتصف الطريق غير عابئة بالسيارات المسرعة . وكان علىّ أيضاً أن أزورها فى المستشفى بعد ثلاثة أشهر من وداعنا وأقول لها . إنه من الممكن أن نستمر معاً اذا كان البديل لذلك هو انتحارها . وعندما استردت سمية لون وجنتيها وأينعت فى الربيع التالى قلت لها إنه من الممكن أن ندرس فكرة الزواج . عانقتنى فى منتصف الطريق غير عابئة بالسيارات المسرعة .

قضيتُ ليلتها أحاول فى الحلم الخروج من جب مظلم دون جدوى . وعندما لاقيتها فى اليوم التالى كانت قد وضعت خطة زواجنا . قالت إننى أفكر كثيراً وأفلسف كل شىء وهذا ما يعقد حياتى ، واقترحت أن ألقى بأفكارى فى كتاب وأنشره ثم أعيش بعد ذلك مثل ملايين الأزواج .

عدت إلى بيتى محملاً بخمس سنوات من المطاردة . وبينما كنت أغتسل فاجأتنى نوبة بكاء انتهت بعد ثلاثة أيام وانتهت سمية تماماً بعدها .

(٢)

لم يكن صديقى قد عرف فتاة أو امرأة فى حياته . كان يقول

إن من يريدها لها شكل محدد فى ذهنه وحتى يلقاها لم يكن ليتعرف إلى أية فتاة . كان صموده وتصميمه يلقيان منى اعجابا وإن أثارا استغرابى الشديد . تحول استغرابى إلى نفور من صرامته التى كانت تشمل كل رؤاه . كان يعكف على نصوصه القديمة ويستخرج منها ابداعات حقيقية مذهله . كان جمالها مكتملاً . جمال يخلو من النقص والألم معاً . جمال يسيطر دون أن يمكن مجاوبته بالمشاعر ولكنه يجرف أو يجبر على الفرار .

زهدت فى مقابلة صديقى وتباعدت لقاءاتنا حتى انقطعت تماماً وإن كنت قد علمت أنه يزور عائلتى أثناء سفرى .

(٣)

وضعت الخطاب فى جيبى وذهبت لزيارته . أدخلتُ عصاى أولاً قبل أن أجلس فى المقعد الخلفى لسيارة الأجرة التى انطلقت بمحاذاة النهر . كان الغروب يبدأ والأنوار لم تظهر بعد والمياه بلون الرماد لكنها ممتلئة بالقوة والحركة . فكرت فى عمق المياه وتذكرت سمية . كان سواد عينيها يشدنى إلى قاع لا قرار له . كانت ممتلئة بالحياة وتفاصيلها النفاذة لدرجة لم أكن أستطيع مجاوبتها . كنت أحب سواد عينيها وأخشاه . كان سواداً قديماً وناصعاً كأنه الأزل والأبد معا كنت أحس دائما أننى يجب أن أؤجل النظر فى عينيها حتى استجمع كل قدرتى أو أفقدها كلية .

كان سائق السيارة يلتفت إلىّ بين الحين والآخر ثم سألنى أخيراً أين يتوجه بى . أذهلنى السؤال لم أكن أعرف الاجابة . لم أكن قد زرت صديقى فى بيته أبداً ولم أكن أعرف أين يسكن .

أخرجت الخطاب من جيبى وكان خالياً من عنوانه وتاريخ الدعوة . كيف لم أنتبه لذلك عندما جاء الخطاب ؟ شلت الدهشة تفكيرى فرجوت السائق أن يتوقف .

(٤)

تذكرت ما كان يقوله صديقى عن النفق الذى يعبره كلما جاء لزيارتى قلت للسائق وكأننى منوم : فلتذهب بى إلى النفق القديم .

مظر إلىّ مستريباً قبل أن يبدأ القيادة . مضى قليلاً فى طريق النهر ثم انحرف فى اتجاه شوارع كانت متسعة فى صباى بدت لى الآن صغيرة وضيقة . كانت الأنوار قد أضيئت عندما توقفت العربة عند مدخل نفق قديم يمر فوقه شريط للقطار .

سألت السائق أن يواصل المسير خلال النفق لكنه اعتذر قائلاً إن أرضية النفق المظلم مليئة بالحفر والمياه كما أنه لا يعرف مداخل الجانب الآخر ومخارجه وإذا ما كان ممهداً .

نزلت من العربة . نظرت إلى المدخل المظلم والجانبين العاليين المنحدرين ـ المشيدين بأحجار كبيرة مربعة سقط عنها الطلاء منذ زمان بعيد .

لقد كان هذا النفق موجوداً طوال عمرى . كيف لم أفكر مرة واحدة ولو أثناء صباى فى عبوره أو تسلقه مثلما كنت أتسلق وأعبر كل شىء ؟

(٥)

كان هناك ضوء شحيح قادمٌ من خلفى حيث الجانب المضىء من المدينة حرصت على السير بمحاذاة الجدار متحسسا أرضية النفق بعصاى ومع ذلك كنت بين خطوة وأخرى أتعثر فى حجر أو حفرة مليئة بالمياه . كانت الأحجار البارزة من الجدار الذى اتخذته دليلاً تشق فى يدى الجروح ، كما انتشرت المياه فى معظم ملابسى بعد أن خلعت حذائى الذى امتلأ بالماء وأعاق سيرى .

كان النفق يبدو بلا انتهاء إلا كلما دققت النظر أمامى فى اتجاه فتحته الأخرى حيث كنت أرى ، كلما توقفت كل بعض ساعة لكى أستريح متكئاً على عصاى مغالباً الشك والمخاوف ، طوابير من المصابيح الصغيرة تتحرك على البعد كأنها النمل المضىء .

(٦)

ظننتُ أننى سأظل متخبطاً فى ظلمة النفق مابقى من عمرى حتى رأيت ضوء الفجر من خلال الفتحة الأخرى . قدرتُ ، حاسباً المسافة بالبصر ، أننى بعد منتصف النفق بكثير . كانت الفتحة الأخرى تبدو وكأنها تؤدى إلى السماء ، وكلما اقتربت منها كنت أرى مزيداً من الأرض ..

قممُ الأشجار أولاً ثم جذوعها ثم مساحات من الأخضر المبقع بالألوان كلها . عندما انتهيت خارج النفق لم تكن هناك شمس ، وكان النور شفيفاً ونفاذاً يمر بين أغصان الأشجار بأوراقها العريضة وجذوعها الجالسة محملاً بدوائر قزحية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلكتُ بين الأشجار ولم يكن هناك صوت غير تكسر غصيناتها الجافة تحت قدميّ الحافيتين .

خرجتُ إلى الخضرة الفسيحة التى كانت تعلوها بقليل سحابات من ضباب رقيق . رأيت على البعد بنايات واطئة كابية اللون ومسيجة بأشجار عارية من الورق . اتخذتُ أحد الماشى الضيقة المتشعبة وسرت فى اتجاهها .

كانت الخضرة تتلاشى كلما اقتربت حتى بدأت أدوس فى تراب ناعم كثيف . كانت هناك مربعات من بيوت قديمة قوية البنيان فمشيت بينها . كان بعضها ذا أسوار حجرية مشققة وحدائق جافة الأشجار وعلى مداخل البيوت كانت هناك قناديل معدنية قديمة معلقة فوق لوحات رخامية عليها أسماء أصحابها .

قرأت اسم صديقى القديم على أحد المداخل فتوقفت أمامه .

(٧)

كانت اللوحة يعلوها كثير من الغبار . وكان المدخل ذا بوابة معدنية صغيرة منخفضة معلقة بمفصلات فى سور له قوائم عريضة لكنه منخفض أيضاً .

كان البيت كبيراً تعلوه أبراج وكانت كل نوافذه مغلقة . دخلت إلى الممشى ونظرت إلى الحديقة التى كانت تغطى أرضها أكوام من أوراق الشجر الجافة . وكانت هناك نافورة رخامية مدرجة إلى أعلى ذات صنابير معدنية صدئة .

فى نهاية الممشى كانت عدة درجات تنتهى إلى باب خشبى داكن وإن كانت بعض حليه المعدنية تلمع قليلاً .

ترددتُ أمام الباب الضخم العريض حين نظرتُ إلى قدمى الحافيتين الموحلتين وثيابى المتهالكة المبتلة ؛ لكننى استجمعت جرأتى وطرقت الباب بمطرقته المعدنية المشكلة على هيئة رأس وحش كاسر طرقاً خفيفاً .

(٨)

مرت ثوان طويلة قبل أن يفتح الباب . استقبلتنى امرأة متسربلة بالأسود من رأسها المنحنى حتى قدميها . سلمت عليها وافسحت لى الطريق . دخلت إلى قاعة تتوسطها مائدة من خشب سميك وحولها مقاعد مرتفعة الظهر ومبطنة بالقطيفة الزيتية الداكنة . كان فى منتصف المائدة شمعدان فضى متشعب الأطراف ينتهى كل طرف بشمعة غير موقدة . وكانت هناك أرائك بجوار الجدران المزدحمة بالجلود والصور والأسلحة والأرفف الخشبية المتراصة عليها قوارير مختلفة الألوان والأحجام وآنية من الفضة . وكانت القاعة تؤدى إلى غرفٍ كثيرة ودرج خشبى صاعد إلى أعلى .

كان المكان معتماً ففتحت المرأة شباكاً يطل على الحديقة لكن ذلك لم يزد الضوء إلا قليلاً . أشارت المرأة لى أن أجلس فاتخذت مقعداً على رأس المائدة يواجه النافذة التى بدا منها طرف النافورة الأعلى . سألتُ المرأة التى قدرت أنها زوجة صديقى القديم أو أخته إن كان لا يزال نائماً فقالت لى أن الناس فى هذا الجانب لا ينامون أبداً . لم أفهم كثيراً ما قصدت لكننى وافقتها على أن سكان المدن هم أكثر كسلا من ساكنى الريف والضواحى . ثم تساءلت مرة أخرى إن كان صديقى موجوداً فطمأنتنى أننى سأراه ثم قالت إنها ستحضر لى شيئاً من ثيابه لأستبدل بها ثيابى المبتلة وصعدت الدرج إلى أعلى .

كان فى لهجتها نوع من الصرامة كأنه الجفاء . وعزوت ذلك إلى معيشتها مع صديقى القديم .

عندما عادت كانت تحمل ثوباً . دفعته إلىّ وغابت ريثما أبدل ملابسى . تعجبتُ قليلاً لأنها لم تدعنى لأفعل ذلك فى إحدى حجرات المنزل الكثيرة .

كان الثوب من قماش أبيض كما كان غير مخيط وبلا أزرار . فعلت ما بوسعى كى أرتديه بطريقة لائقة . مر وقت طويل قبل أن ترحل المرأة مرة أخرى حاملة إناءٍ ممتلئاً بالماء وضعته تحت قدمىّ وأنا جالس على رأس المائدة واقعت هنالك .

كنت أغالب حرجى الشديد . قالت إننى يجب أن أغسل قدمىّ الموحلتين . وضعتُ قدمىّ فى الإناء وانحنيت كى أغسل عنهما الطين لكنها كانت قد بدأت فى عمل ذلك . استسلمت مرغماً ووجهى يحترق خجلاً . قلت لها إننى يمكننى أن أفعل ذلك بنفسى . رفعت رأسها إلىّ وقالت : كيف إذن يمكننى أن أقول لك إننى مازلت أحبك ؟

أزاحت نقاب وجهها بيد مبتلة فامتلأ قلبى رهبة باتساع عينيها الحالكتين كنت أسقط فى هوة عميقة كأنها الأزل أو الأبد أو كلاهما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩)

عندما عادت سمية واتخذت مقعداً فى النهاية الأخرى للمائدة وظهرها للنافذة المفتوحة على الحديقة والنافورة الجافة كانت بلا نقاب . كان شعرها الأسود الكثيف مصففا من على جانبى وجهها إلى الخلف ومشبوكاً وراء عنقها ، وبعض خصلاته ساقطة على جبهتها . وكان الضوء القليل القادم من خلفها يسقط على جوانب رقبتها وكتفيها العاريتين إلا من حمالات فستانها القطيفة الأسود المحبوك عند خصرها وصدرها فبدا جلدها وكأنه يضيء عند جوانب جسمها . كما كان قرطها وعقدها يبرقان فى الأماكن التى يقع عليها الضوء .

اما وجهها وصدرها البادى أكثره من صدرية الفستان المنفرجة الزاوية فكان الظل يغمرهما تماماً . ورغم ذلك كان واضحاً أن سمية لا تزال فى الرابعة والعشرين من عمرها .

جلستُ فى مواجهتها صامتاً . كانت بيننا مسافة طويلة على المائدة يقطعها الشمعدان المنطفىء الشموع . استطعتُ أن اعد سبع عشرة شمعة منطفئة تمنيت لو أن إحداها قد اضيئت .

(١٠)

قالت : أنت لم تكن تريدنى .

قلت : كيف جئت إلى هنا ؟

قالت : لم تكن تريدنى ووجدت نفسى عند صديقك بعد أن شرعت فى قتل نفسى . لماذا تركتنى ؟

قلت : كانت الحياة التى تتفصد منك تصدنى ، وتاريخ عينيك السحيق يثير رهبتى .

قالت : لم تُردْنى .

قلت : ربما كنت اريدك جانبى أو أمامى لكننى لم اكن لامتزج بك . كانت حقيقة حبك لى تشعرنى باختيار الحياة لى ورغبتها فى أن اكون موجوداً بها ومستمراً . لكننى كنت ارغب فى حياة اريدها انا .

قالت : حياة بدونى ؟

قلت : حياة امامك . فى مواجهتك .

قالت : وهل وجدت حياة تريدها أنت ؟ لقد تزوجت سبع عشرة امراة اردنك ولم تردهن .

قلت : كيف عرفت بهن ؟

قالت : اعرفهن جيداً . اين ذهبت فى مواجهتهن كل المقاومة التى شرعتها فى وجهى . لماذا لم تتزوجنى انا من البداية .

قلت : كنت اشعر اننى سأدفن حياً . كنت سأموت مبكراً .

قالت : هل هناك مايسمى بالموت وانت تحيا ؟ كان بإمكانك اختصار رحلتك بدلاً من مناطحة السماء بفلسفتك تريد أن تهزها بعصاك لو كنت قد افلحت فى الصعود إليها لحملت معك ارضك ولو كانت قد هبطت عليك لصارت ارضاً .

قلت : كنت سأستمر فى وخزها بعصاى .

قالت : لماذا استسلمت إذن للذى لم تكن تريد ؟

قلت : لقد استنفدت انت كل مقاومتى بحصارك الممتد خمس سنوات وعندما استطعت الخروج منه اخيراً لم تعد لدىّ قوة .

قالت : أنت لم تكن قوياً ولا ضعيفاً . انت لم تكن موجوداً . الوجود هو أن تقع على اختيار .

قلت : لقد كنت احاول أن اصنع اختياراً بعيداً عما هو مطروح امامى .

قالت : كان عليك إذن أن تصنع امراة لنفسك أو الا تعرف امراة أبداً .

قلت : تذكرينى بصديقى القديم .

رأيته يهبط الدرج الضيق الملتوى . لم أصدق عينى . كان فى نفس عمره حين لاقيته أول مرة وكان على جسمه رداء يماثل الذى ارتدى .

قامت سمية تاركة مقعدها لصديقى على رأس المائدة فى مواجهتى وجلست على مقعد فى منتصف المائدة فى مواجهة الشمعدان بعد أن أضاءت شمعة واحدة .

لاحظت أن فستانها الأسود لم يكن مخيطاً وإنما كان مشبوكا حول خصرها البالغ الدقة بماسة كبيرة على شكل وردة .

حدقتُ فى لهب الشمعة الساكن تماما .

(١١)

جاءنى صوت صديقى القديم من وراء نارها قائلاً : الا تشرب شيئاً ؟ اجبتُ بالايجاب فأومأ إلى سمية التى قامت وذهبت إلى إحدى الغرف . حكيتُ له عن المصاعب التى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاقيتها فى الطريق إلى مسكنه قال إنه اعتمد على ذاكرتى ولم يكتب العنوان ، وإذ لم يكن يغادر بيته ابداً فقد رأى أن أى وقت قد أصل فيه سيكون مناسباً .

وقال إن ذلك النفق هو ما كنّا نسميه ونحن أطفال جسر الميّتين حيث كانت كل الجنازات تمر من تحته فى طريقها من المدينة للمقابر . تذكرتُ الجنازات الليلية والمشيعين يحملون مصابيح الغاز فيبدون على البعد وكأنهم طوابير من النمل المضيء .

جاءت سمية بقارورة وكأس فضى مستطيل ملأته عن آخره فشربته عن آخره .

(١٢)

ملأت سمية الكأس ثانية وعادت إلى مقعدها فى منتصف المائدة .

قلت له إنه كان يجب أن يكتب لى العنوان أو يأتى هو لزيارتى فقال له إنه لم يعد يأتى إلى ذلك الجزء من المدينة منذ زمان بعيد إلا لكى ينجز عملاً .

كان الغضب يصعد فى دمائى . سألته كيف عرف عنوانى فقال إن بعض أقاربى قد زاره . ثم سألنى كيف كنت فحكيت له بعضاً مما صادفنى خلال أربعين عاماً وهو صامت يبدو عليه أنه يعرف كل نهايات قصصى . عندما فرغت لم يعلق بشيء .

تناولت بعضاً من شرابى وكان غضبى من صمته يتزايد لكننى سألته أن يشرب معى فقال إنه صائم .

قلت : لماذا دعوتنى إلى هنا ؟

قال : ألم تكن تريد رؤيتى ؟

قلت : إن طريقته تلك كان بها كثير من التعالى .

قال : أنت أيضاً لا تخلو من التعالى لقد كنت أرسل لك الرسائل ولم تبادلنى اياها .

قلت : كانت رسائلك كلها تتحدث عن عالم آخر يعجز عقلى عن التفكير فيه . هل كنت تريد أن أرد عليك بتفاصيل تبدو نقائص أمام عالمك المكتمل ؟ أم أخر ساجداً لجمال نصوصك ؟

ظل صامتاً فقمت من مقعدى محاولاً السيطرة على نفسى وأنا امضى فى اتجاهه .

(١٣)

قلت له : من أنت أيها الرجل ؟ ولماذا تسكن المقابر ؟ ولماذا يتحتم علىّ أن أقطع الطريق كله إليك ؟ لماذا تتشح بالأبيض الذى لا تشوب بياضه شائبة وتثير فى نفسى الخوف والذنب وتترفع عن نقائصى وملذاتى الصغيرة ؟ لماذا تلوذ بصمتك البارد المكتمل ولا تجيب أسئلتى ؟ هل ما زلت تعتمد على عقلى وذاكرتى ؟

قال وهو لا ينظر إلىّ : أنت لم تفهمنى بعد .

قلت وأنا ادفع كتفه بعصاى : ولماذا لا تشرح لى ؟ من تظن نفسك ؟ إله أم نبى جديد ؟ لماذا لا تشاركنى شرابى وتعاشر النساء ؟ اذكرٌ أنت أم أنثى أم ماذا ؟ وأى نوع من الشياطين أو المجانين أنت ؟

(١٤)

كاد صديقى يسقط من فوق مقعده تحت وخز عصاى فقامت سمية ووقفت بيننا وانتزعت العصا من يدى وطوحت بها بعيداً فصفعتُ وجهها .

اتسعت عيناها ذهولاً فصفعتها مرة أخرى . توالت صفعاتى لها وأنا أنظر فى سواد عينيها الذاهل البعيد حتى صرخت فى وجهى ودفعتنى بعيداً وجرت إلى حيث الدرج الصاعد إلى أعلى .

لحقتُ بها وأمسكت بثوبها فانخلع عنها وصارت عارية . قبضتُ على ذراعها مستمراً فى لطم وجهها وجسدها حيثما طالت كفى صارخاً : ولماذا أنت هنا ؟ ولماذا تبقين شابة دائماً وجميلة دائماً وأنا أشيخ وأهرم ؟

بدأت تبادلنى اللطمات واللكمات فدفعتها فى اتجاه المائدة حاولت أن تجلس فركلت المقعد وهى جالسة على حافتة فسقطت به على الأرض متشبثة بثوبى فانخلع عنى وصرت عارياً أسدد الركلات لبطنها صارخاً فيها : من أنت أيتها المرأة ؟

(١٥)

قامت مترنحة فدفعتها فوق إحدى الأرائك المستطيلة فى

جانب القاعة فسقطت على ظهرها مقاومة تقدمى بالركلات فى وجهى وبطنى حتى خارت قواها وقواى معاً .

مدت يدها إلى وجهها المتورم وبدأت فى النشيج فعدت إلى مقعدى فى مواجهة صديقى القديم . كانت الآلام تنتشر فى كل جسدى والدماء تنزف من بعض الجروح وظننتُ أن صديقى القديم يبكى فى ضوء الشمعة الوحيدة .

(١٦)

أحسست بشفتيها الطريتين تتحركان بنعومة بين شفتىّ . فتحت عينىّ وكان شعرها الكثيف يغطى رأسينا . رفعت رأسها وكانت واقفة بين مقعدى والمائدة وجهها فى مواجهتى .

مدت يديها من فوق كتفى وأمسكت بظهر مقعدى وهبطت على جسمى ممتلئة به .

نظرتُ عبر كتفها وكان لهب الشمعة الوحيدة ساكناً . كان صديقى وراءه جالساً القرفصاء على المقعد فى نهاية المائدة محيطاً ساقيه بذراعيه ورأسه ساقط بين ركبتيه من خلفه كانت النافذة لا تزال مفتوحة على قمة النافورة الجافة صعدت سمية فنظرتُ فى وجهها .

تهدلت جفونها وملامح وجهها وهى تهبط على جسمى مرة أخرى . رأيتها زوجتى الأولى ثم توالت الوجوه هابطة فى وهج الشمعة . أمسكت بأعلى ذراعيها ففتحت جفونها قليلاً .

قلت لها آمراً : قولى إنك عاهرة .

كانت الشمعة قد ذابت تماماً وبدأ الماء يندفق من النافورة خارج النافذة .

همست بالكلمة بطيئاً كأنها تتذوقها ثم أخذت ترددها فى نشوة حتى تهدج صوتها وأتت صرختها كنصلٍ فضىٍ يشق ظلام الفضاء .

(١٧)

كانت صرختها لا تزال تدوى فى رأسى حين فتحت عينى وحدقت فى سقف الغرفة المزخرف .

كنت ممداً على المائدة المستطيلة فى منتصف القاعة والثوب الأبيض ملتفّ بإحكام حول جسمى .

كان الماء لا يزال يندفق من النافورة خارج النافذة .

تساءلت عن مصير الشموع التى كانت على المائدة .

نقلت بصرى فى القاعة وكان هناك حشد من نساء متسربلات بالسواد ينهنهن فى خفوت .

استطعت أن أعد سبع عشرة امرأة .

بحثت عن سمية بينهن ولم أجدها .

بذلتُ كل قوتى وهبطت . من فوق المائدة ومشيتُ حتى وصلت إلى الباب الكبير المؤدى إلى حديقة البيت القديم .

القاهرة : جلال عبد الكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تـــرزاكـــى

ســـيد الوكـــيل

عندما قـال لى إنه أيضـا طبيب ، جاءنى صـوته غـائرا ممطوطا كالآتى من عالم آخر ، كان لا يزال محدقا فى الحجر والجمرات الملتاعة عليه ، تلك التى يقلبها بمحاشة نحاسية صفراء مشرشرة من الأمام ومشغولة على رسم امراة عارية من الخلف ، وكان يمص انفاس المعسّل فيتوهج الفحم ويفح ضوءا يصبغ وجهـه بحمرة النـار . والمعسّل المحـروق كان يصنـع مع رائحـة العطن افتى شممتها منـذ دخولى البيت مزيجا يعطى المكان خصوصية تتناسب مع النقوش التى فى السقف وفوق الجدران والبلاط الملون الـذى تحت السجادة المهترئة المبسوطة حتى الباب المشغول بمنمنمات تتناغم مع تعشيقات زجاج النافذة الملون .

كنت تواقا لرؤية الشقة الشاغرة فتركت عينّى تمسحـان المكان ، وراح أنفى يلتقط الرائحة التى تتجدد كلما تململت أو تحركت على حرف السرير عطن فرش مخـزون وعرق قـديم و(كمكمة) تتركز فى هذا السرير المدقوق بأويما تمثل طفلين من الملائكة المجنحة بينهما قلب يخترقه نصل نبل .

ـــ انا أيضا طبيب ..

كررها ، وربما أدهشتنى المفاجـأة فقلت .. هل تهـزل ؟ رمانى بنظرة ملتهبة من خلال الدخان المتكاثف أمام وجهـه فلاحظت دموعا تلمع فيها انعكاسات الضوء الخافت المنساب من النافذة حيث يتشكل الدخان والألوان والأصوات القادمة من ورش المناصرة مع قرقرة الماء فى دورق الشيشة المدندشة كعروس .

ـــ أنا فعلا زميل الكلية الملكيـة .. لا تندهش .. سـأوقد المصباح لتفهمنى جيدا .

فى ضوء مصباح الكيروسين رأيت ملامح تحكى عن وسامة قديمة تنسجم مع تراكيب المكان كأنها قطعة منه ، ورأيت عمق الشـروخ فى الجدران واهتـراء الطلاء ، فبـاخ عـزمى عـلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استئجار المكان برغم الاغراء المعلق على ورقة الكرتون بالخارج .. بدون مقدم أو خلو .

كان المكان متصدعا من الداخل قاب قوسين من التداعى ، وهو من وجهة النظر الأخرى أصلح مكان لطبيب ناشىء يبحث عن بيئة موبوءة تصلح لكل الأمراض التى تحملها كائنات الحارة ذات الوجوه الممصوصة والعيون الذابلة التى قابلتها وأنا إبحث عن العنوان ، فقلت لنفسى وقتها ، تلك هى المدرسة التى احتاجها !

تأملت هيئته المنسحقة وهو غارق فى سرواله الكاكى المهرول وقميصه الذى بلا لون وجسمه الناحل والشعر الهائش فى كل وجهه ، وهو واقف يقلب فى محتويات رف كبير مؤطر بالصدف والعاج الذى تساقط بعضه .

أرانى صورا لأفراد عائلته ، وصورة لحفل التخرج وهو متدثر فى عباءة سوداء وقبعة من نوع أكاديمى ، وتوقف طويلا عند صورة امرأة ذات شعر أشقر مجعد وملامح رهيفة كحد الموسى فرأيت ارتعاش يديه بوضوح ، كذلك الذى لاحظته عندما قدم لى كوب الشاى فاصطك فى الطبق الصينى الصغير المرسوم عليه تاج ذهبى وهلال بثلاث نجوم .

عاد لمكانه فوق الحاشية المهلهلة التى على الأرض ، وقرفص أمام الشيشة وعب من زجاجة السبرتو ذات العنق الضيق والبطن الواسع حتى تناثر وتسرب إلى شعر ذقنه ، وسال على قميصه وفاحت رائحته كما حدث عندما أشعل الموقد ووضع الكنكة النحاسية فوق اللهب الأزرق الصافى .

قلت له إننى جئت لأعاين الشقة الشاغرة ، وإن الصالة واسعة تتسّع لعدد كبير من المقاعد ، لكنها بلا نور ولا ماء ، فقال ..

ـــ نشرب الشاى أولا .. وتأخذ لك نفسين .

ومد مبسم الشيشة ناحيتى فرددته إليه بكفى ، فالتقمه بين شفتين زرقاوين وراح يمص ويسعل حتى انقطعت أنفاسه فخفت أن تطلع روحه .

رأيت الدموع تطفق من بين جفونه المتقرحة ، وتسيل على جلد وجهه المدبوغ ، وتذوب فى افرازات أنفه ، فيمسح بكم القميص ويبتسم ، ويحكى عن الفتاة الانجليزية التى التقطها من حوارى أكسفورد وتزوجها ، وجاء بها مصر لكنها (بنت الكلب لم تعرف لنهمها حدودا ، نامت للخدم والسريحة . وحاولت إشباعها لحد الهلاك ... فشلت .. فقتلتها بيدى هاتين ، ... فى هذه الحجرة من أربعين سنة .. وابنتى عصمت هنا .. تصرخ على هذا السرير ، الذى لم يغيره الزمن .. كانت آخر مرة رأيت فيها وجهها) .

شعرت برجفة تسرى فى دمى ، وأحسست بتيار بارد يهب من تحت السرير ، ويمس ساقى ، فضممتهما ، وتنبهت لنبرة الحزن التى علت فى صوته الذى تهدج واختنق ، وحاولت كتم صوت اصطكاك كوب الهاى فى الطبق الذى فى يدى فوضعته على منضدة ذات قرص رخامى مستدير مكتظ بكتب ومجلات قديمة وفازة مكوّرة بلا زهور .

قال

ـــ خد لك نفسين .. الشيشة دى ملوكى ، ورثناها عن جدنا الأول ترزاكى ... بص للشغل والزخرفة ! .

ولما كنت فى حالة لاتسمح لى بالكلام عن الفنون والجماليات فقد وضعت المبسم بين شفتى فابتسم ، وبانت أسنانه مثرمة سوداء ، وسعلت من أول نفس ، لكنه قال ...

ـــ ظننتك من مهندسى المحافظة .. يريدون تطفيشى وهدم هذا المعمار الجميل ... لكنى لن أتخلى عن آخر دليل على عظمة عائلة ترزاكى .

ولما صارحته بأن البيت آيل للسقوط تجهم وتشكلت ملامحه بغيظ كظيم .

ـــ انت تقول مثلهم ... سكنوه عندما كان أجمل بيت فى باب الخلق ... وتخلوا عنه الآن ... وراحو يتكلمون عن عفريت ماتيلدا .

استرجعت صورة المدخل الواسع ، والماء الراشح على حجارة الأرضية المتآكلة والدرج المعتم ، وصوتى الذى كان يضيع فى نسيج الظلام والصمت وأنا أناديه ، ورائحة العطن التى تروج فى الدرج الرازح تحت اكداس القمامة وعلب الصفيح وزجاجات أحس بها تحت قدمى تتكسر وأنا اتحسس خطواتى وأتلمس الدرابزين الحديدى البارد الصدىء ، وأحدق فى عمق بئر السلم فيبخ وجهى بتيار بارد ومزيد من العطن .

كل هذا ولم ألحظ أن البيت بلا سكان غيره ؟

وكيف لى أن أعرف وكانت كثافة الظلمة تتفاقم كلما صعدت درجة ، حتى عندما سمعت صوت الباب ينفتح ، واشتعال عود الكبريت الذى انظفأ بمجرد أن مده فى بئر السلم ؟ .

كنت مشغولا بالتفكير فى الشقة ، ومشروع العيادة الذى يوجه مستقبلى ، وابحاثى التى أفتش عنها فى بطون أطفال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحوارى . لكننى حين رأيت وجهه المحفور فى ظلال ضوء الثقاب المرتعش ، وشعره الأبيض المغسول باحمرار النار ، أحسست كأن قلبى يحاول الهروب من أسر ضلوعى ، ويخلف المستقبل .. والعيادة والأبحاث على قمامة السلم ... وانقدت خلفه .. وتجاوزت معه الصالة الواسعة الخالية من الأثاث ، وارتحت لضوء النهار الناشع فى فراغ النافذة المكسورة التى تطل على مسقط ضيق ، وتجاوزت معه الطرقة المخنوقة بأبواب مغلقة على الجانبين حتى انتهى بى إلى هذه الحجرة ، وأجلسنى على هذا السرير ، وراح يحكى لى عن ماضيه الذى تجرأ عليه الزمان ، ويحدثنى عن جريمة قتل وشبح المرأة العارية الذى يظهر كل ليلة خميس يصرخ صرخات شبقية تسمعها كل الجيران .. مالى أنا وكل هذا ؟ . لازلت أسعل من شيشته الملوكى وهذا الوجه الخرب يسخر منى !

قلت محاولاً التخلص من الموقف : لكن .. شقة بلا ماء ولا نور ؟

قال ؟

ـ اسمع ... لن آخذ منك ايجارا ايضا .. تكفينى صحبتك ... وسوف أمنحك خبرتى كطبيب .

داريت ابتسامتى الساخرة وقلت : لعلك تحتاج الايجار . راح الجمر الذى على الحجر يطقطق ويميز لما سحب النفس العميق ..... قال

ـ الأرض التى عليها البيت تساوى ملايين ! لكن ماذا افعل بها ؟ أمنحها لمن يعيد إلىّ ابنتى التى لا اعرف أين هى الآن .

ووجدتنى أقول ! كيف ؟

ورحت اسمعه وهو يحكى لى عن الأسرة التى هاجرت إلى الخارج بعد الثورة ، واخذت معها ابنته ، وحكى كيف خاف أهله من الاتصال به فى السجن لئلا تعرف لجان الحراسة اماكنهم فتطاردهم فى الخارج كما فعلوا مع البرنس نبيل الباز .

امتدت يده إلى زجاجة السبرتو ، وذهبت بتلقائية إلى فمه ، وفاحت رائحته ، وسقطت دموع ، كانت هذه المرة بلا سعال أو دخان ، تنحدر فيدس وجهه بين ركبتيه ، وطالت فترة صمت ، قطعها بنشيج عال ،

وبصق فى اتجاه الطرقة المفضية إلى الصالة وقال : لامؤاخذة .. ومد مبسم الشيشة فوضعته بين شفتى ووجدتنى أتزحزح على حرف السرير حتى صرت على الأرض معه وسمعته يقول : الحراسة رفعت عن البيت بعد خروجى من السجن .. لكنه كما تراه ... وفكرت ... كيف أستفيد من هذا الخراب ؟ .

خمساً وعشرين سنة أرقب الثعابين والعقارب فى المحجر ، وعرفت كل أنواعها وألوانها ، وحيلها فى التخفى مسجون من أبى رواش علمنى طريقة لصيدها ، وأماكن بيعها .. عملائى كلهم علماء وطلبة علم .. مهنة نادرة تكفينى لآكل واسكر .

كلامه عن المهنة لم يدهشنى ، كنت أعلم بها ، لكنه ذكرنى بسعد البطل الذى كان يبيع لناحيوانات التجارب فى الكلية كنا نخشى مصافحته أو التحدث إليه عن قرب . من جراء مهنته أشيع عن مرضه بالطاعون ، جزعت نفسى وانتابنى خوف وفكرت فى مصدر العطن من حولى ، والمبسم الذى وضعته فى فمى ، وندمت على التورط فى العلاقات السريعة ، وكان هو مستمرا فى كلامه ...

احيانا ادعى لاستخراج ثعبان من أحد البيوت القديمة . الناس يدفعون أى ثمن ليتخلصوا من خوفهم .. اسمونى الرفاعى .. اسمى الحقيقى ترزاكى .. لكنها ليست مجرد مهنة ، بلا فخر أنا صاحب مزرعة ثرية .. اذ كيف تستفيد من هذا الخراب ؟

قلت مذعورا .. هنا ؟

ـ نعم .. سأطلعك على نتائج أبحاثى عن (الطريشة) .

وأم أربعة وأربعين .. هل تعرف الطريشة ؟

دخل برأسه تحت السرير ، وسحب من خلفى صندوقا صغيرا من الكرتون ، كشف الغطاء وهو يقول « ذى مجموعة من الثعبان الأحمر النادر » فانتفضت لتوى وتراجعت إلى أول الحجرة ، لكنه قال بلهجة جادة .

ـ ـ أغلى أنواع السموم ... يسمونه ثعبان كليوباترا .. كنت قد انتهيت إلى الطرقة المظلمة ذات الابواب المغلقة تجاوزتها للصالة الواسعة ، ورحت أقفز الدرج المتآكل دون لمس الدرابزين والزجاجات تتكسر تحتى حتى رأيت نور الشارع ... سمعت صوته يذوب فى عمق بئر السلم .

ـ نحن لم نتحدث عن العيادة !

القاهرة : سيد الوكيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصتان

محمد حسان

بيت الجنيَّة

فردت يدى بجانبى لأقصى مدى حتى أحافظ على توازنى ، كنت أحاول تقليده ، كان يسبقنى لمسافات طويلة ويعود ثانية ليدلنى على الاتزان الصحيح : تزحلقت بعد ما فشلت فى الحفاظ على توازنى ، كنا حافيين لم أدرك سبب التصاق قدميه العاريتين بقضيب القطار الساخن الناعم وكيف يحافظ على اتزانه فوقه .

(قالت فى أول خميس له : كان ابن موت ، لا يهاب أحداً يعرف ماذا يريد ، ويفعله) جمعت مسامير وصامولة وقطعة حديد قال لى انها مغناطيس ، وإنها لو كانت تحت ورقة تقدر أن ترقص بها الحديد ، طلبت منه التوقف لنبحث عن نقود ساقطة من جيوب المسافرين بين الزلط الساخن . قال لى إن الجنّية تخرج من الترعة ساعة القيلولة تجمع القروش والأشياء المفيدة الساقطة من القطار كله .

(قالت : كان مكشوفاً عنه الحجاب ، صدقينى إنه صرخ ساعة دخل بيت أختى أول مرة ، اللهم احفظنا ، كان بيتها مسكونا) .

قذف الزلط بطول ذراعه وقال إن الجنّية تسكن فى نهاية القضبان ، أشار لخيوط بيضاء متداخلة مع نهاية البصر ، قال إنه صديقها ونزل معها الترعة مرة وانكسف عندما شاهدها عارية تحت الماء وانه وعدها ان يأتى هو واعز أصدقائه ليسلما عليها ، سقطت من فوق القضيب ، ابتعد للخلف وهو يشير ... (أنت خائف) واستغرق فى الضحك .

صَرخت كثيرا ، مات صوتها ، بدأت تشد الطرحة بكلتا يديها من خلف قفاها ، افتحت فمها ولم تنطق) .

يئس منى وجرى فوق القضيب تجاه بيت الجنّية ، تابعته بضع خطوات ونظرت لبيت الجنية كان أبيض ليس لون اللبن ولا القماش ... كان بياض الماء ، تزلزلت الأرض تحتى ، سقطت من فوق القضيب ، علا صوت الصراخ والضجيج نظرت خلفى ، قمت ، طرت ، كان فم القطار مفتوحا باتساعه .

الناعم المختلَس

البرد يبدأ من داخل القلب ، يخلخله وينتشر فيه ، فيصيبه برعدة تهز الرأس ويقف لها الشعر ، ويزيغ البصر ، وتَدَفُّق آخر زفرة ساخنة من الجسد .

ويضطرب الموقف من الأضداد فيهين كل الخارج وتضعف النتائج ، فأركن رأسى على اللوح الأسمنتى المحفور من سنوات لشهداء سكنوا المكان ورحلوا جسوما ومعهم كل أشيائهم القليلة الا اسماءهم تركوها مسطورة لا تكاد تبين من الظلام الكاسح الذى يزحف من كل الخارج والداخل .

والنوم المطارد يسكن قليلا ويناوش كثيرا فيصيب العينين بإغماضة والرأس بسقطة وتبقى اليد قابضة على عهدتها الساخنة البادرة حسب الجو .

وأراهم يجرون ويجلسون ويقهقهون يسقط غطاء رأس أحدهم فتتقاذفه الأيدى والأرجل ويعودون للجرى .

وأراهم متهللين كلهم يطوفون حول المكان يضحكون ويشيرون بأيديهم ويتحللون فى مجموعات النجوم الكثيرة . فأستسلم للمطارد وأفيق منه على نقرات بسيطة وهمهمات أسيانه أطرد بها النوم وأطاردها ، أستبينها ، أجدها :

آه ، آه ياحلوه ياحلواه
ياحلوه فكى وفرجينى أنا المجذوب
دانا شعرك لمسنى والقلب قايد نار

فأتلامس والدفء

وإذا يغيب الصوت عنى ويبدأ البرد فى الزحف من جديد وتنقشع بقايا الدفء فأسقط وأقوم وأتسمع وأسقط وأتسمع ... وتأتينى شعلة صوته تدبدب فىّ فأتلمس آهاتها تطول وتطول فيرتفع الصوت مخترقا الحلكة :

والقلب قايد نار ....

ويخترق الجو صوت خبطات وآهات مكتومة وخطوط ضوء تطعن الليل والتأوه والصوت والدفء . فتجّمد البرد وتثلجه وتحيل كلّ الناعم المختلس إلى ضده وتتراجع بصدر مفرود ويد قابضة وقلب داكن .

وتبقى خطوط طاعنه تضرب كعبها فى الأرض تود لو تميد من تحتها وتبلغ بها طول الجبال وتترك صوتا رقيبا يزرع حوافر لسانه البارد فى اضطرابات قلوب تلامست ودفء الأغنية فيمنع منها الأغنية إلا التأوه .

الخطو إيقاعه يتكسر ، دفع الجفول يشرّد الخطو ، والرأس الذى يفكر أمراً يحرك الكل المتفرق باتجاه الواحدة .

وانهزامات الضوء تتوالى حتى الدخول فى حد العتمة .

يتأكد فى العتمة الفصل ما بين تجلى القاهرة / المجرية ، وتجلى الحبو .

ـــ هنا تكونين ، تجليك فى عتمة ضوئك . وفيك تحقق مجالات الكهرباء . أقف مسنودا على قائمين من صحو مشدود .

أتركها تغزو ، أرخى تفاصيلى منصاعةً لبهاء المتجلية فى العتمة .

ميت عقبة : محمد حسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

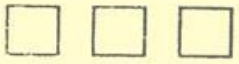

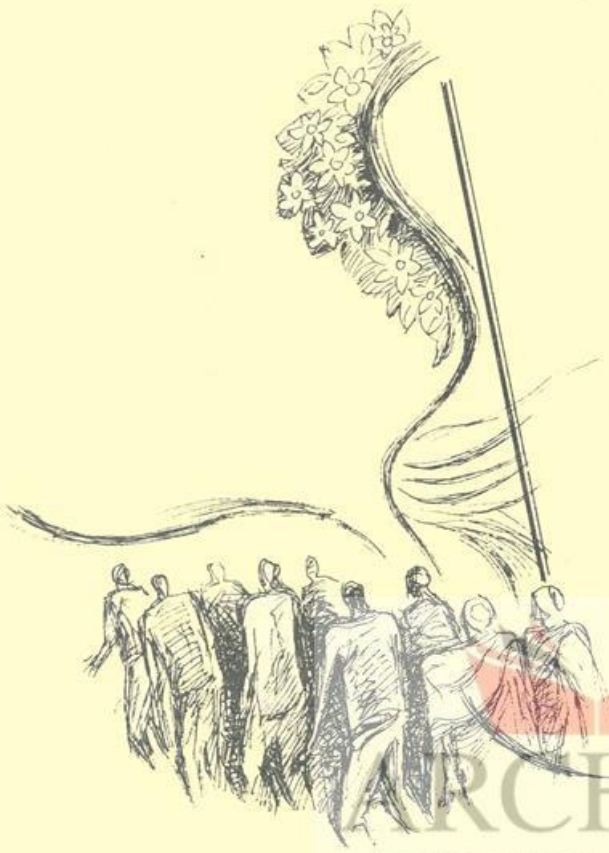

مشـــــوار

ربيـــع الصبـــروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● حين خرجنا من الجامع الكبير ، لم أكن أعرف .. شرنا جماعة كبيرة نتزاحم حريصين على عدم الكلام ، وبعد خطوات صرخت امرأة صرخة مكتومة ، واشتد الحر ، وأحسست باختناق مفاجىء فالتفتُ أسأل الصامت بجانبى ، ثم من يسير أمامى ووراءى .. يقولون إنها ماتت ، وأنها هنا داخل هذا الصندوق المحمول .

● كانت تعرفنى ، وكنت أعرفها من « أولى ابتدائى » ، وفى الإعدادية سمعنا أنها تزوجت مُدَللاً لأحد الميسورين ، ولم نرها أبدا . كنا نمر أمام البيت أثناء الأجازات نحدق فى الشبابيك المحكمة والباب السميك مثل حائط ، وبعد خطوات يُقسم أحدنا أنه رأى خيالاً خلف الشيش . مرة واحدة هى التى مررنا ساعة القيلولة ، وأمعنا فى الشبابيك فلم نلمح خلفها سوى ظلام وصمت ، سمعنا خلاله خربشة فى الخشب مثل أظافر قطة واهنة تخمش ما يصادفها ، وقيل انها خرجت مرة .. كانت تضع طفلها الرابع ولم تنجح محاولات النساء حولها فحملوها إلى المستشفى ، ودالت الإشاعة إنها فاهت مرة لزوجها عن أملها فى رؤية مصر ، ويقولون إنها لم تكرر هذا المطلب ولا غيره أبدا ، ولا حتى عند سماعها رنين التليفون لأول مرة فى المنزل المجاور عند الدكتور درويش .

● كانت فى الفصل شقية جدا ، وكان مدرس الحساب بعد أن يفرغ من ضربها ، يهمس لزميله وهما أمام الباب : دمها خفيف بنت العفاريت ! ويرد مدرس العربى الكهل بأنها ليست بنت حياة .. ونفس الشقاوة كانت فى عينيها يوم الفرح ، حتى خرجت وساروا بها من دار لدار فى مشوار طوله مائة خطوة تاهت عن عيوننا ، وأخذنا نشب على أطراف الأصابع ، نتطلع عند منتصف اللمة ، ولكنها لا تبين .. لم تكن هناك ، وظللنا نكرر المحاولة حتى وصلنا إلى الدار ، واندفعت مجموعة صغيرة من الباب ، ثم أغلقه رجل طويل حليق الذقن ، يرتدى جلابية جديدة وغالية ، يشبه هذا الرجل هناك فى مقدمة الموكب .

● كانت تعرفنى وكنت أعرفها !.. انسلخ صوت ينادى : وحدوه .. (هل حقاً ماتت اليوم ؟! وهل هى هنا .. فى هذا الصندوق ؟) وسرتْ همهمات واتسعت الخطى ، وأخذ التراب يعلو ، والتدافع يزداد .

القاهرة ربيع الصبروت

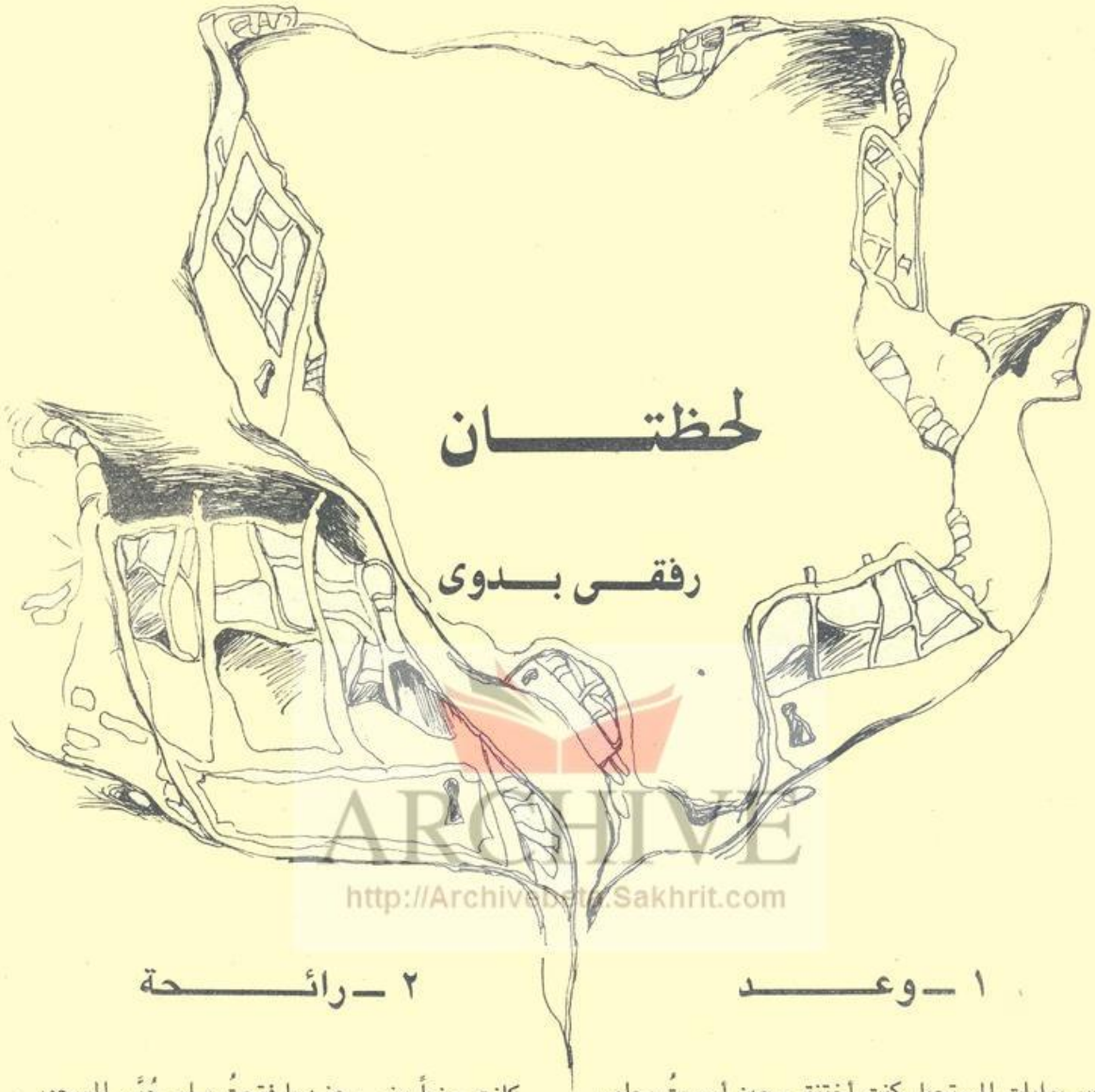

لحظتـــــان

رفقـــى بـــدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ وعـــــد

عبر بوابات المستحيل كنت أختنق ، حين أسررتُ بحلمى وأفضت انكسـرت ، كنتِ خلف سياجى ، كسـرتُ أسوارى وانتظرت ، هذه المرة ستكون الأخيرة ، لقد انسربت فى دمى عبر أوردتى ، ما عدت أستطيع فصدها إلا عندما أسبح فى بركة دمى .

غرستها فى قلبى شجرة للفرح الغائب عنّى دوما ، علّهـا تطرح ثماراً للفرح اللانهائى .

تُـورق جسدى بقطـوفها الـدانية ، عبـر تماس مسـامى بمسامها ، انفجر كونى برعشة السرور البهيج ، وانفتح ثغرها عن ابتسـامة لا تنتهى ، فتحـرسنى عينـاهـا ، أبيتُ بـين هدبيها ، فتستبيـح عناصـرى عنصراً عنصـرا ، وتذوب فى عناصرها ، فتتشكل عناصربا دما وعظاما ولحما ، ووردة نمت من توقنا وفرح جسدينا ، فأسميناه وعدا .

٢ ــ رائـــــحة

كانت جزءاً منى ، عنـدما فتحتُ بـاب جُبَّى المسحور .. وشاهدت كل مرايا حياتى ، انبهرتْ .. فمدت يـدها لتنـزع مفتـاح الجب المعلق وعلامـة الحياة فى رقبتى ، كـانت يدى أسـرع من يـدهـا ، فـدفعتهـا لتسقط فى جبى المسحـور ، وبصقت ، ثم أغلقت الباب .

كلمـا فتحتُ الـرتـاج ودخلت الجب ، كـانت تخنقنـى رائحتها .

القاهرة : رفقى بدوى

فض اشتباك

مرفت صادق عرفات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتسلل الخوف إلى أعماق أعماقه ، وترتجف يداه وهو يمسك بزجاجة الدواء القاتل ، تخيل تلك الجحافل المتوحشة . وهى تهاجمه ، وتنقض عليه كفريسة سهلة .

هكذا صور له خياله الجامح دائماً كفرس شاردبا هو يعلم علم اليقين أن مستعمرات النمل فى بيته لم تكن من ذلك النوع المتوحش ، لكنه من النوع الذى يحاصره ويتلصص عليه حتى أصبح يراه دائماً كأنما يشاركه أحلامه .

ألم يكن يكفى ما هو فيه من متاعب ؟! متاعب فى العمل مع رؤسائه ، ومشاكل حول الميراث مع أقاربه ، وأخيراً أهم مشكلة فى حياته وحبه سوسن خطيبته ، وأمها التى لا تكف عن مطالبته بما يجعل الجمل سلطان الصبر والصابرين يلوكها تحت فكيه من شدة الغيظ أكان فى حاجة إلى مشكلة النمل هذه ؟ حتى ظن أن ذلك النمل ليس نملاً عادياً ، ولكنه نمل تجسس دسّه بعض أقاربه ، أو لعله متآمر عليه مع أم خطيبته !

عاد ليطمئن نفسه ، فتذكر حديث الأستاذ بيومى بأن هذا الدواء قاتل ، سيقضى على النمل فى لحظات ....

تنهد فريد محدثاً نفسه ، ليته يقضى على مضايقات رؤسائى وعلى جشع أقاربى ! كاد فى غمرة أفكاره يتأخر عن عمله ، ألقى نظرة خاطفة على جيوش النمل التى لم يفلح فى إبادتها أى مبيد استخدمه .

أغلق فريد الباب وهو يدعو الله أن تحل بركة دواء الأستاذ بيومى وتقضى على هؤلاء الذين شاركوه حياته .

وصل متأخراً إلى عمله ، دخل على رئيسه وابتسامة يائسة تعلو وجهه ، لأنه يعلم حوار كل صباح ــ لكنه قرر هذا الصباح أن يكون من ذلك النوع المنافق المرائى ...

نعم ألم يكفه صدق خمس سنوات فى عمله ومحافظته على سير العمل ، وفى نهاية الأمر يصبح عند رئيسه مشاغباً مثيراً للمشاكل وموضع سخرية من زملائه الذين يعلم الله وحده كيف يسيرون أعمالهم .

تنحنح فريد وألقى تحية الصباح .. لم يرد رئيسه بل نظر اليه شذراً وكأن الذى ظهر أمامه شيطان رجيم . لم يحفل فريد وبادره بسيل من الدعابات الساذجة والمدح المفتعل ، الذى لا يجيد قواعد اللعبة فيه .

فى النهاية خرج من عند رئيسه ، ولم يوافق بالطبع على استئذان نصف يوم ليذهب إلى المحكمة ، لينظر حكم قضية الميراث ضد أقاربه أحس فريد أن عمره قد زاد سنوات وسنوات ، وكأن قلبه أصبح كهلاً .

إلى متى سيظل مقيداً ومكبلاً ؟ حان الوقت ليفك قيده بيديه ! ترك العمل مسرعاً بدون اى إذن ، قدر أن يواجه أهم قضية فى حياته ، قدر أن يتصالح مع الحياة وأن يجعل له فيها مكاناً . فليتصالح مع أقاربه ، وليُنه صراعه معهم ، وليكن البادىء دخل المحكمة ، وبعد مشقة وجد عمه وبقية الوفد من أهله ، ذهب ليصافحهم أعرضوا جميعاً عنه ، ابتسم لهم كشّروا عن أنيابهم فى وجهه ، حدثهم عن الصلح وأن يعم الخير على الجميع ....

رد أحدهم : هيهات ! عقب آخر : سنرى من يضحك آخراً ، عقب ثالث : نحن وراءك بالمرصاد !

هنا تذكر فريد مستعمرات النمل وأحس أن فكرته صادقة فهم أعوان أقاربه .

خرج من المحكمة ليلحق موعده مع سوسن ذهب ليأخذها من عملها ، وجدها لم تأت ، وتركت له رسالة مع زميلتها ، فض فريد الرسالة وهو حذر قلق فربما تكون خدعة من أمها ، وتكون بداخلها قنبلة موقوتة ! وعندما فتحها وجد ما يشبه الصاعقة وجد خاتم الخطبة وسطرين بيد مرتعشة ! فريد أعتذر لك فطريقنا لم يكن واحداً ، وجدت طريقى مع غيرك ...

مشى فريد وهو يجر قدميه جراً ، تثاقلت خطواته ، أحس بأنه فشل فى كل شىء وربما مع نفسه أيضاً . تذكر فجأة شيئاً : النمل ! لماذا اعتبره عدواً ، وهو لم يؤذه ابداً لماذا أصر على قتله ؟ وهو أنسه الوحيد فى الحياة ورفيقه فى وحشته ، فليأخذه فى صفه بدل أن ينضمّ إلى أقاربه ضده ، حان الوقت ليسكب أحداً ، ويرفع الراية البيضاء معه بدلاً من أن يخسر الجميع .

عاد إلى منزله ، فتح الباب بحذر ، أخرج منديله الأبيض مستسلماً قائلاً : جئتكم أصدقائى صديقاً وفياً .... لكن السكون مخيم على المكان ، ارتبك فريد : أين أنتم هل قتلكم الدواء ؟ يالسوء طالعى ! فشلت مع كل إنسان حتى مع النمل ! لمن تتركونى ... إنى فى حاجة إليكم ...

غط فريد فى نوم عميق بعد يوم شاق خسر فيه كما يعتقد كل شىء .

فى الصباح أحس بشىء يوقظه برقة وخفة ، استيقظ والبشر يعلو وجهه : لقد عدتم ! نعم عدتم ! صرخ بأعلى صوته : أعزائى حان الوقت لرفع الراية البيضاء ، وفض الاشتباك بينى وبينكم ، فلنكن أصدقاء دائماً ، وسأدبر معكم خطة جديدة .... ليس للتخلص منكم ، ولكن للتخلص من رئيسى المقزز ، وأقاربى الثعابين ، وأنتقم لقلبى الجريح . وكان فريد لاينسى كل صباح أن يترك قطع السكر متناثرة فى كل ركن فى بيته ، فهذا شرط من شروط فض الاشتباك .

مرفت صادق عرفات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناقوس

• ليلى الشربينى

ـ سوف أكتب للجرائد !

ـ نعم يجب أن تكتب

إن الذى حدث إهانة لنا وللبشلاية

ـ إنه أيضا إهانة للمهنة .

تطلع الولدان إلى أبيهما .... لا يدريان إن كانت نظرتهما تحمل الإعجاب بهذا الأب غير المسالم .. أم هى تأكيد ما تحمله لهجته من إصرار على رد الصفعة .

إنها تكاد تكون أول مرة تتفق فيها والدتهما تمام الاتفاق مع هذا الأب الذى نعت بكل الوان السلبية حتى كادا يظنان أنه رجل لا يحفل إلا بمزاجه وطريقة ترتيب السفرة وضرورة أن يسبق الطعام حساء ساخن ، وأن تكون على يمين طبق الحساء ليمونة تُساءل أحدهم إن كان بابا قادراً على الكتابة فى الجرائد ؟ إن كان اسم أبيه أيضاً سيكتب فى نهاية الكلام وحلم بأنْ يقرأ أصدقاء أبيه مقالة مذيلاً باسمه .

وتساءل الولد الآخر إن كان الكلام ولو فى الجرائد سيأتى بنتيجة ؟

ـ إنى لن أنسى نظرة اليأس فى عينى ابنى

ـ لا لم يكن يأساً .. كان يحدثنى أحيانا عن دخول المدارس .

ـ أحقاً هذا طبيب ؟

ـ ألم أقل أكثر من مرة إن شرف المهنة قد أُهدر ؟

ـ نهايته .. هل وجدت الصورة ؟

ـ نعم ـ وأعطيتها للمصور لكى يكبرها

ـ هل ستنشرها مع المقال ؟

ـ أى مقال ؟ إنه خطاب مجرد خطاب ـ الصورة لنا

سرح الرجل وهو ينظر إلى ولديه .. ولديه .. نعم .. صارا اثنين .. نظر أيضاً إلى ووجته .. إنها خُنت أو كادت .. ولم تعد ترى الولدين واقتصر اهتمامها على الذى توفى يعصرها الشعور بالذنب لسوء اختيارها للطبيب .. تصورها للحظة وهى تهاجم الطبيب فى بيته وتصفعه !

تساءل وكيف تكتفى بصفعه ؟

تدارك قائلا لنفسه ولم لا تقتله ؟ لقد أعطى ولدها الدواء الخاطىء .. لا لن يكتب خطاباً يوضع فى سلة المهملات .. إنه ليس الضحية الوحيدة ..

تصورها قصة ..

انسحب إلى حجرة المكتب وكتبها .. أضاف خياله مكاناً للأسرة وكان المكان جزيرة دقّ ناقوسها ساعة الوفاة .. وتجمع الأهل ، وكل سكان الجزيرة أهل .. تجمعوا حول ولده ... كلهم جاءوا .. إلا الطبيب ... فلم يعد له مكان بينهم .

كتب عنوان القصة « الناقوس » وضعها فى درج المكتب .. تصور أنه سينشرها يوماً ليقول كلمته

سألته زوجته أحقاً ستكتب للجرائد ؟

لم يرد

نظر الولدان كل منهما إلى الآخر

لم يقولا شيئا

فضلت الأم الصمت .

ـ ستعلق الصورة بين السريرين وستكتب تحتها تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة

• • •

ذهب الرجل إلى مكتبه وأخرج الولاق ونظر مليًا إلى العنوان وكتب تحت كلمة الناقوس قصة قصيرة بقلم ... تردد قبل أن يكمل ... قبل أن يكتب اسم ابنه

القاهرة ليلى الشربينى

اشـــواق المـــدى البعـــيد

● ربيع عقب الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت فروع شجرة الجازورينا السامقة تتمايل ، مصدرة ما يشبه أزيز الأسلاك ، بينما الشّمس تفترش أرض المكان ، مضمخةً بالرائحة الزكية ، حين حطّت بي قدماي تحت المظلة الواقية ، لمحطة انتظار أتوبيس المرفق الداخلي نقطةُ المرور نتوءٌ يتوسّط التّقاطع كضريح ، وشريطُ الأسفلت ممتد كحدٍّ فاصلٍ بين الموت .... والموت أيضاً ، والبلدوزر المتهالكُ مدينةٌ زالت عنها أمجادها ، يلتهمُ هيكلَ العربة الذى تحوّل إلى سُكنى لعائلةٍ من عائلات العاملين بشركة (البرعى إخوان للطرق والكبارى ، الشّركةُ الرّابعةُ التى رسا عليها العطاء

خير بعد إفلاس الشركات الثلاث السّالفة فى غضون خمس وعشرين سنة لرصف هذا الطّريق العصيّ المرور بالخرافات ... والحكايات العربية والحسن طالعها تمكّنتْ من ... فصائح الشركات الثلاث فى الشهر الفائت بعد أن نقلت ... سنة المكان الذى يبدو أنها لن تتخلّى عنه ولو بحيل أكثر ... شهرة

درتُ حول نفسى ، متساندا على أحد القائمين احتميت كى لا تخترق رأسى عجينة الأسفلت المخادعة ، هاهى للمرة الثانية ، متربّعة كانت على الأرض بعيداً عن ظلّ مستطيلة محطة ، تهش بعصاً رقيقة كخيال على كائنات كنت حسبتها ... وقراحا ، لكنها كائنات لا وجود لها ، أمامها بعضُ الكتب المدرسية ... والكراسات .. وبطاقةٌ صحيةٌ تتصدرُ غلافها الدّاخلى صورةُ شمسيةٌ لها ملامحُ طفلٍ فى الثانية عشرة كما أوحت الكتب المنشّرة .

كنت أحسبُ ابتلال هذه الأشياء هو ما دفعها إلى نشرها بهذا الوضع ، لكننى حين رحت أتقصى ، شممتُ رائحة محجر مختلطة بالقار تفضحُ سقم المكان . لم أستطع إكراه عينىّ للتخلّى عن محاصرةِ : عينيها الغائرتين .. ملابسها السوداء المحملة بتراب فى مثل عمرها الأربعينى .. الكائنات التى كانت بجدّية تحاولُ دفعها بعيداً عن أشيائها الجافة تماماً .... حركة شفتيها .. ردها الذى جاء مناقضاً لكلّ هذا على إحدى موظفات الوحدة الصحية الرّيفيّات حين سألتْها بشكلٍ متكرر عن اتجاه أتوبيس المرفق دون أن تكلّف نفسها نظرةً واحدة لهذا الكائن الضّامر الرقيق المعنى بالإجابة .

بطريقة لا تبدو بها أية استقامةٍ ، تعقبتُ تمتماتها ، ما قبضتُ غير ذرات البخار المنفلتة من بين أسنانها ، تنفستُ بقلقٍ شاعراً بحرجٍ ما : بالأمس ظننتُها مجرد سيدةٍ تنتظر العربة فلم أعرها انتباها ، حومت حولها ، اصبحتُ قريباً من الأشياء ، داخلاً كردون العصا السحرية خطوتُ ، قاطعاً

عليها الفراغ الممتد ، كان بعرض عشرة أمتار حيث ينتصبُ سوُر الوحدة الصحية حائلاً بلونه الباهت .

حانيةً سددتْ نظرتَها الأولى ، داخلى فأرٌ مباغتٌ بقطط شرسة بنفس النَّظرة الحالمة داومتْ النظر ، أرختْ أهدابَها تجاه البطاقة المصابة بضربة شمس ، التقطتْها ، تفرَّستْ فيها بجمود ، سرعان ما ارتعش فمها بينما حركةُ العصا فى أطرافِ ، كنتُ أقدرُ بينى وبين نفسى إلى أى مدى يكون انفجار بركان .. فى حين هاجمتنى رائحةُ دنٍ من خمر معتق تصاعدتْ مع أنفاس أنثى ما ذاقتْ طعمَ التقبيل .. ورأسُها المستثار يدوِّم عَالياً .. أسفل .. شرقا .. غربا ، وإذا بكائناتٍ دقيقة تحاصرنى وتحول دون انفلاتى . رنَّ صوتُها لأول مرةٍ حزينا أسياناً : أنت بتضحك عليَّه .. بتقول جاى وما بتجيش ! تسمرتْ العصا على الفور منتصبةً فى مواجهة السماء شدَّت أصابعَ يدها فى توتُّر واضح .. متحولةً يدها إلى مذارةٍ انتصبتْ . والكائنات تتكاثر .. تتكاثر متسلقةً عودى ، وهى تؤنِّبنى على طول الغياب ، ترجونى ووجهها يسدِّد إلى السماء نظراتٍ لامعة الا أهرب ثانية : إنها فى انتظارى ، خاطتْ الفستان ، علقتْ الزينات ، وسوف تقيم الأفراحَ ثلاث ليال .

من شفتين رقيقتين غادرتْ بسمة طفولية ، فانتشرت فراشاتٌ متألقةٌ هوَّمتْ على رأسها الملفوفِ جيداً بالطرحةِ الجرداء .

مطاطئة راحتْ تحدقُ فى بطنها التى كوَّرتها أمامها ، تلاعبها بابتهاج .. راح يتسرب شيئاً فشيئاً متحولاً إلى فزع . اعتدلتْ فاختفت البطنُ تماماً حالمة تحسَّستها .. فأكل قلبَها الفزعُ أيضاً ، عندئذ مدتْ يدَها أسفل إحدى ساقيها ، أخرجت قطعة كبيرة من الطين ، أدنتها من فمها ، تشممتها منتشية .. ودموعٌ تتساقط فى صمتٍ عجيب من حدقتيها .. راحت تفتِّتُ قطعةَ الطين ، تُلقى بها فى إهمال .. ولسانها يردد : أخذتك بين ضلوعى .. جُوَّايا .. تسترسل فى مناجاتها وقد توجَّهتْ كلية إلىَّ ، تحدثنى ـ وانا لا أقوى مطلقاً على التراجع ، فبدون احتشام اخترقتُ أحشاءها ..... تمرغنا فى برج الحمام فوق سطح بيتنا ، وذرق الحمام ينقشُ جسدينا معاً ، يحيطنا برعايته المباغتة .

كانت كتلةُ الطين قد تشكَّلتْ بين يديها إلى حصانٍ أسمر يمتطيه فارسٌ أسمر ، جعلتْ العصا له رمحاً ، ثم حركت الحصان عدةَ خطواتٍ وشكَّلت بباقى القطعةِ شيئاً كان أكثر شبها بالبلدوزر الرابض عن قربٍ بأسىً تحرك البلدوزر مهاجماً الفارس الجسور ، لم يتركه حتَّى أعاده إلى طبيعته الأولى ، دون أن تذرف دمعةً واحدةً ، بيْد اننى رأيتُ جسدَها يتلوَّى

كأنها تعانى ثقل بلدوزر بالفعل تحدثت إلى صاحب صورةِ البطاقةِ ، أشارت بإصبعها تجاه الأشياء : بتاعك .. أنا عملت لك شنطة من فستانى .... اللى زفونى بيه لأبوك .. جوه هناك فى الصندوق .

طرحت العصا أفقياً على صدرها ، أحاطته بذراعيها ، داعبت صدرها الضيق كأنها تلقمه ثديها : بس انت فطرت .. ورحت المدرسة ، ومن يومها مارجعتش ! أرضعتْه حتى الملل . حين تركتْ العصا تتهاوى .. انبتّهُ كثيراً . بعد لأى انتشلتْها ثانيةً ، هدهدته ، ألقمته ثديها .

كنتُ أحسبُه شاباً متوسِّطَ القامة .. ذا شارب أشقر ، سرعان ما تنهزمُ كلَّ حساباتى ، هاها طفلٌ رضيعٌ ينمو فى المهد ، وهاهى كتبُه وأشياؤه : الشىء المؤكدُ هو أنه كان للاثنين نفسُ ملامح صورة البطاقة !

تراجعتُ داخلاً نطاقِ مستطيلة المحطة حائراً ، وقد تخفَّفْتُ من كائناتها ، ومن الخفىِّ أيضاً فى عينيها ، فإذا بها تحدجنى قائلة : بتروح زى ما بتيجى .. نفسى تيجى ياحبة عينى .. وما تمشيش . ملتقطةً العصا راحتْ تبسط نرها على الأشياء ، وتطوِّع راسها كأنى بها تغنى ، أنا قاعدة ياجرح عمرى .. إياك تهوِّب ناحية هناك .. أوعى تروح للخيَّة برجليك ..... ياخدوك غدر ... يموِّتوك ولا ترجعش .... وانا عايزاك .. عايزاك .. ومصير الحى يتلاقى .

بيدٍ مدربةٍ عادتْ تصنع من الطين طيوراً ، وعرائسَ ، وفرساناً ، وفى لحظة تحملُ كلَّ هذا وتعجنه ؛ لتنهارَ مدينتُها . ثم تأخذُ من كتلة الطين قطعاً تسحبُها على جبهتها .. صدرها ... رجليها . حين لملمت الأشياء داخلى باحثاً عن هذا الكائن : الصورة .. الكتب .. الكراسات ... الفارس .. المعشوق .. الطفل ، تداخل كلُّ شىء ، وإذا بى أحدِّقُ فى البلدوزر الجاثم وهيكل العربة .. وأتوبيس المرفق يمرقُ بجانبى . باغتتنى أصواتٌ تسعى مع الريح ، كانت تدنو حثيثاً كلما أرهفتُ السمع ، وأجدُ لها صدىً فى ملامح هذه المرأة ، التى نهضتْ من قعدتها ململمة أشياءها ، بعد ما رشقتْ العصا فى براءةٍ فياضة ـ فى نفس المكان ـ متقدمة تضربُ فى المدى توتاً مسهداً بأحلام لم استطع سبر غورها .

لم أحاول تنبيهها لما خلفته وراءها ، بل تقدمتُ مسرعاً ، انتشلتُ البطاقة ، حدقتُ فى صورتها ، دُهشتُ ، كانت الملامح مألوفة ، علا صدرى متهدِّجاً ، تأملتها ثانية ، حين هممتُ بقراءة الحروف الأولى من الاسم إذا بمخلب ينتزعها من بين أصابعى ، ودون أن أفيق من المفاجأة كنت أتحسَّسُ نفسى .

وانطلقُ مغادراً بينما كانت فروعُ شجرة الجازورينا ما تزالُ تلسعُ الهواء .... وقرصُ الشمس ينحدر كسراب مضمخاً أرض المكان برائحةِ عرس ، البلدوزر ساكنٌ كمدينةٍ زالتْ عنها امجادُها ، والأصواتُ تتراجعُ بعيداً ، ثم تعاودُ الظهو
ر مجدَّدًا .... تتصاعدُ من نفس الاتجاه ... يالقوتها .. تكاد تصمُّ أذنى وفى الوقت الذى إخالنى سوف أرى شخوصها .. أدواتها .. تتراجعُ .. تتراجعُ عن هذه المدينة التى زالتْ عنها أمجادُها .

المحلة الكبرى : ربيع عقب الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

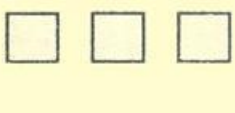

شـــــادية

● خالد مغازى أحمد

أرحل إلى القمر حين أحدق فى الدلاية المستديرة التى تتدلَّى على بطنها من (الكردان) الذهب ..يتأجّج من أعطافها عطر ، يسحرنى وجهها الملائكى يغمسنى فى الماضى عبر ألوف الأحقاب .. أشاهد هذا الوجه على حيطان معبد البربة فى (إسنا) .. وتقول العمة : (من بيت هايل) ويقول عمى البدرى : بتبيع جسمها للسواح فى إسنا ..

الشمس تتلظى .. تتناثر منها شظيات صفراء تكسو واجهة الأرض فتشكل نوار البامية الأصفر وزهور القرطم وعباد الشمس وتنساب (المياه فى القناة) عبر الحيضان الخضراء الصفراء ؛ مستلق أنا على ظهرى أسفل نخلتنا القصيرة .. حاول أبى مرارا أن يقتلعها لكنى كنت أصرُّ على أن تبقى .. إعتنيت بها حتى كبرت واتسعت مساحة ظلها .. أشاهد فى قلبها وجه شاديه الساطع بعينين فرعونيتين كأنها كليوباترا .. ويقول عمى : بتبيع جسمها للأجانب فى إسنا ، وجدتى القت الإناء الذى اتت أختها ترده إلينا فسقط مهشما ثم امسكت بأختى من جدائل شعرها الطويل ولفته على يدها ووضعت التراب فى حلقومها لأنها اقرضتهم الإناء تقول الجدة : الإناء اللى يروح بيت عوض ينجس .

أحـك أذنـاً ثم الأخـرى .. ثم عينىَّ .. اتقلَّب .. أهش بيدى .. أعاود الحك أفتح عينى ليغمـرنى ضوؤهـا وأنتشى بعطرها الساحر .. تتكلم فأخالها كليوباترا تدافع عن نفسها وأبادر بكفىَّ على شفتيها الرقيقتـين .. تقبلهما ثم تستـريح براسها على صدرى .. تسقط طرحتها وأنا أمسح بيدى على شعرها الطويل .. أقول شادية فتقول : خالد حبيبى ثم تدير وجهها وتنهض ..

بصوت صادر من قيثارة النغم الأبدى .. تنطلق الكلمات الإفرنجية من شفتيها عذبة رقيقة : (نايس دريس يسر) .. يحدقون فى وجهها أإيزيس هى لا زالت تحيا .. يلتقطون لها الصور وبرغم أن الحى ملىء بالفساتين لا يشترون إلا منها .. يمنحونها الهدايا الثمينة لكنها ترفض بإباء .. وعندما يصر السائح فإنها تعطيه هدية هى الأخرى .

شقيقها الصبى راجح باع الخراف والنعجات التى خلفها أبوه واشترى جهاز التسجيل ثم صنع غطاء ذهبياً لأسنانه الأمامية وارتدى الجلباب الأبيض الشفاف والطاقية البيضاء والشاش الأبيض ،.. وأمسك بيده الخيزرانـه ومضى يختال برفقة ندماء السـوء بين ربـوع القريـة يأتى بهم إلى البيت ويخـرجـون فى منتصف الليـل وهم يتمـايلـو ويشـاهـدهم الجيران ..

قالت جدتى : أنا قلت ده ولدة حرام .

وقالت أمى هانم : يا ولداه ده أبوه لسه ما ارتاح فى قبره

وقال عمى البدرى : أنا لازم ألم رجالة البلد وارميهم بره البلد

أمسك أبى بيدى ... وشدنى إلى الخارج .. جلس أسفل النخلات السامقات أمام البيت .. أشار إلى الزير فملأت له الكوز شرب ثم مسح فمه وشاربه بكمه .. أمرنى بالجلوس .. قال : انت خابر يا خالد يا ولدى الحسين رضى الله عنه يبقى جدنا .. إحنا بيت تتلصق فيه الدنيا كلتهـا كلمات اعتـادت أذناى سماعها منه ومن عمى ومن جدى ولكن ..

وقال أبى : اللى بيتزرع فى أرض قبليه بينبت ويفرع زين وانت اتزرعت هنا يا خالديا ولدى .. عوض زرع عياله فى بلاد الميه المالحة وآديك شايف .

تسلل قرب الفجر من كوة فى الجدار الذى يفصل بين بيت عوض وآخر لم يتم بناؤه مرقت داخـل جلبابى .. تبعتـه .. حاول تقبيلها .. قلبها على الأرض فبدا سروالهـا .. هجمت فوقه .. ضغطت بيدى على رقبته حتى أفلتها .. مادت الدنيا فى عينى حين التقتا بعينى عمى البدرى ووجهه ينسال منه العرق غـزيراً ، وفـد أهل الحى حـولنـا .. بينهم لمحت أبى وبـين همهمات الرجال ارتد عائدا ، اقبلت نحوى خلف البيت تركض كالسحاب .. تنفجر من عينيها لآلىء بللورية .. أرخى القمر جفنه وكلحت الحياة .. قالت : أخوالها يريدون تزويجها من ابن لهم . قـالت أمى رقية : إيـاك تستر وقـالت أمى هند : النخلة المايلة ما ينفعلهاش تلقيح .. قال أبى ـــ فى المحطة ـــ إنت خابر يا خالد ياولدى الحسين رضى الله عنه يبقى جدنا .. احنا بيت تتلصق فيه الدنيا كلتها لابد أول ما تعتب مصر تزور الحسين والسيدة .. وقال : خلى بالك من بنات مصر دول أفجر من بت عوض .. كانوا يلتفون حولى .. كلام ، كثـير خمدت أنفاسه حين برقت عينا فرعونيتى الجميلة من خلف مـلاءة سوداء . سحابة تغشوها غلالة ، من الدوح .. وصفر القطار وأقبل يهز الأرض حولنا ويطحن قلبى تحته واستشعر شيئ من رجولتى يسيل على رصيف القطار المتوهج .

قنا : خالد محمد مغازى احمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يعد الهروب ممكنا

مجدى البدر

على المكتب الخشبى المهترىء جلستُ رحت أتناول إفطارى بنهم.كانت السندوتشاوت الملفوفة بقصاصات الجرائد ساخنة . لذلك وجدت نفسى التهمها بسرعة غير عادية . لكننى فجأة توقفت حملقت فى قصاصة الورق . قرأت (مواطن باكستانى ضاقت به ظروف المعيشة وعجز عن سد رمق أطفاله السبعة وزوجته فقام من فوره بذبحهم ، ثم انتحر) ..

جذبنى الخبر لدرجة أننى نسيت البلهاء الذين يثرثرون من حولى . راودتنى هذه الفكرة العظيمة للخلاص من كبوتى . هممت بالاستئذان من المدير .. نظرت بجانبى بوغتّ لما وجدت الموظفين يتركون مافى ايديهم ويحدقون فىّ قالوا : مالك ؟ قلت بعد تردد لاشىء .

عندئذ سخرت من نفسى وزملائى الذين يتمنون موتى بفارغ الصبر وقررت ألا انحو نحو الباكستانى تذكرت — الكتاب العتيق الذى ورثته عن جدى ، والذى قرأت فيه بعض الجمل مَنْ يحفظها ويرددها وحده فى حجرة مظلمة يستطيع أن يطير ويختفى بعيداً عن عيون العالم . يستريح من هذا الشقاء الأرضى ..

تملكتنى رغبة عنيفة فى الطيران . ترفعت على هذا الباكستانى المتهور الذى تسرع فى اتخاذ قراره المباغت ولم يقرأ هذا الكتاب ..

لملمت دفاترى ، وبسرعة أقفلت مجلتى ، كالبرق اختصرت درجات السلم . فى آخر درجة منه انكفأت على وجهى فتنبهت أننى لم أودّع المدير ولا حتى هؤلاء الذين يتكلمون أكثر مما يفعلون ..

فى الشارع . لم أرد الركوب . بل وجدت رغبة فى الجرى .. اندفعت بصورة مبدهشة . تلقفتنى الطرقات المليئة بالسيارات . رائحةلا الغازات السامة احتضنتنى نادانى الخضرى الحساب تقل ! أسرعت فى خطواتى صرخ البقال الفلوس يابن الكلب ! واصلت الجرى أرسل الجزار كلبه المتوحش ورائى غاصت أنيابه فى بنطالى تصورت أنه غول . ازددت اضطراباً تعثرت فى الحفر . اتكفأت على وجهى سقطت فى المجارى أشار بعض المارة . مجنون ! . أمسكوه . انتفضت واقفاً . هربت فى أحد الأزقة . أسرعت أكثر فى الجرى سيطر على الرعب . وجدت نفسى أقل طولاً وأخف وزناً من هؤلاء العمالقة المتجولين فى الشارع ..

وصلت الشقة . فتحت لى امرأة عملاقة فى حجم الديناصور . أظن أنها زوجتى أم أولادى الدينا صورات .

دخلت حجرتى أغلقت الباب جيداً . أحضرت كتاب التعاويذ قلبته . وجدت صورة جدى مازالت بداخله . قبّلتُ جدى سقطت دمعة من عينى لم أشعر بها .

فتحت الصفحة قرأت الجمل ردّدتها . سمعت همهمات الديناصورات تتردد معى . ارتعبت تكورت داخل كتاب

التعاويذ ... أسرعت فى الترديد ... تلونت الحجرة .. بألوان الطيف .. قمت من مكانى . انتابنى ذهول . وجدت يدىّ وقدمىّ ترفرفان بسرعة مخيفة . انتفضت اخترقت السقف . شعرت ببروز ينمو حول ذراعىّ انطلقت فى الفضاء الشاسع . أسبح كأنى بعوضة تهيم فى سماء لا نهاية لها . لم أودع الديناصورات السبعة وأمهم الغولة . فُتحت شبابيك الجيران . بصقوا علىّ قالوا : تطير مثل الغراب وتترك أطفالك للحدأ تأكلهم ؟ لم أبال . أسرعت فى الطيران . اخترقتنى نسمات الهواء الباردة .. تحولت إلى شاطىء البحر . رآنى بعض الصبية وهم يصطادون بالشص . أعتقدوا أننى أوزّ عراقى . قذفونى بالحجارة . صرخت . تجمع المارة . صرخت أكثر . زاد عددهم . حملقوا فى بلاهة شديدة رددوا بعض الكلمات . سارت الكلمات فى غير انتظام : (غريب .. البوليس .. يخترق) لم أفهم شيئاً مما قالوا !

* * *

جاءت الشرطة .. تجمع رجالها .. نظروا من فتحة التلسكوب .. رأونى وقد اختفت ملامحى الآدمية بفعل الحرارة والرطوبة .

تجمعت العربات الزرقاء . أصدر كبيرهن الأمر بإطلاق الرصاص على هذا الجسم الغريب .. سقطت فى قاع البحر ..

فى قاع البحر . الشعاب المرجانية الحادة تتخللها الأسماك العملاقة . دُهشت لما وجدت هذا الوحش البحرى الكبير يهاجم هذه السمكة الضعيفة ـ وأولادها السبعة .. حاول أن يبتلعهم تدخلت . تجمعت الأسماك العملاقة حاولت أن تفتك بى ... قاومت ... نجحت احتويت السمكة وصغارها فى أحضانى . شعرت بدفء البحر يحيطنى شممت رائحة أطفالى سمعت صوت زوجتى يناديني من أعماق البحر قائلة : انزل اشترى الفطار للأولاد ولا تنسى الشاى والسكر والزيت والصابون . ادفع فاتورة الكهرباء

عندئذ نفضت السمكة وأولادها من أحضانى حاولت الخروج من قاع البحر . امسكتنى الأسماك العملاقة تشبثت بى السمكة الضعيفة وأولادها السبعة .. قاومت حاولت أن أهرب لم أستطع سقطت فى قاع البحر .

* * *

بينما كنت فى رحلة السقوط رأيت صورة المواطن الباكستانى وهو مسجى فى الظلام وأولاده يطوفون من حوله . يطبلون ، بينما زوجته ترقص على حبات الجمر ..

رأيت زملائى الموظفين منكفئين على مكاتبهم الخشبية المهترئة ، يثرثرون ولا يترحمون علىّ .

شاهدت صورة كتاب التعاويذ الذى كتبه حكيم هندى تلفنى حتى عنقى . لكنى لم أر صورة جدى بداخله لم أقبله .

ولم تفارقنى صورة أطفالى السبعة وزوجتى سعديه وهى تكرر على سمعى طلبات البيت (هات .. وهات .. وهات) .

العطف . الجيزة : مجدى على سالم البدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكـــنز والأجـــراس

● إخلاص عطا الله

كنت أهـذى بكلمات لا معنى لهـا حينما استيقظت عـلى صوت تدفق المطر . كانت قطراته كأنها حبّات عقدلا بداية له ولا نهاية ، وهى تعزف لحناً منتظم الإيقاع .. نهضت مسرعاً لأمـلّى بصرى وأشجى أذنى بهـذا المشهد الرائـع الـذى لا يحدث فى مدينتنا النائية إلا نادراً . تسمرت بجانب النافذة وبسطت ذراعى خارج النافذة . أعدتهما إلى صدرى وأخذت نفساً طويـلا ، كررت هـذه اللعبة مـراتٍ فسرت فى كيـانى قشعريرة أحسست معها أننى بحاجة ماسة إلى دفء من نوع ما .. وسرعان ما وجدتنى دون أن أدرى ــ أرتدى معطفى وأغادر المنزل لم أكن أقصد مكانا محددا أو لحظة بعينها كنت أجرى تارة وأتريث أخرى وأنا أترك صدرى وذراعى يعانقان تلك الحبات الساقطة لم تعبأ قدماى بالأوحال ، لم أكترث بنظرات المارة وهمهماتهم من حولى . رحت أجوب الشوارع وأنا أبحث عن ضالتى فلم أجد كان هناك من يرصد خطواتى ويصفّق لى عند بداية كل خطوة ، التفت إلى الوراء فلم أجد أحداً ، توقفت عن المسير فتوقف أيضا ــ ورحت أتساءل : أأعود أدراجى وحسبى متعة الرحلة ؟ لكننى للتو سخرت من هذه الفكرة الحمقاء وصدرت عنّى قهقهة بلهاء تـأهبت على أثرها لاستئناف السير مرة أخرى . ما كدت أخطو أول خطوة حتى توقفت ثانية فتوقف . كان للتوقف هنا معنى آخر فقد اصطدمت بجوالين معبأين بـالقمامـة تتوسطهمـا كتلة لحم لا تتجاوز الثامنة ، كان الذباب يحاصرهـا ، وهى تتطلع فى لهفـة نحو المـارة عساهـا تراه بينهم ملت نحـوها وجلست القـرفصاء ثم وضعت يـدى اليمنى عـلى رأسهـا وأمسكت اليسرى بثوبها البالى المبلل بالمطر ، أحسست بنحيبها يحطم نشوتى العارمة ، أخرجت من جيبى قطعـة حلوى وقـدمتها إليها فرمقتنى طويلا كأنها تعاتبنى على هذه الإساءة وقالت بصوت متهدج وهى تدفع بالحلوى فى وجهى :

ــ لا أريد هذا

قلت : ماذا بك ؟ ولماذا تجلسين هكذا ؟

قـالت : أنتظر أبى فقـد تركنى صبـاح أمس مع هـذين الجوالين وقال إنه سيذهب ليأتى ببقية القمامـة من المنازل المجاورة ولم يعد حتى الآن .... قبل ذلك كنت أنا وأبى ننتظر عودة أمى . أمّا اليوم فأنتظر عودتهما معاً .

شرد لبى بعيداً وقلت لنفسى ألا يلتفت أحد إلى هذه الصبية البائسة ؟

قالت : هل ستعيد لى أبى ؟

هززت رأسى بالنفى ..

عادت تقول : إذن بإمكانك البقاء معى هنا حتى يعود أبى وأمى .. نهضت مذعوراً فتطلع وجهها يستجدينى ، والتقت عيوننا وهى تردد : ألا يلتفت أحد إلى هذه الصبية البائسة ؟

فجأة ــ دفعتها من بين ذراعىّ فهوت على الأرض ، لم أبال بالدم المتدفق من فمها ــ رحت أضاعف سرعتى فى السير وهو

ما زال يتتبعنى — غمرتنى السعادة لأننى انتصرت فى تلك المعركة وقلت بصوت عال كلا لم تخطىء ! إننى أبحث عن ضالتى فما شأنى بهذا وذاك ؟ ضاعف من تصفيقه مما جعلنى أزج بنفسى فى أول قطار أصادفه بطريقى ، طلبت من السائق أن يسرع فلم يأبه لى قلت له إن المطر على وشك الانتهاء وإنه لم يبق من الزمن سوى لحظات معدودات ، اتهمنى بالجنون وأخذ يضحك حتى كدت أجن حقاً قلت لنفسى لاشك أننى أسرع من تلك العجلات ، لم أنتظر أن يتوقف القطار فقفزت منه ، ارتطمت بالأرض تمزقت أوصالى ، سال الدم من مواضع مختلفة فى جسدى ، تحاملت على نفسى ونهضت وأنا أتوسل بالرجاء الذى بداخلى كان هو ما زال يتتبعنى لكنه فى هذه المرة جذبنى من يدى وهو يقول : هيا اهرب بحياتك ! إنها لحظة ونغدو على مشارف المدينة — وظللنا نعدو إلى أن شعرت بخفة فى جسدى ، ثم انتبهت من غفوتى على أصراتهم المبعثرة هنا وهناك ، كانت تلك هى طريقتهم فى استقبال أى زائر جديد ، أدركت أننى بمفردى وإنه لابد أن تكون هنا نهاية المطاف . وثب قلبى ورحت أتمتم لقد حانت اللحظة فتقدمت وتعانقنا زمناً طويلاً وبكينا ، قالوا إنهم ينتظروننى منذ دهر بأكمله ، فقلت ها قد جئت إليكم ثم رويت لهم قصتى مع المطر ومع الفتاة فلم يدركوا شيئا من كلامى .

تساءلت عن أسباب سعادتهم وهم بمعزل عن المطر فاستنكروا سؤالى وقالوا ما سمعنا أنه يوجد مطر ، تملكتنى دهشة لا حد لها ، تيقنت أننى أخطأت المقصد فقررت أن أعود بينما كانت هناك أشياء متناقضة عديدة ؛ إذا كيف لا أجد مكانى وسطهم فى ذات الوقت الذى كانوا يتطلعون فيه إلى رؤيتى ؟ وهنا قالوا إننى لست أول زائر لهم بل إن هناك كثيرين أتوا وسيأتون إلى هذا المكان من بقاع متفرقة وأزمنة متعددة وفى كل مرة يكررون هذه المواجهة ثم يتركونهم لشأنهم كى يعودوا أدراجهم ، هنا لأول مرة وعيت أننى داخل ذاتى فلم أحزن ولم أيأس ، وهكذا كانت النهاية فأعطيت ظهرى لهم .

وفى طريق العودة كان النهار قد ولى ، والشمس قد بدأت تختفى وراء حجابها ، أما هو فلم يكن خلفى أو بجانبى ، لذلك لم أدهش حينما وجدته بالمنزل لا يعبأ بتوقف المطر ، فأمسكت به واحتويته بصدرى وقلت له : لن أدعك تذهب بعد الآن حتى عند رحيل المطر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاهرة : إخلاص عطا الله

اختبـــــار

على شوك

[١]

حينما قرر الجميع أن يعيشوا .. أصرَّ هو أن يموت ..
لايشعر بما يربطه بهم .. قالوا له : عش معنا كما نعيش ..
كان أبوه ذا منصب .. لقنه مبادىء المواجهة .. حينما تعارض الأب مع رئيسه فى العمل خذلته مبادئه .

حاول أن يفسر لابنه حتى يتلاشى تأنيب عينيه :
ـــ لو اصررتُ كانوا سيسحبون الكرسى من تحتى ..
ظلت نظراته الحادة وتأنيبه يلازمانه .
ـــ كان على أن أختار بين أن تموتوا أو نعيش ..
راحت نظراته تزداد حدة بلا هوادة ..

اشاح والده بوجهه .. اخذت امه ركنا قصيا .. راح الصغار يأكلون أشهى المأكولات وأغلاها ..
قطع الرجل صمتهم .. قال بصوت جهورى . يجب أن نعيش
أكدت الأم : يعنى احنا اللى هنصلح الكون .

راح الصغار يضحكون .. يتمايلون .. يهرولون .. راحت صغراهم تتدلل على أخيها .. دفعها بقوة .. سقطت .. أسرع من فوره .. التقطها .. حملها على ذراعيه .
تمتم .
ـــ لن تموتى .. أنا الذى يجب أن يموت !

[٢]

كلما فتحت الدوسيه القابع على مكتبى رأيت وجه مديرى العابس يطل منه بشارب كث يلعقه بنهم شديد .

قالت لى أمى :
كان أبوك يحضر لمديره مالذ وطاب لكى يأمن غضبه
أما غضبة مديرى فلا أفهم لها معنى !
كلما هممت أن آكل ، أطل الرجل من صحن الطعام .. أعزف عن طعامى .. تبادرنى زوجتى :
ـــ خُذْ له .. لعله .. ولا سيما أن العلاوات قرب موعدها .
عندما نظرت فى حذائى .. أقلبه .. أبحث عما يعوق مسيرتى .. رأيت رأس مسمار يخترق حذائى :
لم أكذب ما أسدى الى من نصائح .. رحت أمد خطواتى الى منزله .. اسرع .. أحث الخطى .. تلقفنى بالأحضان وقد انفرجت اساريره .. راح يحمل عنى جعبتى وهمَّ أن يرفعنى على راحته .
همس لى :
ـــ اسمك فى كشوف العلاوات غدا
عدت أزف الخبر إلى أولادى
ما كاد طفلى يرانى حتى ضحك
رحت أنظر فى المرآة ربما وجدت سببا لضحكاته ..
رأيتنى بوجه عابس وشارب كث العقه بشراهة .

القاهرة : على شوك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطـــلقـــة

اســـماعيل بكـــر

بمجرد أن وقعت عيناه على ذلك المشهد ، اجتاحته رجفة عاتية .. حاول السيطرة على نفسه حتى لا يبدو ضعيفا .. بطلا المشهد امامه فى قمة الفزع والارتباك .. زوجته ترقد فى سريرها وقد تقلصت أصابعها على أطراف الملاءة تستر بها جسدها ، وبجانبها رجل قد جحظت عيناه وبدا كالمشلول .

كان الموقف أكبر من ثلاثتهم بكثير .. فطن إلى أنه يجب أن يملك الزمام .. يجب أن يكون الأقوى والمسيطر .

دون أن يحول عينيه عنهما تحرك خطوة جانبية .. وصل الى أحد الأدراج ، فتحه .. أخرج مسدسا .. عاد إلى مكانه الأول .

فوهة المسدس متجهة مع نظراته إليهما .. صرخت زوجته :

ـــ لا . لا . لا .

شىء غريب .. هذا الصوت لم يسمعه من قبل .. هذه اللاءات التى انطلقت من زوجته لم يعرفها سلفا .. إن أكثر ردودها عليه كانت لا .

منذ تزوجها وكلمة لا هى المفضلة لديها ، تطلقها فى وجهه عند كل مناقشة بدلال مقيت ولهجة مستهترة . أما هذه التى اقتحمت اذنيه ، وما زالت تسكن بهما مع نغمة ذليلة مستعطفة ، فقد بدت غريبة عليه تماما .

أصابه الشك .. هل هذه المستلقية أمامه فى رعب متوسل هى نفسها زوجته اللاهية المتدللة ذات الجمال الوحشى ؟ تفرس فى ملامحها .. إنه على استعداد أن يقسم بأنه يراها لأول مرة .

أين تلك الملامح التى كانت تفتنه وتأسره ؟ لم يكن يشبع منها أو يمل النظر إليها .. كانت تعرف ذلك جيدا وبابتسامة واحدة تجعله يلبى أصعب المطالب ، ولم تكن تلجأ كثيرا لهذا . فقد كان حريصا على إرضائها بكل الطرق ... ينفذ رغباتها قبل أن تبديها .

إنه لا ينسى يوم أن تقدم لخطبتها منذ ثلاث سنوات ! يومها كان كل من حوله يعارض هذا ال ....

تنبه فجأة إلى أن إحدى يديها تمسك بقطعة من الملابس الداخلية وتهم بارتدائها . صرخ بعنف وهو يلوح بالمسدس :

ـــ لا . لا . لا .

يبدو أن صرخته المقترنة بحركة مسدسه كانت مفزعة حقا ، فقد ألقت زوجته قطعة الملابس بسرعة وعادت تستتر بالملاءة .

أدهشته تلك اللاءات التى أطلقها . إنها أيضا تختلف كثيرا عن تلك التى واجه بها كل الذين حوله عندما عارضوا زواجه منها .

لقد كانت لاءاته حين ذاك منومة ، متجاهلة لكل الحقائق التى يسوقها الآخرون : فارق السن .. لا . اختلاف البيئة .. لا نوع التربية .. لا انحطاط خلق الأهل .. لا . سوء السمعة .. لا .

لم يكن يرى غير جمالها الطاغى ، ذلك الجمال الذى جذب كل لاءات الدنيا ليضعها أمام الاعتراضات المنطقية التى قالها الناصحون .

أما تلك اللاءات التى نطق بها حالا وأرعبتها ، فقد خرجت منه كنصل حاد مزق أحشاءه قبل أن يصبح مرشوقا فى أذنيها .. خرجت مغموسة بدم الجرح النازف بداخله .

كان يظن أنها أسعد زوجة فى العالم ، مثلما يظن أنه أيضا سعيد .

للحظات قصار تركزت نظرته على ذلك الوغد القابع بجوارها .. شاب قصير قمىء . لا يعرف ماذا به ، يمكن أن يغرى أى امرأة على وجه الأرض ؟ لونه شديد الصفرة .. منذ مفاجأته لهما وهو على حاله كأنه قد تحجر ، ولولا تنفسه لظن أنه مات .

بدا أن الموقف قد طال أكثر مما يجب .. أحس عيون الأهل والأصدقاء ، بل عيون الدنيا كلها تحدق به لترى ماذا يفعل ؟ وكيف ينتقم لكرامته وشرفه ؟ .. هل سيقدم ؟ .. هل سيجبن ؟ .. كيف يواجه الناس بعد ذلك ؟ .

لا . لن يجبن .. لن يترك النهاية الحتمية الواجبة تفر من بين يديه .. إنه المسيطر .. انه الأقوى .. يجب أن ينتهى كل شىء الآن .

برقت عيناه بالعزم والتصميم ... اشتدت قبضته على المسدس .. صوب وأحكم التصويب .. قبل أن يتردد ضغطت إصبعه الزناد .. انطلقت الرصاصة .. أفلت منه المسدس وهو يترنح قبل أن يسقط .

بنى سويف : إسماعيل بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غايـــة الشـــجن

● أمـين بكـير

كان .. ياما كان . والموسيقى تعزف .. والمكان مغلق .. والصمت رهيب . كان (التنبول) الأعظم يجالس خصيانه . ويأمر غلمانه بحرق البخور وكل الحاشية بالوقوف فى وضع الخدام قدام ضيوف الأمير ولى العهد . من كبار أو صغار . فالتنبول الاعظم . أعظم من كل تنابلة الدنيا . يعتبر الأمير ولى العهد سيكون عظيما فى تنبلته ، يحكم من فوق عرش التنابلة الأقدمين الخالدين شعبا عظيم الطاعه ولديه مناعة ضد الثورة .. فشعب التنبول الاعظم . سيئول إلى التنبول الأصغر . فى صمت مطلق .

كان .. ياما كان .. كان بخور الخصيان يصُاعَدْ . والطواشيه يمرون بالأوانى والمدى لكى يجرح كل من تكرم عليه التنبول الأعظم بالوقوف فى حضرته وتنبوله الحبُوب ولى عهد التنبلة .. لحظة وكانت قطرات الدماء من الأوردة قد استقرت فى الأوانى الزجاجية ونودى على الإماء بإحضار القراطيس ليكتب كل من نال شرف الحضور . صك مبايعة بالدم للتنبول المرتعد من الخوف منذ ان رأى فى الحلم ان احد رعاياهم قد ثار فى وجهه وهو نائم .. يحلم . وجدع ولى عهد التنبلة انوف كل الحاضرين . وجمع القراطيس بالمبايعة الأبدية لكل تنابيل الأسرة التنبولية .. رجل أوحد مزق الصك بأسنانه البيض والقى بالمدية أرضا ، ثم القى به يذروه هواء القاعة نتفا تعلن عن عصيانه بعد أن صرخ رافضا كل هذا الذل القاتل .

وكان ...

ياما كان .. كان ان نهض التنبول الأصغر صارخا بصوت مبلل بالبكاء التنبولى الطفولى ، المرتعب من ريح العصيان التى جعلت كل الأعناق تلتوى ناحية الفلاح الذى قال (لا) ومزق صك الطاعة ولم تلو أعناق رعاياه ناحيته حين بكى ، حين صاح :

ـــ هذا الوجه طاردنى فى نومى .. اقبضوا عليه

لم يتحرك الفلاح قيد أنملة ، لم يرمش له جفن . ظل مكانه وهو يضحك من سذاجة ولى عهد التنبلة الذى راح يصرخ :

ـــ احضروه لكى يركع فى ندمه عند قدمى ..

كان .. ياما كان ..

كان الفلاح صغير السن .. جدا .. دفع به حراس التنبلة غلاظ السواعد والقلوب إلى قدام الأمير ولى العهد ، الذى استأسد فصفع الفلاح المبتسم الوادع وأمره أن يركع على قدميه فيقبلهما ويطلب منه العفو عنه ، لكن الفلاح الصغير ارغى وازبد .. صرخ فى وجه الأمير فتراجع فى خوف مميت .. والتنبول الأعظم لا يزال يتابع الموقف ويتسلى به فلما وجد ان ولى العهد تراجع فى خوف صادق . تنحنح . فانتصب التنبول ولى العهد وتقدم خطوة فى ارتعاش وتكلم :

ـــ أنت .. أولا تخاف منى ؟

ـــ يخافكم من لا يخاف الله

قال ولى العهد متطاوسا والخوف يرقص ثعبانا فى صدره

ـــ ولكن هذا تحد لأولى الأمر تستحق عليه القتل .

قال الفلاح فى همس ممزوج بالمرارة

ـــ وانا .. فى انتظار ان تقتلنى . هنا .. وأمام هذا الجمع

وكان .. ياما كان ..

كانت الكلمات تتساقط بالموقف مثل شجيرات اللبلاب . وكان صواب التنبول ولى العهد قد طار ، صبر التنبول قد نفد فأمر بأنحضار السياف . فلبى أمر التنبول بلا إبطاء . لكن حركة الطواشيه تباطأت فى حمل النطع مع السياف الذى جاء بنطعه لينفذ أمر الإعدام أمام كل من دعى لهذا الحفل ، الذى انقلب إلى صمت مطبق .. لكن الريح لم تكن تواشيح رثاء . برقت العيون ، استدارت فى محاجرها وتبعثرت حركتها ، التى كانت مستقرة طوال أعوام وأعوام ، ورثوها عن الآباء ، الذين توارثوها عن الأجداد .. الآن . كل العباد فى تلك القاعة صاروا يهمهمون . قارع الطبل يجىء ، الهمهمات ترتفع حين يمسح السياف جهم المنظر على حد السيف الثقيل ، ما هى إلا كلمة الآن يصدرها التنبول فينشب السياف بمقدمة السيف فى أحد جانبى الفلاح الأعزل ، ثم سرعان ما تطير الرأس عن الجسد ..

ما هى إلا كلمة (افعل) وينتهى الأمر ..

كان التنبول الأعظم لم يعرف اسم الفلاح بعد . فقرر أن يعرف ، لهذا انتفض فى تكاسل وتطاوس فى خطاه وفى استخفاف القى بالسؤال فى وجه الفلاح الصابر الذى يضحك :

ـــ ما اسمك ؟

وترتفع الهمهمات حين ينطق الفلاح بلا أدنى خوف أو تردد

ـــ اسمى غاية

ـــ بلدك ؟

ـــ أى أرض ، أى وطن تحت سماء نالله يحوله الحاكم إلى مقابر للنبل والعدالة والحرية .

الهمهمات تصبح صوتا محتجا واضحا حين يبصق التنبول الأعظم فى وجه الفلاح الصامد .

يصرخ التنبول الاعظم باكيا :

إما أن يركع عند قدمى باكيا مسترحما واما ان يقتل

وكان .. كان ياما كان .. كانت الساحة قد ازدحمت بالخصيان وبالندمان . وقف السياف مع السجان ، الضوء الشاحب .. تدب فيه حمرة الخجل المتوهج فى عيون الندماء السكارى بالخوف المتملق ، ثعبان الرمل يرتسم على لوحة فى خلفية المكان ، الصوت الجمعى صار هديرا .

دارت الكلمات مدوية فى سماء المكان .

ـــ لن يكتب !

ـــ لم يكتب ، فلن نكتب بدماء القلب صكا لعبوديتنا

ـــ حتى إن مات ؟

ـــ وحتى إن متنا عن آخرنا !

يفلت الفلاح من أيدب حراسه ، يروح يقبل كل لحاضرين ، يد السياف تتخاذل بالسيف ، تدمع عيناه ، الخصيان تخلع أثواب الذلة الموسومة بشعار الملك التنبولى .

وكان ..

كان التنبول الأعظم . يدور حول الجمع يهدد ويتوعد . إذ كان الفلاح ما يزال يعانق هامات البشر ، كل البشر .. الخصيان مع الندمان انخرطوا فى ضحك متصاعد حين بكى التنبول الأصغر فاحتواه التنبول الأعظم فى صدره . وبكى كل منهما قدام العرش ، على العرش ..

كل جموع الناس تسير إلى الخارج . يحملون على الأعناق الفلاح الذى يهتف :

ـــ لن يموت الحق فينا

الخصيان مع الندمان والطواشيه ينسحبون ، الضوء الذى كان متراقصا فى وهنه يزداد ، يسبح مسرح الأحداث بالضوء الساطع . تصرخ جموع الناس فى صوت واحد :

ـــ عاش الوطن

وتهبط الستار ، ويدوى لحن النهاية .

من صالة المسرح تمتد عشرات الأذرع تقذف الزهور على البطل الذى يقوم بدور الطاغية الظالم وسط تصفيقات جماعية ترتفع الى عنان السماء .

القاهرة : امين بكير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقنع

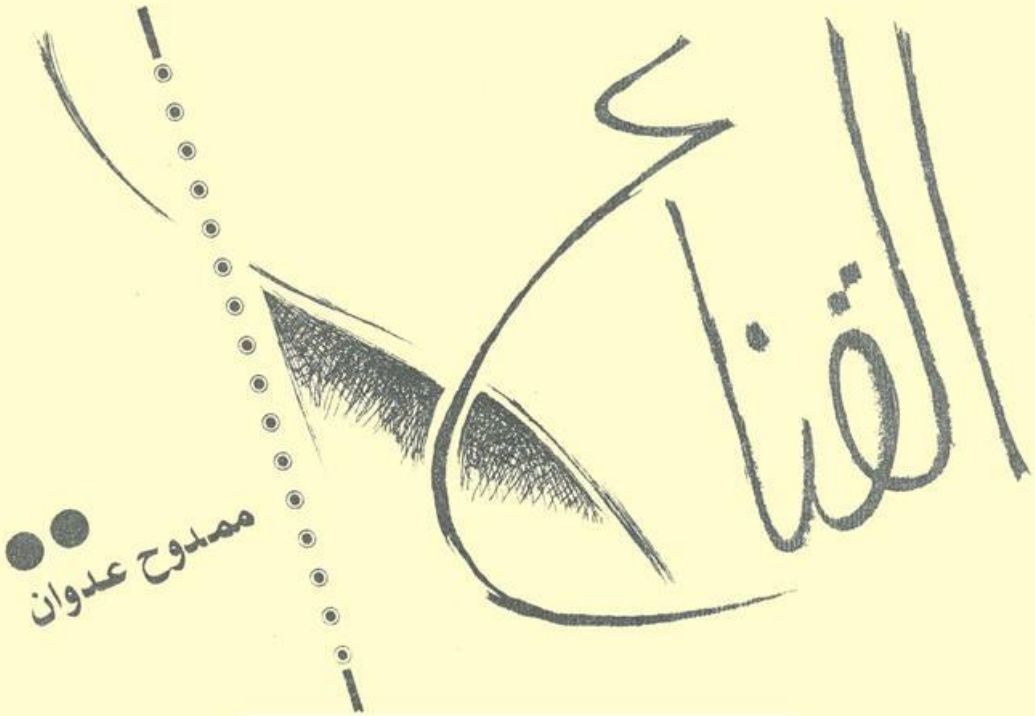

ممدوح عدوان

● « غرفة نوم لمياء . غرفة نوم عادية . فيها سرير وطولة صغيرة قرب السرير (كومودينة) عليها اباجورة . فى الغرفة خزانة ذات مرآة ، وتواليت الزينة . ولها بابان واحد إلى الحمام والآخر إلى صالون المنزل مع نافذة تطل على الخارج .

تدخل لمياء وهى فى الثلاثينيات من عمرها . تدخل الحمام وهى تنشف يديها وفمها مما يوحى انها كانت تنظف اسنانها استعداداً للنوم . تضع المنشفة جانباً وتتناول مجلة ثم تخلع الوشاح الرقيق الذى ترتديه فوق قميص النوم . تظل بقميص النوم ثم تدخل فى الفراش وتتفحص المجلة بعد ان تطفىء النور فى الغرفة وتظل الاباجورة وحدها مضاءة تتفحص المجلة على ضوء الاباجورة .

« فيما هى تقرأ تسمع صوتاً من داخل البيت . تنتبه قليلاً . فيتاكد لها وجود من يتحرك فى الداخل » .

لمياء : سامى ! هذا أنت ؟ « لا جواب . تنهض من السرير وتتجه نحو الباب . تشعل الضوء فتفاجأ بشخص مقنع وبيده مسدس . تشهق وتتراجع خائفة . » من أنت ؟ وماذا تريد ؟

المقنع : إياك أن تصدرى أى صوت . يبدو صوته غير طبيعى وكأنه يتحدث من خلال ميكرفون مشوش . يرتدى قناعاً على وجهه مع سترة وبنطال أسودين ووشاح أسود يلف جسمه »

لمياء : ماذا تريد ؟

المقنع : ماذا تتوقعين أن أريد فى هذه الساعة ؟

لمياء : « رد فعلها الأول هو أن تحمى صدرها بيديها . يرتجف صوتها خوفاً . ماذا تعنى ؟ قل لى : ماذا تريد ؟

المقنع : أنت وحدك هنا ؟

لمياء : وحدى .. لا . لا . معى

المقنع : « ينظر إليها بحدة فتتوقف عن التلعثم والتردد » من هو سامى اى كنت تنادينه ؟ « ويتقدم منها »

لمياء : أخى . « وهى تتراجع »

المقنع : تعيشان وحدكما هنا ؟

لمياء : نعم .

المقنع : أين هو الآن ؟

لمياء : ليس هنا . مسافر . لا . لا . سهران . سهران عند زملائه « تحاول أن تتخابث » قد يعود فى أية لحظة .

المقنع : مسافر أم سهران عند زملائه ؟

لمياء : مسافر .. لا . لا . سهران . ماذا تريد منه ؟

المقنع : لا أريد منه شيئاً . أنت تكفيننى وتؤمنين لى كل ما أريد .

لمياء : « بفزع » أنا ؟ « تتراجع راجية » حرام عليك أنا بنت مستورة .

المقنع : وتريدين أن تظلى مستورة ؟

لمياء : أرجوك . يستر على حريمك .

المقنع : هذا يعنى أن أخاكِ لن يعود كما قلت .

لمياء : أقبل يديك . خذ ما تريد واستر على .

المقنع : ماذا لديك ؟

لمياء : تريد مالاً . اليس كذلك ؟ أنت قادم لتسرق ولست قادماً من أجل أى شىء آخر . سأعطيك المال « تفتح الخزانة تتناول حقيبتها اليدوية وتقدمها له خذ . فتشها خذ كل ما فيها .

المقنع : **« يفتح الحقيبة . يفتش محتوياتها . يخرج نقوداً وخاتماً وساعة يضعها فى جيوبه ثم يلقى بالحقيبة على السرير » وإلى أين سافر أخوك سامى ؟**

لمياء : تعرف اذن انه مسافر ؟ هذا يعنى أنك تعرفنا وتراقبنا . من أنت ؟ ولماذا تتكلم بهذا الصوت الغريب ؟ تخاف أن أعرفك من صوتك . اليس كذلك ؟ إذن أنت واحد من الجيران . لاشك أنك كنت تراقبنا منذ زمن « تتطلع من النافذة » أى أنك تسكن شقة فى تلك الأبنية المطلة علينا . هل كنت تراقبنا بمنظار ؟

المقنع : « يتطلع إليها بهدوء ويبدأ بعد النقود »

لمياء : اعترف أنك من أولئك الشاذين المرضى الذين يستمتعون بالتلصص على الناس وهم فى بيوتهم .

المقنع : « يتقرب منها ، فتتراجع مذعورة »

لمياء : لا تتصورنى امرأة ضعيفة . إننى أستطيع المقاومة ولايمكن أن تتغلب على بسهولة . سأصرخ . حتى لو أطلقت على النار . سأموت قبل أن أسمح لك بتلويث شرفى .

المقنع : ولم الموت ؟ يمكن أن يُفتدى الشرف بأشياء كثيرة .

لمياء : خذ أى شىء تريده . هاهو البيت أمامك .

المقنع : « يلتفت حوله » ولم تعذبيننى بالبحث ؟ « يقترب منها » أنت ستعطيننى ما عندك .

لمياء : انتظر . انتظر . ابق مكانك . لن أعذبك بالبحث . أنا أدلّك على كل شىء . « تفتح درج الكومودينة » خذ هذه اسورة ذهب . ذهب عيار ٢١ . خذها . هيا . خذها وانصرف « يتأمل الاسورة باعجاب » اسمع طالما أنك رضيت بهذه الاسورة ولم تضايقنى ، كن واثقا أننى سأسمح لك بالانصراف . وأعدك أننى لن أصرخ بعد ذهابك ولن أبلغ الشرطة . حتى أخى لن أقول له إننى تعرضت للسرقة . ما رأيك ؟ يجب أن تثق بكلامى . تعرف لماذا ؟ لقد افتديت شرفى بهذا المال ولن أقبل أن تلوث سمعتى بعد أن ضحيت هذه التضحية .

المقنع : ماذا تقصدين ؟

لمياء : أريد أن أطمئنك إلى أنك تستطيع الذهاب بهدوء . لن أصرخ ولن أطلب النجدة .. ولن أقول لأى إنسان رغم أننى أشك بأننى عرفتك . أنت الشاب الذى يقف على شرفة الطابق الثانى عارى الصدر لتستعرض عضلاتك أمام الجيران . واحياناً تخرج بالسروال الداخلى فقط . هذه لاحق لك فيها . عيب . احتشم يا أخى حتى لو كنت رجلاً يجب أن تحتشم . لماذا تتصورون أن الحشمة للنساء فقط ؟ لماذا لا يخطر لكم انكم انتم ايضاً يجب ان تحتشموا وان اجسادكم يجب أن تغطى .

المقنع : لم يخطر لى أن رؤية أجساد الرجال تزعجك .

لمياء : أنت حر . أنا لا علاقة لى ...

المقنع : وتريدين إقناعى أنك لن تبلغى عنى حتى بعد أن عرفتينى ؟

لمياء : كن واثقاً .. وانا بهذا أحمى نفسى . لا أحميك أنت . تعرف لماذا ؟ لأن الجميع سوف يتقولون : داهمها رجل فى البيت وهى وحيدة بملابس النوم فى منتصف الليل . أنت تعرف أننى وحيدة دائماً وبعد عودتى من العمل أقضى وقتى كله وحيدة وبما أننى لا أتوقع زيارة أحد وخاصة عند سفر أخى فإننى أظل بملابس النوم . « يهز رأسه متفهماً » يبدو أنك تعرف ذلك أيضاً . وهذا ما يشجعك على اقتحام المنزل . إياك أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكون قد خطر لك اننى استعرض نفسى امام النافذة من اجل ان ترانى انت وامثالك . انا آخذ حريتى فى بيتى مثلما تأخذ حريتك فى بيتك . انت تأخذ حريتك على الشرفة امام اعين الناس . انا فى بيتى فقط . الا يحق لى ذلك ؟

المقنع : يحق لك طبعاً .

لمياء : ومع ذلك فأنت تستغل فرصة كونى وحيدة لكى تقتحم على وحدتى وانا بملابس النوم .

المقنع : صدقينى .. كنت افضل ان لا اجد احداً بدل ان اجد امراة وحدها فى الليل وبملابس النوم تنتابها مخاوف لا افكر فيها .

لمياء : تريد ان تقنعنى انك لا تفكر فيها ؟

المقنع : انا لااريد إقناعك بشىء . لكننى ، فعلاً لاافكر فى ما تفكرين فيه .

لمياء : وما الذى تظن اننى افكر فيه ؟

المقنع : اقصد المخاوف .

لمياء : اليس من حقى ان اخاف ؟

المقنع : من حقك طبعاً . انا ايضا خفت حين احسست بوجودك فى البيت . ولكن لا بأس . امراة بملابس النوم حريصة على السمعة والشرف والستر لن تركض إلى الشوارع نصف عارية وهى تولول . وهذا يعنى اننا نستطيع ان نتفاهم بهدوء ودون !؟

لمياء : طالما انك لن تزعجنى فلن ابلغ عنك لأن احداً لن يصدق انه لم يحدث بيننا شىء خاصة إذا كنت واحداً من الجيران . هل اقتنعت الآن ؟ التبليغ عنك سيسبب لى فضيحة انا فى غنى عنها .

المقنع : تخافين الفضيحة؟

لمياء : وهل هناك امراة لا تخاف الفضيحة ؟ انا بالذات اكثر حرصاً على سمعتى من جميع النساء اللواتى اعرفهن . لقد صار عمرى خمساً وثلاثين سنة ولم اتزوج يكفى ان أُعتبر عانساً . اما عانس وسمعة سيئة فهذه مسألة تقضى على مستقبلى كله

المقنع : تذكرينى بنكتة المراة التى قالت : يعجبنى الشاب الذى له مستقبل فأجابها رجل : وانا تعجبنى المراة التى لها ماض . اليس لك ماض ؟

لمياء : انا ؟ مستحيل . « بشىء من الحزن » ليس لى ماض ولذلك لا أريد ان افرط بالمستقبل . « تجلس بهدوء » هل انت مطمئن الآن ؟ هيا . تستطيع ان تخرج .

المقنع : « ينقل نظره فى الغرفة يفتح الخزانة . يتأمل الملابس »

لمياء : لا تغرك هذه الملابس نحن لسنا أغنياء . صدقنى لقد أخذت كل ما لدينا إننى لم أوفر الكثير فى حياتى .. كل ما كنت أوفره كنت أشترى به ملابس . أتسلّى بالملابس . وهى كما ترى ، كلها ملابس محتشمة . هذه ايضاً من اجل السمعة .

المقنع : والمظاهر ..

لمياء : ربما .

المقنع : لو تعرفين كم تضحى بعض النساء من أجل الحصول على أشياء كهذه . بعضهن يعملن مومسات لفترة من اجل ملابس وادوات زينة .

لمياء : لا أسمح لك . هذا لا يمكن ان ينطبق علىّ . ما تراه اشتريته من راتبى . انا موظفة .

المقنع : لا اقصدك انت . ولكن المراة مخلوق عجيب فعلاً . تصورى هذه المفارقة امراة تبيع نفسها للرجال مرغمة من أجل مال يضمن لها مظهراً يرضى الرجال ثم تشكو من ابتزاز الرجال . لماذا قيمة المراة عند الرجل دائماً ؟

لمياء : هكذا تشير الأمور يجب ان تكون المراة مُرْضية للرجل .

المقنع : ولكن بدلاً من ان تقدم جسدها لقاء المال لماذا لا تؤمن المال بطريقة اخرى تضمن لها شرفها وسمعتها ؟

لمياء : كيف ؟

المقنع : بالعمل ، بالسرقة ، بالنشل ، بالتجارة ، بالتهريب .

لمياء : حلُولك عجيبة !

المقنع : « يفتح درجاً فى الخزانة ويخرج بعض الملابس الداخلية »

لمياء : « تهجم عليه » مالك وهذه المسائل ؟ اتركها من يدك

المقنع : « يلتفت إليها بالمسدس »

لمياء : ملابسى الداخلية ، مالك ومالها ؟

المقنع : « يظل يتأمل كل قطعة على حدة . يضع بعضها جانباً »

لمياء : عيب . والله العظيم عيب ! مالك وهذه الأشياء ؟ أيها الشاذ المريض المكبوت ـ انت معقد بالتأكيد ـ أنت من هذا النوع الذى يقتنى الملابس الداخلية للنساء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا تستفيد ؟ قل لى . هذه الأمور يجب أن تكون أكبر منها . كل امرأة فى الدنيا تلبس ملابس داخلية . المرأة شىء وثيابها شىء آخر . اقتناء الملابس لا يعوضك عن الالتقاء بالمرأة . الملابس موجودة فى البوتيكات تستطيع أن تتفرج عليها فى الواجهات . اين تأخذها ؟

المقنع : لم أنت خائفة

لمياء : لست خائفة . لكننى لا أريدك أن تأخذ شيئاً منها . أعرف كل أنواع العقد التى تتحكم بكم أيها الرجال : ولكن لا . ربما كنت مجرد كذاب مدع . تجمع الملابس الداخلية لتتباهى أمام زملائك المكبوتين بأنها لنساء تركنها فى بيتك .

المقنع : الا يمكن أن يكون لها استخدام آخر ؟

لمياء : أى استخدام ؟

المقنع : لبسها مثلاً

لمياء : تلبسها أنت ؟ لا . معنى هذا أن مرضك خطير جداً .

المقنع : الا يسرق المرء إلا لنفسه !

لمياء : لمن ستسرق ؟ لزوجتك ؟ لصديقتك ؟ لأختك ؟ ما من امرأة تقبل أن تلبس الملابس الداخلية لا مرأة أخرى . تقرف !

المقنع : متأكدة ؟

لمياء : طبعاً

المقنع : هناك من يمكن أن يلبسها بسبب الحاجة . الحاجة تلغى القرف . هل ستستغنين عن بعض القطع ؟

لمياء : « بسخرية » مهذب ! وتستأذن ايضاً .

المقنع : أستأذن لأنها فاخرة .

لمياء : وتفهم فى الأنواع ايضاً ؟

المقنع : ماذا قلت ؟ سآخذ بعض هذه القطع .

لمياء : أخذت ما هو أهم دون أن تستأذن .

المقنع : تقصدين المال ؟ لكننى تركت لك ما هو أهم بالنسبة لك : الشرف .

لمياء : من يسمعك يظن أنك تهتم للشرف فعلاً . « بعصبية » ماذا تظن ؟ هل الشرف هو ذلك الشىء فقط ؟ الشرف مرتبط بكل نواحى الحياة . السارق لا يمكن أن يكون شريفاً .

المقنع : يبدو أنك لم تقرئى أرسين لوبين . يسمونه اللص الشريف .

لمياء : ها ... إذن أنت من الهواة الذين يقرأون القصص او يرون الأفلام ثم يقلدونها هذا يعنى أنك صغير . فى حدود العشرين . لأجل هذا تضع هذا التشوش على صوتك . لابد أنك ذلك المراهق الذى يظل واقفاً على الناصية ليتحرش بطالبات المدارس الصغيرات ما الذى يعجبك فى هذى التلميذات الحمقاوات ؟

المقنع : ألا تعجبك التلميذات ؟

لمياء : صغيرات . لو أنك ناضج جسدياً او نفسياً لحاولت أن تجد امرأة ناضجة . ولكن لا ... يبدو أنك مراهق فعلاً !

المقنع : ثقتك بنفسك زائدة . تحكمين على وعلى عمرى وحتى على شخصى . منذ قليل كنت الذى يتلصص من النافذة وبعدها الذى يستعرض عضلاته على الشرفة والآن صرت المراهق الذى يطارد الفتيات الصغيرات . أنا لست مراهقاً

لمياء : أعرف هذا التطاول على العمر . الفتيان الذين ظهر زغب الشعر على وجوههم وأجسادهم ويريدون أن يوحوا أنهم رجال . لهذا تضخم صوتك ؟ هيا . هيا ياولد . لقد أخذت ما تريده . انصرف الآن .

المقنع : « يقترب منها » لم آخذ كل ما أريده بعد .

لمياء : « بخوف » ما الذى تريده غير ما أخذت ؟

المقنع : ما زالت لديك أشياء أخرى . أعطينى ما تخبئينه قبل أن يحدث ما ينبه الجيران وتقع الفضيحة .. هيا .. اظهرى المخبأ ..

لمياء : كأنك تعرف بيتنا جيداً . تعرف أحوالنا ايضاً . ماذا تريد ؟ العقد ؟ هذا لا أستطيع أن أعطيك إياه . ليس من أجل ثمنه . تعرف أنه من المرحومة أمى

المقنع : بصراحة أنا أفضل الأموال النقدية . لا أحب أن أتورط فى البيع . قد يؤدى البيع إلى الشرطة .

لمياء : قلت لك لن أبلغ . ثق بكلامى .

المقنع : سأثق . اسمعى . العقد لا أريده . وقبل أن أراه أبيعك إياه .

لمياء : « تضحك رغماً عنها »

المقنع : « يجاريها فى المزاح » وانزّل لك فى السعر .. اقصد إذا كان لديك أموال من نوع آخر سأترك لك العقد والساعة والخاتم .

لمياء : أموال من نوع آخر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقنع : ماركات ، دولارات ، جنيهات .

لمياء : « تتطلع إليه مدهوشة ت» أنت تعرف عنا أكثر مما كنت اتوقع . لدى دولارات فعلاً . ولكن كيف عرفت ؟ أنت لست من أصدقاء أخى . أخى لا يجلب أصدقاءه إلى البيت . إلا نادلاً . حريص لأنه لديه أخته فى البيت يفضل أن يسهر خارج البيت .. والذين يجلبهم معه من ذلك النوع السمح الذى يدعى التهذيب فلا يرفع رأسه او نظره عند كل حركة « تقلده » يتمتم ياستُّار خذوا طريقاً . ويطرق برأسه ويخرج . أنت واحد من هؤلاء المنافقين أنت وليد الذى يأتى ليسأل عن أخى دائماً . أنا أفهم لعبتك تمر بالبيت لتأخذه معك إلى السهرة بدل أن تواعده فى مكان آخر . تقول لنفسك : ربما فتحت لمياء الباب . وحين تفتح لمياء تدعى التهذيب « تقلده » إذا سمحت ياأختى قولى لسامى إن وليد ينتظره . أنا واثقة انك تنظر إلى وإلى النساء كلهن من تحت لتحت ، على الرغم من التهذيب الذى تفتعله اسلوب جديد . بدل أن تتطلع إلى أخت صديقك مباشرة وتجعلها تحس برغبتك فيها تفتعل هذا كله لكى تلفت نظرها وتظر صديقك بأدبك وتهذيبك « تزداد انفعالا وعصبية » لكن هذا الأسلوب لم يعد ينفع . المرأة تحتاج إلى من ينظر إليها مباشرة . من يجعلها تحس بأنها مرغوبة ومشتهاة . حتى لو تمنعت ووارت نفسها وراء الباب وهى تحدثك فإنها تريد ذلك . اما اسلوبك السمج هذا فإنه يثير قرفى رغم انه يرضى أخى . اتسمع ؟ يثير قرفى ويولد عندى الرغبة فى أن أصفعك واشدك من شعرك كأنك ولد افسده التدليل يريد أن يتابع اسلوبه المهذب حتى تبادره المرأة نفسها ؟ « يعلو صوتها » ماذا تتوقع ؟ أن القى نفسى بين ذراعيك ؟ أن اهمس لك أخى ليس هنا ادخل . أو خذ أخى إلى السهرة وارجع وحدك فأنا أنتظر ؟ ماذا تظن نفسك ؟ وماذا يعنى إذا كان شعرك جميلا ولحيتك جذابة ؟ مهما كنت جذاباً لن تجد امرأة ترمى نفسها عليك . أنت لا تفهم النساء . يجب أن تبادر وأن تلمح وتوحى .

المقنع : استفدنا من هذه الزيارة بدرس جديد عن أسلوب التعامل مع النساء .

لمياء : استفدت ؟ عظيم ! ها قد قدمت لك فائدة لأنك صديق أخى . وبما أنك صديق أخى وبما أنك مدين لى بهذا المعروف يجب أن تقترب لى الدولارات . أنت تعرف اننى جمعتها . من أجل السفر .

المقنع : تؤجلين سفرك .

لمياء : لا أستطيع . قدِّر أنت . صار عمرى خمسة وثلاثين عاماً . إننى أجمع هذا المبلغ منذ سنوات . وحتى المبلغ الذى اخذته كنت سأصرفه دولارات حين يعود أخى من سفره . اريد أن أجمع ما أستطيع جمعه لكى أغادر البلد

المقنع : إلى أين ستذهبين ؟

لمياء : إلى جهنم ! مللت من حياتى الموحشة الخالية من أى طعم . لن تصدق اننى كنت أتمنى أن يحدث لى شىء مما حدث اليوم . أعنى ان اتعرض حتى للخطر . لأى حادث مثير يحرك ركود حياتى . لم أعد أستطيع البقاء هنا . صارت حياتى خانقة . موعودة بفرصة للسفر إلى استراليا . هناك أستطيع أن أعيش حياتى بعيداً عن مفاهيم العنوسة والفضيلة والتقاليد . هل أشيخ هنا وأصبح عانساً عجوزاً ؟

المقنع : وأخوك موافق على سفرك ؟

لمياء : اسأله

المقنع : يبدو أنك مصرة على أننى من أصدقاء أخيك .

لمياء : سواء كنت من أصدقائه أم لم تكن لم أعد اهتم لشىء . قلت له إننى سأسافر ورجوته أن لا يحاول الوقوف فى وجهى لئلا اتصرف بحماقة .. إننى مستعدة لتحطيم كل ما يقف فى طريقى .. اريد أن أعيش . أن أتزوج ... انجب .. اصبح اماً .

المقنع : لا افهم توترك هذا .. المفروض أن تكون الفرصة متاحة أمامك لأنك لست قبيحة .

لمياء : شكراً .

المقنع : أنت فعلاً لست قبيحة . لماذا لم تتزوجى حتى الآن ؟

لمياء : « تنفجر بالبكاء » لابد أن فى خطأ ما لا أعرف ما هو . الجو المحيط بنا غير متحفظ وكان دائما هناك شباب .. لكن لا أعرف لماذا . لم يكن أحد من الشباب يتجرأ ويبادرنى . كنت دائماً لطيفة معهم . لطيفة ومهذبة . أعنى لطيفة وغير رخيصة ! لذلك كانوا يحسون دائماً أن هناك حدوداً . وكنت أقول لنفسى سأنتظر إلى أن أتزوج الرجل المناسب لكن لا أدرى ما الذى يحدث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناك أشياء تفر من اليد .. وأهمها العمر .

المقنع : لست كبيرة فى العمر .

لمياء : مجاملة اخرى اشكرك عليها . ولكنك لا تعرف كيف أعانى من هذه المسألة . هناك أجيال جديدة تقتحم الساحة من حولى دائماً . كل بنت عمرها خمس عشرة سنة تصبح جاهزة لأن تكون عروساً يعنى يمكن أن تحل محلى . والرجال يفضلون البنات الصغيرات . وهكذا تشيخ الواحدة منا قبل أوانها لأن فرصها تتضاءل .

المقنع : اظن انك ارتكبت خطأ ما .

لمياء : ما هو ؟

المقنع : لم توحى لمن حولك انك ممكنة

لمياء : ممكنة ؟

المقنع : يعنى ... أن يحس الرجال انك انثى طبيعية مستعدة فى الوقت الملائم . الوضع الطبيعى ان ترغب كل امراة فى الرجال وان يرغب كل رجل فى النساء . اقنعيهم انك طبيعية .

لمياء : ا الرخص لا أستطيعه

المقنع : ليس رخصاً . هو تأكيد الهوية .

لمياء : لم افهم .

المقنع : يعنى أن يحس الرجل انك امراة .

لمياء : وماذا أنا ؟ ما الخطأ فى ؟ ألست امراة ؟ ألا ترانى امراة ؟

المقنع : امراة . امراة . ولكن بعض النساء يردن أن يوحين دائماً انهن رجال . اى أن الرجال الآخرين لا يعنون لهن شيئاً . وأن اللقاء بالجنس الآخر لا يعنيهن صحيح أن النساء بحاجة دائماً إلى شيء من التمنّع . ولكن يجب أن لا يكون امتناعاً أو مناعةً .. اقصد أن لا يوحى بالاستحالة .

لمياء : لم أفهم .

المقنع : بعصبية »

يعنى أن يحس الرجل القريب منك أن هذه المراة ، إذا كانت فى ظروف معينة ، يمكن أن تكون امراة ممتعة وظريفة ولطيفة . وعندها يسعى هو لتأمين هذه الظروف : باللطف ، باستعراض القوة ، بالجو الرومانسى ، بالموسيقى ، بالمال ، بالجاه ، بالصداقة بالزواج .. لكل امراة مفتاح .

لمياء : وهذا المفتاح موجود « دائماً عند الرجل »

المقنع : طبعاً . لأن حديثنا عن موضوع اللقاء بالرجل . ولكن لا تحملى المسألة اكثر مما تستحق . الرجل يتوهم أن المفتاح فى يده . مع أن المفتاح ، فى الحقيقة ، بيد المراة يعنى أن المراة التى يعجبها الرجل تجعله يحس بذلك بطريقة خاصة وبحيث تجعله يحس انه هو الذى يضغط عليها أو يورطها او يستدرجها .

لمياء : ولكن سوء الحظ يلعب دوره .

المقنع : لا علاقة لسوء الحظ بالموضوع .

لمياء : بل له كل العلاقة . أنا امراة سيئة الحظ . سأقبل معك أننى لم أكن أعرف كيف أجتذب الرجال . ولم يعد من الممكن تغيير الأسلوب وسط هذا الجو الذى عشت فيه وكبرت فيه ، صار عمرى خمسة وثلاثين عاماً . لا أستطيع الرجوع إلى أسلوب المراهقات لا أستطيع أن اغير أسلوبى مع « وليد » الذى ظننته انت . سيكون وضعى مثيراً للسخرية أو الاحتقار . حتى هوسيكون مفاجئاً له . وقد يعتبرنى رخيصة او مبتذلة كما انه هو الآخر يبحث عن عروس صغيرة . لابد لى من البدء من جديد ولكن فى جو مختلف . ولهذا سأهاجر .

المقنع : واين سوء الحظ فى هذا ؟

لمياء : هل هناك وضع يشجع على الاقتراب من المراة أكثر من وجودها وحدها ليلاً فى غرفة نومها وبلباس النوم ، هأنذا فى هذه الحالة .. وبدل أن يقتحم على غرفتى رجل يستغل الفرصة يكون حظى رجلاً مثلك مليئاً بالعقد يبحث عن المال والحلىّ ويحدثنى عن الملابس الداخلية والرجال الآخرين .

المقنع : كأنك تعرضين على شيئاً .

لمياء : أنا لا أفرض عليك اى شيء . ولكن انت كان يجب أن يخطر لك ذلك .

المقنع : أنت حذّرتنى منذ أن دخلت .

لمياء : طبعاً . انت قلت يجب أن يكون هناك تمنع .

المقنع : ولكن .. انا .. أنا لم آت من أجل ذلك .

لمياء : أنت أحقر انسان صادفته فى حياتى .

المقنع : لأننى حافظت على شرفك ؟

لمياء : لأنك جردتنى حتى من إمكان الخوف على شرفى أو التفريط فيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقنع : أنا لم أفعل شيئاً إلا بناء على رغبتك .

لمياء : لم تكن لدى رغبة فى أن تأخذ نقودى وتعبث بملابسى ،

المقنع : اقصد ما يتعلق بك شخصياً .

لمياء : ما يتعلق بى شخصياً .. ألم تقل منذ قليل إن من الطبيعى أن يفكر الرجل فى المرأة وأن تفكر المرأة فى الرجل ؟

المقنع : صحيح .

لمياء : وها أنت وحدك معى وبيدك سلاحك

المقنع : كيف غيرت رأيك ؟

لمياء : لم أغير رأيى . الوضع هكذا فعلاً . أنا وأنت وحدنا .

المقنع : أنا لم آت من أجل هذا

لمياء : لكن هذا توافر الآن

المقنع : أنا لا أفه/ ٧ + ﷲ ÷ ، إ إ - ، ٧

لمياء : مستحيل لن أدعك تذهب .

المقنع : أرجوك .. أقبل يديك . لا تعرضى نفسك على بهذه الطريقة ..

لمياء : مجنون !

المقنع : اعتبرينى مجنوناً ، اعتبرينى شاذاً اعتبرينى ما تشائين .. لكن أرجوك ... توقفى عن عرض نفسك على .

لمياء : ربما كنت قاصراً أيضاً .

المقنع : ربما . اعتبرينى كذلك أيضاً . أنا فعلاً لا أحب النساء

لمياء : كذاب .. سأرى إلى أى حد ستقاوم « تهم بخلع ملابسها »

المقنع : « يغير أسلوبه فوراً ويتكلم بحزم » اسمعى . تستطيعين أن تلعبى هذه اللعبة مع غيرى .

لمياء : أية لعبة ؟

+ : الغواية .. ثم التوريط .. ثم إحباط كل شىء والتسليم للشرطة .

لمياء : دون توريط . تستطيع أن تقيدنى إلى السرير .

المقنع : إلى أن يجدونى فى الصباح .

لمياء : فيعرفون أننى تعرضت لهجوم .. وأن كل شىء تم دون إرادتى .

المقنع : وسمعتك ؟

لمياء : لم أعد مهتمة بها . قلت لك أننى سأسافر فليقولوا ما يشاؤون ؛ فليقولوا إنها تعرضت لهذا الحادث وبعد ذلك لم تستطع البقاء .

المقنع : لا . أرجوك . أنا لست من هذا النوع

لمياء : يعنى أنك ترفض .

المقنع : لصالحى ولصالحك .

لمياء : هل أنا قبيحة إلى هذه الدرجة ؟

المقنع : بالعكس . جمالك مقبول . كما أنك بهذا اللباس تبدين مثيرة للرجال .

لمياء : إذن ..؟

المقنع : قلت لك .. لست من هذا النوع . اعذرينى . سأذهب الآن .

لمياء : انتظر .

المقنع : تريدين إطالة الحديث إلى أن يفاجئنا أحد !

لمياء : صدقنى . لن يفاجئنا أحد . أخى مسافر ولن يعود إلا بعد أيام . وأنا أصلاً لا يزورنى أحد . إننى أعيش وحيدة وحيدة تماماً . وها نحن فى منتصف الليل . ليس هناك أى احتمال ؛ تستطيع أن تتصرف وكأننا كنا على موعد .

المقنع : لا أريد أن أضيف لأحزانك حزناً جديداً .

لمياء : وتحس بأحزانى ؟ أشكرك . أنت أول إنسان يحس بأحزانى . أول انسان أكشف نفسى أمامه بهذا المقدار . على الرغم من قناعك وصوتك المستعار .. لقد وصلت إلى الاختناق من أحزانى . لن تضيف لأحزانى شيئاً .

المقنع : ومع ذلك لا أستطيع . سأذهب .

لمياء : اسمع . لقد استدرجتنى حتى عرضت نفسى عليك . وها أنت ترفض . إنك بهذا تهيننى إهانة بالغة . أقسم لك أنك إذا حاولت الخروج بهذه الطريقة فإننى سأخرج حتى أجمع الحارة . وسأركض وراءك فى الطريق إلى أن يقبضوا عليك .

المقنع : تركضين وأنت بهذه الحالة .

لمياء : حتى لو كنت عارية : هل أريك ؟ « تهم بالتعرى » سأتعرى ثم أصرخ .

المقنع : يبدو أنك ستجبريننى على إطلاق النار .

لمياء : يجب أن تبتلى بجريمة قتل لكى تستحق الإعدام !

المقنع : هذا يعنى ! أنك تريدينى أن أقيدك وأكمم فمك

لمياء : جرب !

المقنع : ألست امرأة عجيبة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمياء : أنا امرأة عجيبة أم أنت رجل عجيب ؟ هل من المعقول أن تصادف امرأة فى مثل وضعى دون أن يخطر لك أى شىء ! أنت تستحق الإعدام لهذا فقط وليس من أجل السرقة . على أية حال سأواجه الفضيحة وأنت تواجه العقوبة التى تستحقها وكل منا لم ينل شيئاً ستدفع ثمن ما لم ترتكبه .

المقنع : سأعيد إليك الأموال . « يلقى بالأموال على السرير »

لمياء : لا أريدها ستحتاج إلى ما هو أكثر من إعادة المال لكى تقنع الآخرين بأنك فى منتصف الليل مع امرأة شبه عارية وأنت برىء من التفكير فيها . « تتجه إلى النافذة »

المقنع : ماذا تفعلين ؟

لمياء : سأصرخ وأجمع الناس .

المقنع : مجنونة « يتقدم نحوها ويمسك بيدها فيلويها وراء ظهرها . تتأوه بغنج وتستسلم له بسهولة . يشدها ويلقى بها على السرير . تقع بسهولة . يهم بالذهاب فتقفز نحو النافذة . يعود إليها ويمسك بها . تمد يدها الأخرى وتداعب جسده تفاجأ ؛ تتطلع إليه مندهشة فيما يحاول أن يبعد جسده عنها . تتشجع أكثر وهى تزداد اقترابا . المقنع يتركها ويحاول أن يبتعد . لمياء تهاجمه . المقنع يريد الخروج . تمسك به عند الباب . يتعاركان . تنجح فى شد قناعه ووشاحه فيتضح أن المقنع امرأة . »

« لمياء تتطلع إليه مشدوهة مفجوعة . الاثنتان واقفتان بصمت . لمياء تنفجر بالبكاء وترتمى على السرير . المرأة الأخرى تتطلع إليها بحزن . »

سوريا : ممدوح عدوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التجربة التشكيلية في أعمال الفنان فاروق بسيونى

سعيد المسيرى

■■ تتنوع مساهمات الفنان فاروق بسيونى فى مجال الفن التشكيلى .. فإلى جانب مشاركته بالتدريس فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ... نقرأ له متابعاته وآراءه النقدية عن الابداع التشكيلى فى مصر بالاضافة إلى نشاطه فى تقديم وشرح الإتجاهات الفنية الحديثة فى الخارج ساعياً بإخلاص لتحقيق تلك الصلة التى ما زالت واهية بين الأعمال التشكيلية والفنانين المبدعين وجمهور المتلقين كما كانت له ممارسة تطبيقية حاول فيها الإفادة من قيم التشكيل بتوظيفها فى عملية الإخراج الصحفى وذلك فى فترة إشرافه فنياً على مجلة "الثقافة".

وتأتى هذه الأنشطة موازية لاهتمامه الأساسى بأن يكون له إبداعه وبحثه الفنى كمصور له خصوصيته سواء فى الرؤية او فى المعالجة التشكيلية .

وفى محاولة لتقديم أعمال الفنان فاروق بسيونى فى فن التصوير عبر نماذج مختارة من ثلاث مراحل لإنتاجه يظهر واضحا الاختلاف بينها سواء من ناحية مشكلة البحث أو طريقة المعالجة .

فى أول تلك المراحل شغله التعبير عن موضوعات معبرة عن حيره الانسان وضياعه فى مواجهة الحياة وذلك بإسلوب نلحظ فيه تأثيرات قوية لدراسته الأكاديمية سواء أكان من ناحية تركيب الصورة ونظام بنائها أو طريقة تسجيله لعناصرها ، وذلك وذلك من خلال جو يشع منه إحساس بالغموض .

أما من ناحية الحلول التشكيلية فهناك سيطرة الرؤية المباشرة للواقع ، بتدقيقه فى حسابات أبعاد وترتيب العناصر فى العمل واهتمامه بواقعية حساباته للضوء والظل لتجسيم عناصر العمل ، وكذلك لتأثيرهما على الألوان وتدريجاتها بالشكل الذى يفيد منه فى خلق إحساس درامى فى عمله الفنى . وقد يسلبه استغراقه فى كل هذه الحسابات انطلاقة الفنان الحرة ومعايشته لروح الموضوع الذى يعبر عنه وتنحسر جهوده فى إطار تلك المعالجات التى تحدها ، ـواصفات الواقع والطبيعة .

ولكننا فى اللوحة رقم (١) نستطيع أن نلحظ حرية أكثر تتجاوز مطابقة الواقع ـــ ولو بقدر محدود ـــ سعياً لتحقيق التعبير عن رؤية فنية وحالة شعورية خاصة تتعاون كل عناصر لغة التشكيل فى تحقيقها . فى تركيبة عامة للوحة تتجه إلى التطور نحو التعبير عن روح الموضوع .

وعلى الرغم من ما يظهر فى هذا العمل من الأخذ عن الواقع سواء أكان من ناحية جلسة الشخصية المحورية فى اللوحة ، أو من ناحية الإلتزام بشكل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كبير بالتفاصيل التشريحية وطبيعية كل العناصر المكونة للعمل .... الا أننا نجد هنا تحرراً من مطابقة نسب تلك العناصر للنسب الطبيعية ، بل نجد مبالغات فى تلك النِّسب فى سبيل تأكيد الجانب التعبيرى والإحساس الجمالى فى بناء العمل ككل ... كما نجد انطلاقة حرة فى اختيار زوايا تسجيل بعض العناصر المكونة للعمل ... فمثلاً يتعمد أن يقود حركة رؤيتنا للعمل بتلك المساحة التى لا يمكن تغافلها ، وهى منطلقة فى شكل يؤكد اتجاه الحركة إلى الداخل ، وتكاد تكون صلة بين الواقع الذى نعيشه وعالم اللوحة الذى يفيد من هذا الشكل للتوصيل إلى عمق اللوحة ، حيث يسلمنا إلى تلك الايقاعات المتحركة فى عناصر من الأبيض والأسود تقود إلى كتف الشخصية الرئيسية فى العمل ، حيث نرى ذلك الوجه الإنسانى ، وما يحمله من تعبير شارد ، ويتجه بصرنا بعد ذلك إلى الكتف الآخر ، وعبر الاتجاه الذى تحركنا فيه اليد المنثنية حيث نلتقى من جديد مع خطوط تلك المساحة المندفعة إلى العمق فنعاود من جديد حركتنا فى دائرة الرؤية للعمل ، وإن كان النظر ينحصر بشكل أساسى فى تلك الدائرة ، التى يصعب الخلاص منها إلا لاتجاهات ضعيفة ثانوية ويرجع من جديد للدوران فى الدائرة الأساسية الأولى ليتعمق الإحساس الذى قصده الفنان وحصر دائرة رؤيتنا فى معايشته .

ويحرص فاروق بسيونى أن تكون معالجته للتفاصيل والجزئيات فى العمل مؤكدة لذلك الإحساس بالشجن والانكسار الذى قصده ؛ مثلما نراه فى طريقة تصويره لثنايا الملابس وما فيها من تهدل وانثناءات وفى تعبيره بتلك اليد العاجزة المتدلية فى استكانة .

ويأتى كل هذا فى ذلك الجو اللونى الذى يسيطر عليه الأزرق والأسود من خلال معالجة لونية تعطى إحساساً ضبابياً ورؤية غائمة تذهب ببعض تحديدات عناصر اللوحة وتؤكد قصد الفنان إلى ترجمة الإحساس بالضياع والحزن والعجز .

أما تلك العناصر البيضاء والسوداء المتحركة نستشعر كما لو كانت منهارة ومتساقطة إلى نهايَة غير محددة مكانياً ...

ويجانب ملاحظتنا محاولة لخلق جو موحش معبراً عن الشجن والحزن العميق من خلال الاستخدام اللونى للأزرق والأسود يمكن ملاحظة ما للون الأبيض من دور يسعى أن يحقق به إحساساً بالنور والوضوح والأمل .... وإن كان ما زال ضبابياً خافتاً .

وفى مرحلة ثانية لإنتاج الفنان يركز جهده لبحث العلاقة ما بين الكتلة وما حولها من فراغ فتتبادلان التأثير والتأثر ويدخل الضوء كعامل ثالث له تأثيراته بتفاعله مع عنصرى المحاورة .

وهو يختار مجموعة من الأوانى متنوعة الأشكال والأحجام اعتبرها ممثلة لعنصر الكتلة واستخدمها فى بعض الأعمال مجمعةً بشكل أو بآخر وأحياناً يستخدم واحدة منها ليقيم حواراً تشكيلياً بينها وبين الخلفية أو الفراغ من حولها .

وهو لا يكتفى بتقديم الفراغ دائماً فى حالة بسيطة بل أحياناً يشغل أجزاء منه بظلال تشغل جزءاً من مساحته حيث ينغم فيه وتنشأ حيرة لاختلافه عن الجزء الباقى من الفراغ .

أما الضوء فقد نوع وتلاعب بدرجة شدته التى أخذت فى الغالب مظهراً مسرحياً مبالغاً فيه ، كذلك تلاعب بزوايا إسقاطه من أجل تحقيق ظروف مختلفة تثرى حسابات البحث . وكل هذا عالجه غالباً بمجموعة من الألوان المحدودة (الأزرق - الأسود - الأبيض) بدرجاتها كما يضيف أحياناً الواناً أخرى تحتاجها عملية التشكيل كلون منفرد له خصوصيته .

وفى هذه المجموعة من الأعمال حقق الفنان دراسة جانبية لمدى إمكانية إقامة حوار ثرى معبراً بشكل درامى مؤثر بتلك المجموعة اللونية المحدودة .

وفى غالبية هذه الأعمال نستشعر احساساً بأن تلك الأوانى قد اكتسبت صفات أشكال إنسانية أو شخوص وحيدة ضائعة وإن كانت متجمعة فى صراع دائب ومستمر وما يتحلق حولها من فراغ قد يتخللها أحياناً .. فهى فى وقفة تسعى للصمود ومقاومة الضياع ، أو هى متجمعة فى ترقب لمواجهة أحداث سترتطم بها .

كنموذج من هذه المجموعة من الأعمال اللوحة رقم (٢) فمن خلال تكوين قد يبدو بسيطاً فى ظاهره استخدم فيه إناءً واحداً ووضعه فى موقع محدد اختاره على سطح اللوحة أما الفراغ من حول الإناء فقد أخضعه أيضاً لمعالجته التشكيلية فقسّمه إلى ثلاث مساحات عرضية مختلفة غير موازية للخط الأفقى للعمل ، وجاهد لتحقيق اختلافات تبعدها عن أن تكون متماثلة سواء من ناحية اللون أو فى طريقة معالجة السطوح والعجينة اللونية وذلك بالاختلافات الملحوظة فى اتجاه وحركة لمسات الفرشاة ودرجة الإنفعال التى تحركها .

وفى معالجته التشكيلية للإناء يبالغ فى حجمه وشكل فتحته العليا بدون حرص على مطابقتها للواقع ولقواعد المنظور هذا سعياً لتأكيد شكل بيضاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يحتاجه فى عملية تشكيل العمل ... كذلك عند تصويره لقاعدة الإناء يتجاوز الشكل الواقعى بل يعبر عنه بشكل أقرب للخط المستقيم مما يؤكد الإحساس باستقرار كتلة الإناء .

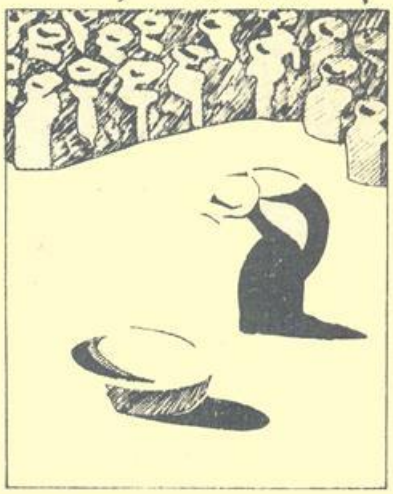

الإتزان بين الابيض والاسود والرمادى وتوزيع ايقاعات اللون الاسود

وفى اللوحة رقم (٣) يميل إلى إقامة الحوار مستخدماً عدداً اكبر من العناصر ، فنجد فى منطقة الضوء عنصرين ... وتتجمع مجموعة كبيرة تحت سيطرة درجات الأزرق فى منطقة الظل ... ويقيم حواره اللونى بين الأبيض والأسود والأزرق ودرجاتها مع تعمد إسقاط الضوء بشكل مسرحى يؤدى أن تكون درجات النور والظل ملخصة للغاية ومركزة وحادة معطية تأثيراً دراماياً قوياً ، وبجانب ما فى هذا العمل من اختلافات وتنغيمات ثرية ، فى الخطوط والمساحات يلاحظ أن ذلك النغم الموسيقى الذى يؤديه ذلك الخط المتموج الثرى الذى يقسم خلفية اللوحة إلى جزئين الأعلى الأزرق والأسفل الأبيض ما بين الزحام والتكدس فى الظل وما بين الحوار بين عنصرين فى الفراغ والنور ، بجانب هذا التنوع الثرى فى إيقاعات توزيع اللون الأسود سواء أكان فى الجزء السفلى للعمل أو ترديداته المتلاحقة الإيقاع فى الجزء الأعلى من اللوحة .

أما فى اللوحة رقم (٤) فإن خطة البحث فى العمل تأخذ شكلاً آخر فهى تلجأ إلى تقديم تكوين يعتمد فى أساسه على عمل علاقة وموازنة بين كتلتين إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة وما حولهما من فراغ ..

وقد حقق الفنان تناغما بين الهدوء والانسياب فى شكل الآنية السفلى وبين الإيقاعات القوية المتلاحقة فى الجزء العلوى من اللوحة . وحرص أن يخلق حركة رؤية العين لعناصر العمل ابتداء من حصرها فى الشكل البيضاوى فى أسفل اللوحة حيث استطاعت الإفلات من إساره لتتجه متحركة تتجول فى ذلك المثلث الرمادى أعلى اللوحة تطربها ايقاعات تلك الدوائر المتتالية لفوهات الآنية ثم تتحرك فى اتجاه فوهة الإبريق الأمامى الذى يسلم الرؤية من جديد إلى الشكل البيضاوى .... ولتأكيد الأهمية التشكيلية لهذا الإبريق نجد تلك البقع الحمراء الملتهبة التى تميزه وتؤكد كيانه عن غيره من عناصر العمل المستقرة فى جو ضبابى بارد .

الإتزان بين الأبيض والإسود والمثلث الرمادى

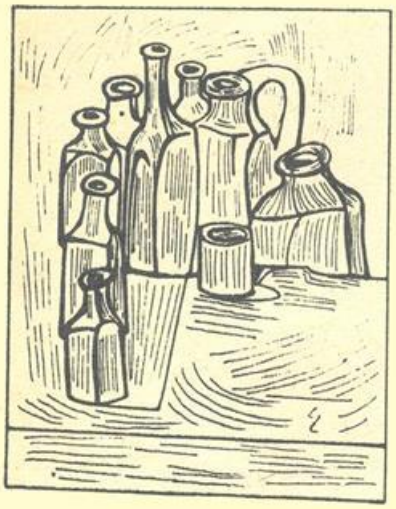

اتجاهات حركة الفرشاة على سطح اللوحة

أما فى اللوحة رقم (٥) فهو يواصل البحث ذاته ولكن مجموعة الأوانى متجمعة فى شكل جديد يفرض وجوده على الفراغ ويُضاد اللون الأزرق البارد السائد فى كل اللوحة بتلك المساحة الحمراء الساخنة والتى يلون بها واحدة من أوانيه الموضوعة بحساب دقيق بالنسبة لمكانها من اللوحة وتفيد ايضاً فى خلق مدخل لرؤية العمل .

والعمل يقدم تجريبا لخلق اتزان ما بين الأزرق والأسود والنور والظل - وموازنة مابين اللون البارد واللون الساخن رغم الاختلاف فى المساحة التى يشغلها كل منهما كذلك ما بين الأجزاء المشغولة والأجزاء المنبسطة (الفراغ) وتنويع فى الإيقاعات البصرية سواء لأشكال المساحات أو للخطوط ونلحظ عناية خاصة بتنغيمات فى لمسات واتجاهات حركة الفرشاة وهى تنشر عجينة اللون مما يعطى إحساساً بحركة دائبة نشطة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما فى اللوحة رقم (٦) فيتعمد ان يعطى ثراء اكبر فى الأشكال الداخلة فى الحوار فى اشكال الأوانى وفى خلق مستويات وتقسيمات واشكال فى الخلفية فضلاً عن إضافة الوان جديدة على المجموعة اللونية المستعملة فى الأعمال السابقة .

أما عن مجموعة أعماله الأخيرة فقد خرج الفنان فاروق بسيونى بخطة بحث جديدة حيث غير عناصره التى يجرى من خلالها حواراته التشكيلية فاستبدل الأوانى بعنصرين ركز عليهما فى بحثه وهى الأراجوز والملك ؛ كما لو كان يقصد إضافة بُعد اجتماعى فى مضامين اعماله بجانب بحثه فى التشكيل وهو ما يوحى به الحوار والصراع المتصل ما بين الأراجوز والملك على سطح اللوحة .

فى هذه المجموعة من الأعمال نلحظ بشكل قوى الاهتمام بعنصر الحركة المندفعة بانطلاقة وحرية وتنوع كما نحس بشكل قوى بتلك الحيوية المحاورة ما بين الأشكال ومايحيط بها من فراغ .

فى هذه الأعمال تكون عناصره ملخصة غالباً فى اشكال مابين المثلث والمستطيل والدائرة ولضرورات فى التشكيل يتدخل فى مواصفاتها الهندسية ويكسر احياناً قوانينها المتعارف عليها ويحرف فيها .... وكثيراً ما يلجأ إلى استخدام نفس الشكل مكرراً فى اللوحة ذاتها وبمعالجات مختلفة تنفى عنه صفة التكرار بما فيه من ملل وقد يمازج بين هذه الأشكال مخلقاً لأشكال جديدة .

وللخط الأسود دور ظاهر فى هذه الأعمال فهو يحدد به عناصر لوحته مدعماً من خلاله بناء الأشكال وهو يأتى بتأثير قوى موحياً بالاندفاع والحركة والانطلاق كما انه فى صراع متصل ضد الضوء وفى حوار مع الخلفية يكسبه تنغيماً وتوتراً وثراء .

ويتضح فى هذه المجموعة من الأعمال اهتمام واضح بقيمة الألوان فى تجاورها وما يقوم به من معالجات يعامل بها اللون فى حد ذاته،والوانه فى هذه الأعمال حية مشرقة يشع الضوء من عمقها متجاوزاً ذلك الإحساس بالحزن الداخلى العميق الذى وجدناه فى أعمال المرحلة السابقة ، ورغم ثبات العنصرين المستخدمين فى هذه المجموعة من الأعمال إلا اننا نلحظ التنوع فى معالجتهما التشكيلية - حسب متطلبات العمل - من عمل لآخر .

كسر التمائل بين المستطيل

فى اللوحة رقم (٧) ينطلق من شكلين كادا أن يكونا متماثلين سواء فى المساحة أو الصفات البصرية .... ويحاول أن يحقق تكويناً منهما لا يلحظ فيه ملل التماثل ، ويلجأ فى تحقيق ذلك إلى عملية تركيب لهذين الشكلين حيث يتداخل أحدهما خلف الآخر . وكذلك يعمل مخالفة للاتجاه بين الوجهين ويستبدل المثلث الكبير على رأس احدهما بثلاث مثلثات صغيرة على رأس الآخر - كذلك يعمد إلى تغيير شكل المساحة الحمراء الموجودة على جانب كل منهما .... ونجده كذلك يميز احدهما بمستطيلين يشكلان زاوية او ذراعاً مثنية تحمل سيفاً مما يقضى على اى ملل او تماثل فى شكل الأرضية على جانبى الشكل الأساسى . ويرسم دائرة تقاطع المستطيل الأمامى الذى يمثل جسم احد العنصرين فيخلق هذا التقاطع اشكالاً ومساحات جديدة . تذهب بالبقية الباقية من احتمالات الإحساس بالتماثل أو التكرار .

وهنا يجب ملاحظة أن الدائرة تصنع مركزاً للالتقاء ببصر الملتقى يتحرك بصره بعدها إلى الكتف ثم إلى الذراع المرفوع الذى يحمل ذلك الخط المنحنى حيث يخلق حركة لعين المشاهد تقوده إلى المثلثات على رأس العنصر الآخر وتسلمه به الخطوط النازلة من جديد إلى الدائرة نقطة الابتداء وتأتى بعد ذلك بقية أجزاء العمل فى رؤية ثانوية .

أما فى اللوحة رقم (٨) فأبرز ما يميزها ذلك الاحساس القوى بتأثير الضوء الساطع الذى يشع من كل أجزاء العمل وتأتى من فوقه الألوان بحساسية ورقة تؤكد رؤية جديدة فى أعمال الفنان حيث نستشعر احساساً متوحداً يسود كل أجزاء العمل ما بين عناصر أساسية أو خلفية مخالفاً ما رايناه كثيراً فى اعماله من تقسيمات وتحديدات قوية تفصل ما بين الأشكال وما بين الأرضية من حولها . حيث أنه فى هذا العمل يقدم معالجة تشكيلية يمازج فيها بين كل عناصر العمل فى وحدة مترابطة غنية الملامس كما أن النسيج اللونى لسطح العمل كثيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثرى . كذلك نعايش تلك الشحنة الانفعالية الديناميكية التى تطلقها لمسات الفرشاة المندفعة المتلاحقة السريعة .

أما فى اللوحة رقم (٩) يبدأ عمله باستخدام شكلين متماثلين سواء من ناحية الحجم أو الشكل والاتجاه والثبات فى خلفية العمل ، ويسعى لأن يخلق تشويهاً لهذا التماثل الثابت المستقر من خلال شكل ثالث له صفات مغايرة سواء فى اللون أو المساحة أو الحركة يلغى هذا الشكل بما يستحدثه من أشكال مساحات جديدة وبتقاطعه مع عناصر الخلفية أى إحساس بالتماثل أو التكرار — وبمعالجته المتنوعة فى الثلاث مساحات العرضية فى خلفية العمل استطاع أن يضفى على كل منها شخصيتها وحسها المتميز .

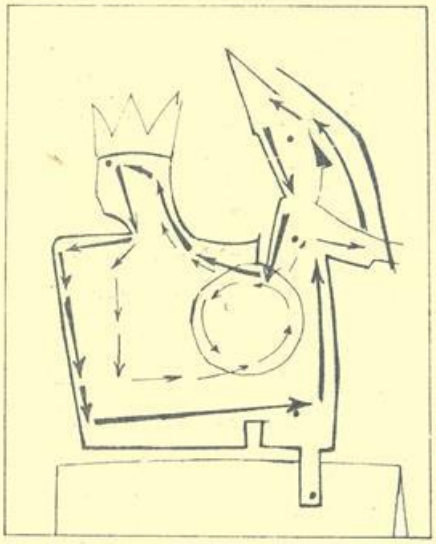

رسم مسار لحركة الرؤية

وبعد هذا العرض السريع لبعض أعمال الفنان الباحث الناقد فاروق بسيونى عبر نماذج لثلاث مراحل من إنتاجه لا نستطيع إلا أن نقدر جهده المتأنى المتصل الذى يبذله فى سبيل تحقيق نتائج من خلال قضية تشكيلية يحددها ويحصر نفسه فيها ويحاول أن يكشف أبعادها فى مجموعة من المحاولات والأعمال المختلفة جاهداً لأن يقدم اقتراحات لحلها متنقلاً من قضية لأخرى ومن مرحلة لأخرى بجدية وإصرار .. يسعى من خلالهما أن يحقق مكاناً متميزاً فى حركتنا التشكيلية المعاصرة .

القاهرة : سعيد المسيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التجربة التشكيلية
في أعمال الفنان
فاروق بسيونى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

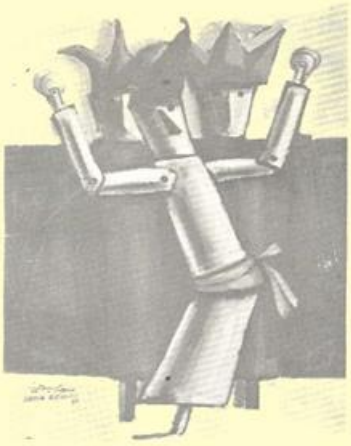

صورتا الغلاف للفنان فاروق بسيونى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ –

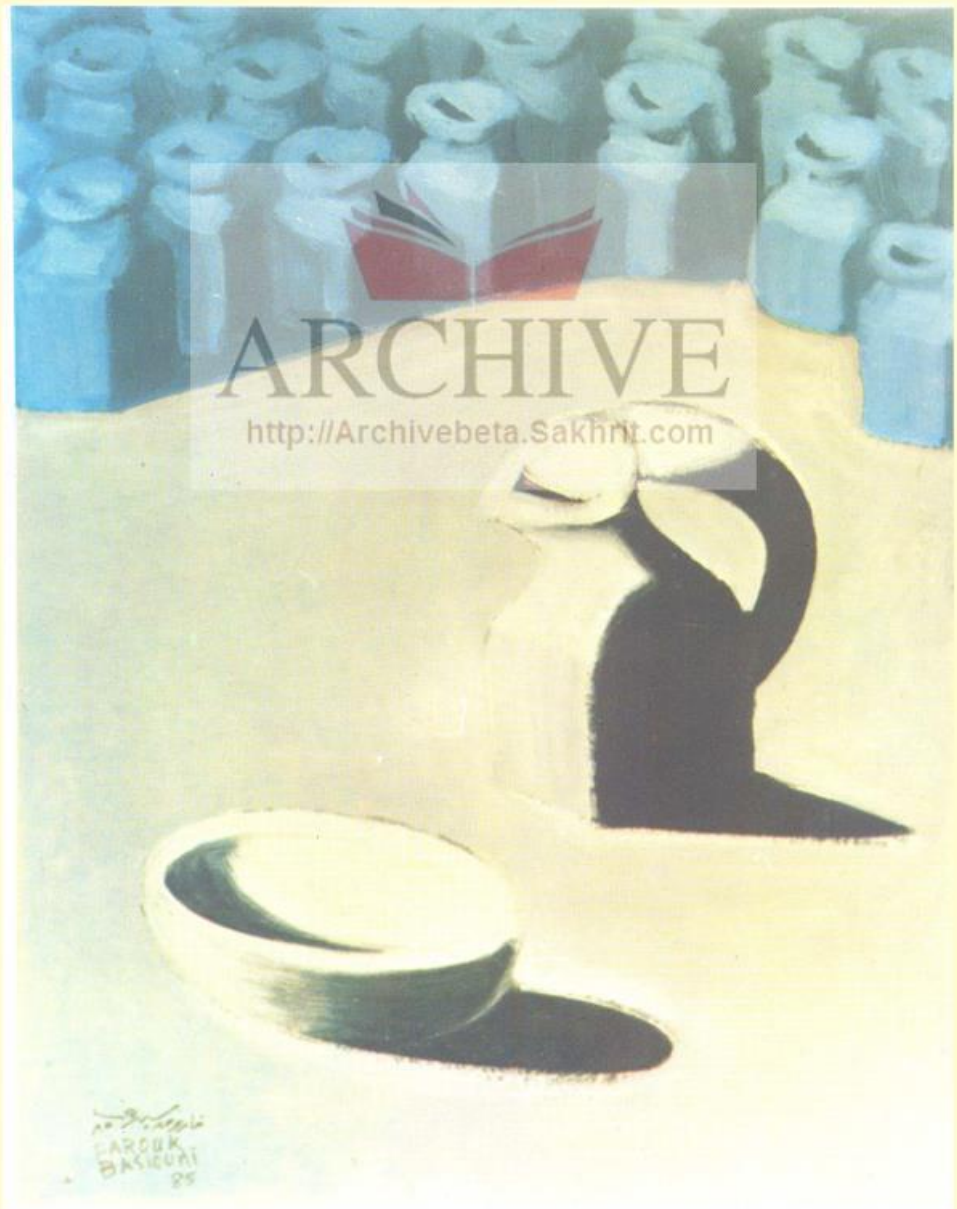

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

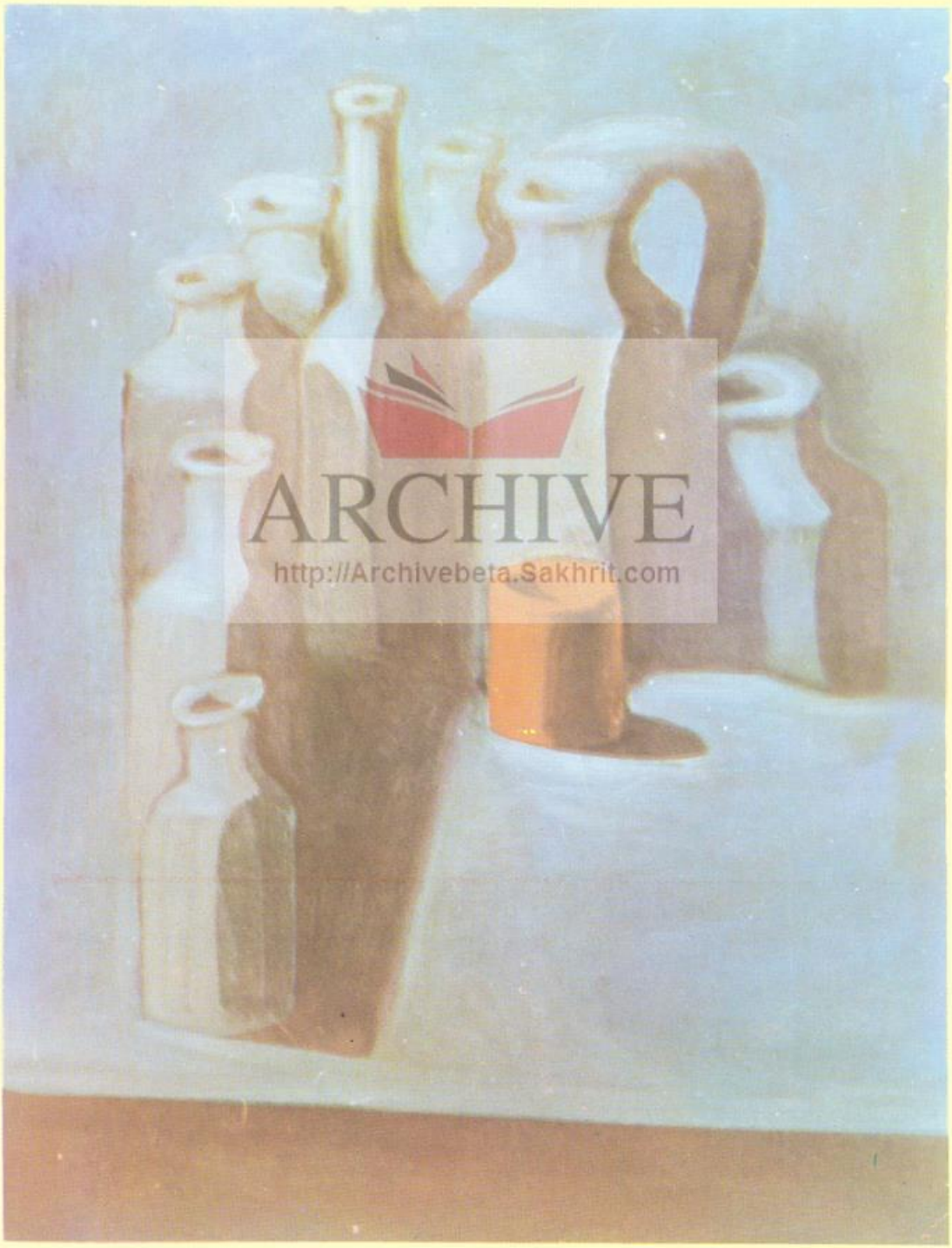
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com